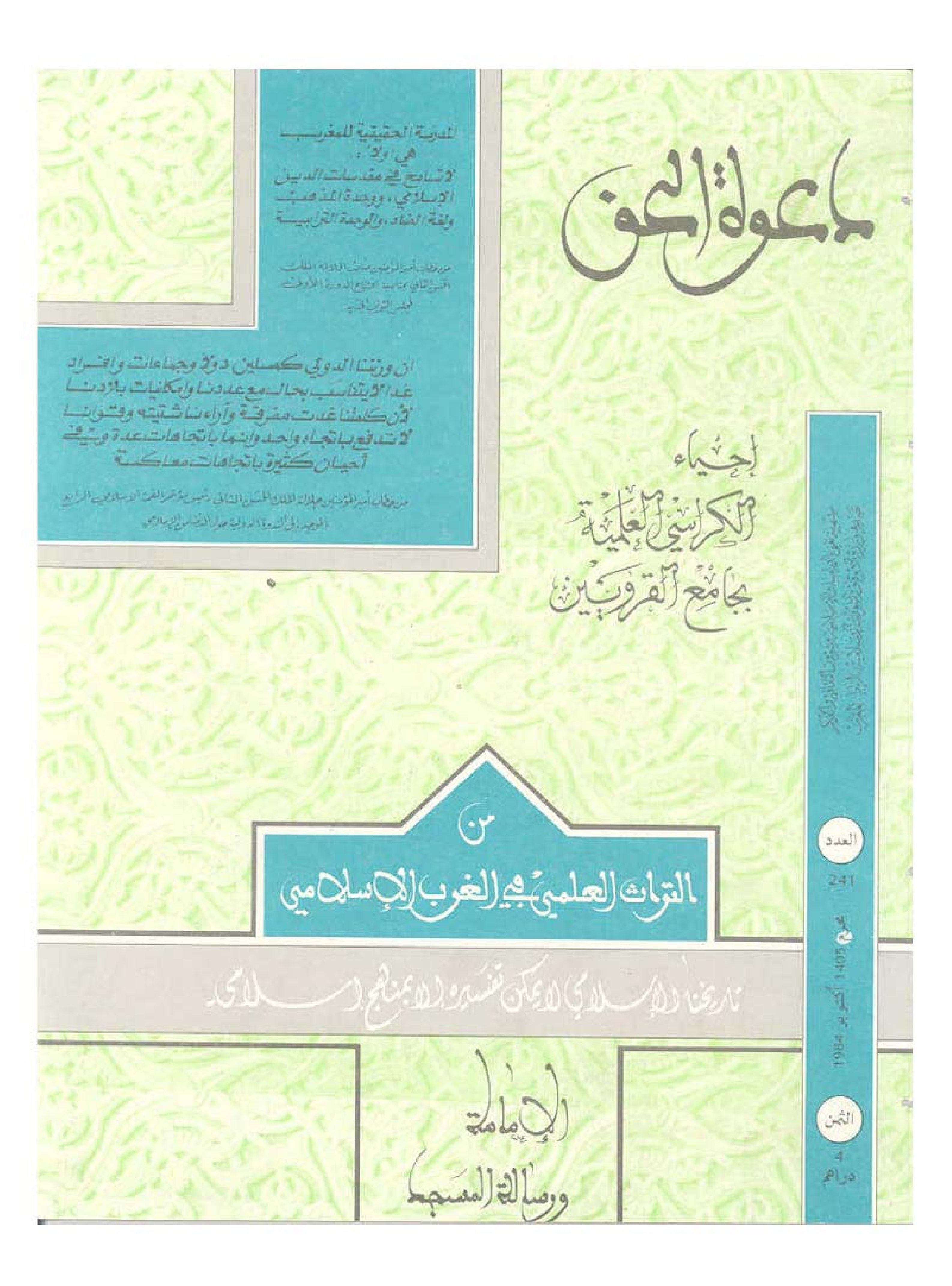

دعوة الحق
المدنية الحقيقية للمغرب
هي أولا :
لا تسامح في مقدسات الدين
الإسلامي ، ووحدة المذهب
ولغة الضاد ، والوحدة الترابية
ان وزننا الدولي كمسلمين دولا وجماعات وافراد
غدا لا يتناسب بحال مع عددنا وامكانيات بلادنا
لأن كلمتنا غدت متفرقة وآراءنا شتيته وقوانا
لا تدفع باتجاه واحد وانما باتجاهات عدة وفي
أحيان كثيرة باتجاهات معاكسة
إحياء
الكراسي العلمية
بجامع القرويين
من
التراث العلمي في الغرب الإسلامي
تاريخنا الإسلامي لا يمكن تفسيره إلا بمنهج إسلامي
الإمامة
ورسالة المسجد
العدد
241
محرم 1405 أكتوبر 1984
الثمن
4
دراهم



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية



أسسها
جلالة المغفور لـه
محمد الخامس
قدس الله روحه
سنة
1376 هـ — 1957 م

التحرير:
الهاتف: 601.85

الإدارة و التوزيع
636.93
627.03
627.04
608.10

الاشتراكات:
في المملكة المغربية: 55 درهما
في البلاد العربية: 67 درهما
في العـالـم: 77 درهما

الحساب البريدي: رقم 55-485. الرباط
Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

هذا العدد



الاختيار المغربي التاريخي

●● اكد جلالة الملك الحسن الثاني ، في قوة ووضوح ، على الاختيارات المذهبية للسياسة المغربية ، في خطاب بالغ الاهمية ، افتتح به ، حفظه الله ، الدورة الاولى لمجلس النواب الجديد ، وجعله مدخلا للحياة النيابية في مرحلتها المتطورة المسايرة لروح العصر وللمستوى المتقدم الذي بلغته التجربة الديمقراطية بالمغرب التي تسير بخطى ثابتة ، لتصبح سلوكا يوميا ، يمارسه المواطنون كافة ، في مختلف مواقع عملهم ومسؤولياتهم ، على هدى من عقيدتنا الاسلامية السمحة ، وتعاليم ديننا الحنيف ، وتاخذ بها البلاد منهجا للتسيير والتدبير والاشراف والعمل الوطني العام .

● ولقد قال جلالة الملك وهو يحلل الواقع المغربي ، انطلاقا من استيعاب عميق لدروس التاريخ وفهم دقيق لمتطلبات الحاضر ، وادراك واسع لتحديات المستقبل ، أنه لا تسامح في المقدسات وهي الاسلام ، والوحدة المذهبية ، ولغة الضاد ، والوحدة الترابية ، وان كل هذا البناء الحضاري والفكري والعقائدي يقوم على أساس البيعة التي هي تعني في مضامينها الشرعية والفقهية والدستورية والسياسية والواقعية التعلق المتبادل والبذل والعطاء المستمرين اللذين يعبران - اصدق التعبير وابلغه واقواه - عن التعاقد القائم بين الامة وبين ملكها والمبني علي ارادتين حديثين .

●● ولقد كان التوفيق حليف العاهل الكريم وهو يختزل في جملة واحدة هذه المقدسات فيصفها بانها المدرسة الحقيقية للمغرب ، وهي في ذات الوقت مدرسة محمد الخامس رضوان الله عليه ، ومدرسة الحسن الثاني نصره الله ، المستمدتين من مدرسة رسو الله صلى الله عليه وسلم ، مما يؤكد التواصل والاستمرار على النهج القويم الذي اختطه نبي هذه الامة على هدى قرءان ربها لتكون - بحق وحقيق - خير امة اخرجت للناس ، وليكون الآخذون بهذا النهج الهداة المهتدين ، والقادة الموجهين ، واصحاب العلو في الارض بالحق وبالعدل وبالمحبة وبالتسامح وبالعلم وبالجهاد .

● ونجد جلالة الملك حفظه الله يزيد هذه الحقائق اشراقا ونصاعة وتاكيدا حينما يقول بالحرف الواحد : (المغرب ، منذ زمن وقرون

اختار معسكره ، ومعسكرنا هو التشبث بالدين ، اذن يستحيل ــ يضيف جلالة الملك قائلا ــ ان نكون ملحدين او ماركسيين ، بحيث اخترنا ان نكون ونبقى ونموت مسلمين الى ان تقوم الساعة) .

●● وتلك هي كلمة الفصل التي تحسم كل جدل حول انتماء المغرب وتحديد الهوية الفكرية والحضارية لاختياراته السياسية ، وتؤكد من جانب آخر اصرار المغاربة ــ ملكا وشعبا ــ على التشبث بمقوماتهم والعيش في كنف قيمهم ، وهم اقوى ما يكونون استعدادا للدفاع عن هذه العقيدة وراء العرش المغربي الذي هو رمز السيادة وعنوان الكرامة الوطنية .

● ومن الطبيعي ان تكون من القواعد الرئيسية التي تقوم عليها هذه المدرسة الحرية التي وصفها جلالة الملك بقوله (الحرية المنظمة التي لها اوقاتها ومكانها لتقول ما يجب كما تريد في نطاق المقدسات والاختيارات السالفة الذكر) . ولذلك فان الاختيار المغربي التاريخي هو الرصيد الذي لا ينفذ ، وهو الضمان الاكيد للاستمرار ، وهو الوسيلة الوحيدة للعمل الوطني سعيا وراء الوصول بالبلاد الى التقدم الشامل الذي يجمع بين الرخاء الاقتصادي والسلام الاجتماعي ، والامن الفكري ، والاستقرار السياسي ، وهذه هي الخلاصة الوافية لمطامح شعوب الارض ومطامح الامم طرا .

●● ومن هذا المنطلق الراسخ القوي الواضح المعالم ، كان القول بسلامة الاختيار المغربي التاريخي وبعقلانية هذا الاتجاه ، وبصواب هذه الخطة ، وبرشد هذا الاسلوب قولا لا غلو فيه ولا مبالغة ولا شطط ، وهو عين الحق وجوهر الحقيقة .

● وحينما يعيد جلالة الملك التاكيد على هذا الاختيار ، بهذه القوة ، وبهذا الوضوح ، فانما ليوجه الشعب وقادة الراي والكلمة وذوي المسؤولية فيه الى معالم الطريق ، والى الوسائل الفكرية والنظرية التي يجب الاخذ بها في المعارك الوطنية وراء جلالته حفظه الله ، والى اشاعة الامل والثقة واليقين في نفوس الجميع ، ليقبل كل المغاربة على العمل والعطاء ، وضمائرهم مفعمة بالرضى ، وقلوبهم ملأى بالايمان ، ونفوسهم مترعة بالطمانينة ، وهم على بصيرة من امرهم ، يبنون الحاضر ، ويصنعون المستقبل ، ويصوغون حياتهم وفق ما اجمعوا عليه من اختيار ، هو الاختيار المغربي التاريخي .



جلالة الملك الحسن الثاني في خطاب هام بمناسبة افتتاح مجلس النواب :

لا تسامح في المقدسات :
الاسلام، ووحدة المذهب، واللغة العربية، والوحدة الترابية

• • افتتح مجلس النواب المغربي دورته الاولى يوم الجمعة 16 محرم 1405 موافق 12 اكتوبر 1984 طبقا لمقتضيات الدستور ، وذلك بخطاب سياسي هام القاه جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله يعتبر بكل المقاييس من اقوى الخطب السياسية والفكرية الهامة التي تصح ان تكون ميثاق عمل للجيل الحاضر وللاجيال القادمة .

لقد اكد جلالة الملك في هذا الخطاب على الحقائق التالية التي تعد بمثابة اختيارات تاريخية للمغاربة وهي :

— الاسلام .
— الملكية .
— وحدة المذهب .
— لغة الضاد .
— الوحدة الترابية .

كما تضمن الخطاب الملكي افكارا بالغة القيمة والنفاسة جديرة بان تكون منارا هاديا للعاملين في الحقل العام اسلاميا وفكريا وسياسيا .

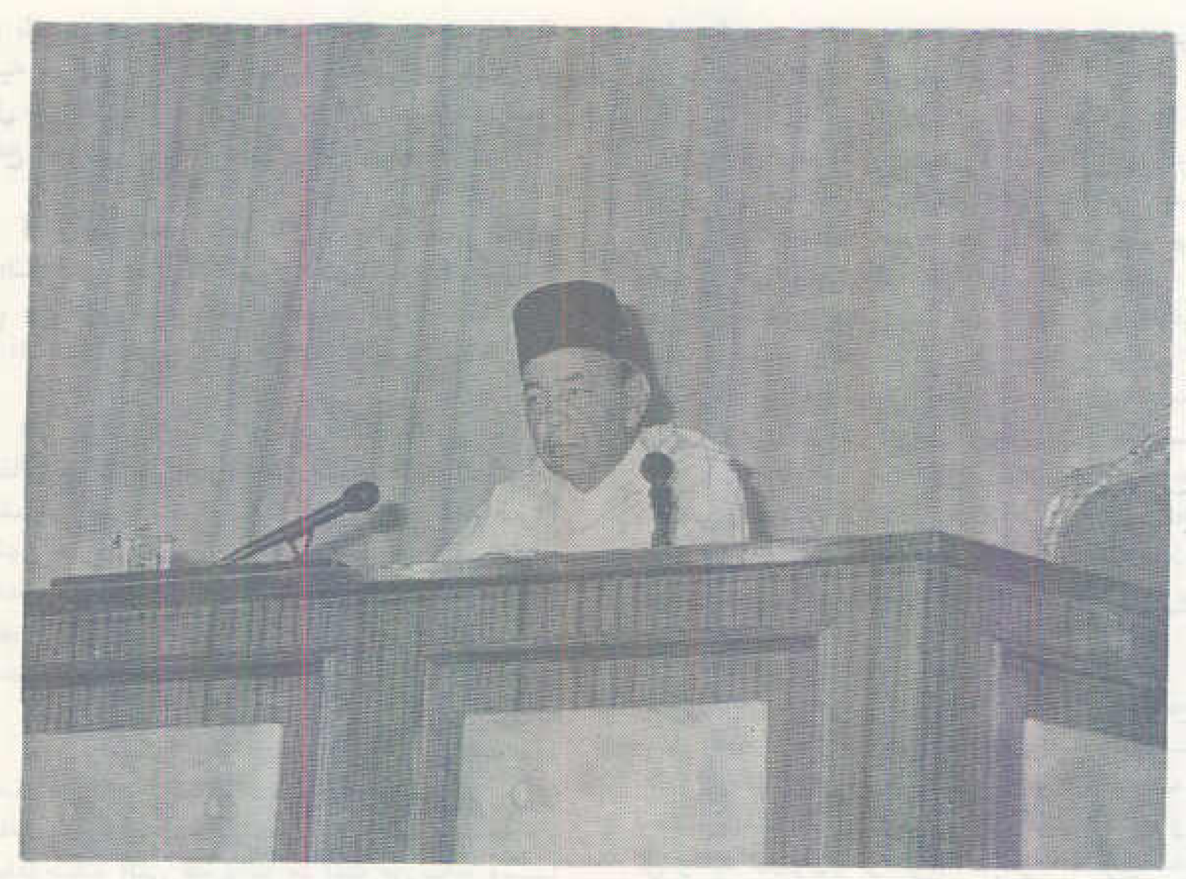
وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي السامي الذي القاه حفظه الله بحظور ولي العهد الامير سيدي محمد وصنوه المولى رشيد ، وذلك في الجلسة الافتتاحية لمجلس النواب الجديد (306 من النواب) والتي حضرها السيد الوزير الاول والوزراء ، والسفراء المعتمدون بالرباط وعدد من سامي الشخصيات المدنية والعسكرية • •

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه .

حضرات النواب المحترمين .

اريد قبل كل شيء ان اهنئكم من صميم القلب على ما تلتموه من ثقة وما انتم مستعدون لتحمله من امانة من لدن الذين انتخبوكم وانتقوكم كخير ما ينتقى وكاحسن ما يختار .

انكم حضرات السادة ستنتدبون لمدة ست سنوات . ولست في حاجة الى آن افسر مرة اخرى ما هي الحكمة في ست سنوات دون اربع سنوات .



وفي هذه الفترة من الزمن التي هـي في آن واحد مهمة وقصيرة سوف تتمكنـون من الالمـام بالمشاكل الداخلية والمشاكـل الدوليـة .

ولي اليقين أن ما أوتي البعض منكم من تجربة وما اوتي البعض الآخر من طموح وتطلع الى العمـل بضمير مهني وأمانة ان هذا كله سوف يجعلكـم في مستوى الاحـداث والمسؤوليـات .

كلكم يعلم أن العالم لا اقول العالم المتصنع أو العالم الذي هو في طريق النمو او العالم الثالـث . العالم كله يتخبط الآن في ازمات متنوعة منها ما هو اديولوجي ومنها ما هو اجتماعي واقتصادي ونظـرا لتداخل الايديولوجية والمنهجية بالنظام وبالمنـوال الاقتصادي والاجتماعي يصعب الاختيار بين طريـق وتلك . ويبقى الانسان متحيرا لا يعرف هل هـذه المنهجية هي الصالحة ام الاخرى هي الصالحـة ، لا اقول لكم لا تختاروا ، لا . انكم لما جئتم الى هـذا البرلمان سبق أن اخترتم منهجا وسبق لكم ان اخترتم طريقا وطريقة . ولكن اقول لكم انكم في مستـوى المسؤولية التي انتم فيها .

يجب عليكم أن تعلموا انكم لا تعيشون في مكان مغلق لا اتصال له بالعالم لا جهويا ولا قاريا ولا عالميا. انتم الذين تمثلون هذا الشعب تعيشون في جهة ثم في قارة ثم في عالم . تعيشو نفيه اولا بشخصيتكم وما لها من مقومات وما لها من اصالة وما لها مـن امجاد وما لها من معالم .. معالم التاريخ وراءها وما تريد أن تزيده من معالم التاريخ في مستقبلها .

اذن تعيشون انتم ، لا غيركم ، انتم المغاربة . ولكن عليكم ان تنظروا بجد وجدية الى ما هو حولكم الى ما يجري في العالم حولكم من تجارب تعليميـة وتكنولوجية ، من مناهج اقتصادية ومالية ، من حلول للمشاكل الاجتماعية وتكاثـر النسل .

عليكم اذن أن تتخذوا من هذا البرلمان مشرابا حتى يمكنكم أن تروا ما يجري هنا وهناك من تجارب فتاخذوا الحسن منها وتتركوا الغير اللائق منهـا ولا سيما حضرات النواب ان الاحصائيات اعطت ان هذا المجلس يتوفر على 153 نائب اي نصف هـذا المجلس متكون من نواب جـدد . وهؤلاء النـواب الجدد يتميزون بخصلتين ، الاولى شبابهم . فعمـر

150 نائب منكم يتراوح بين 35 و 45 سنة . الخصلة الثانية انه من بينكم 153 نائب جامعي وللسائل ان يسال هل الشهادات او التجربة هي التي تحكم في الواقع هل هي التي تلتصق بواقع البلاد .

اقول نعم هما او كما يقال عادة في النحو همان. لان التجربة وحدها لا تكفي والشهادات وحدها لا تكفي . ولكن رصيد العلم والمعرفة يكون منكم من هذا البرلمان ذخيرة بشرية مهمة جدا .

فلي اليقين انه لن تمضي ثلاث سنوات على اشتغالكم بهذا البرلمان . حتى ينبثق منكم العشرات والعشرات من هذا الشباب الذين كانوا قد اظهروا حنكتهم خارج البرلمان وبرهنوا على مقدرتهم داخل البرلمان وبذلك اصبحوا مؤهلين لان يعقبوا من سبقهم في ميدان خدمة البلاد وتحمل المسؤولية والسهر صباح مساء على مصالح الخواص والعوام .

فاذن واجبكم او واجباتكم في هذه المدة مدة انتدابكم اولا ان تفتحوا اعينكم والا تكونوا اسرى للكلمات الفارغة ولا للشعارات الفلسفية ولا للديماغوجيات التي قد راينا ما اتت من نتائج وما خلفت من مخلفات .

عليكم اذن ان تفتحوا اعينكم وان تقارنوا دائما بين مصلحة بلدكم النظرية وبين المصلحة الواقعية متخذين في ذلك لهدايتكم الى احسن سبيل والى اقوم طريق تجارب الذين يعيشون حولكم ويتخبطون في مشاكلكم ويعرفون مثل مطامحكم ويعرفون كذلك مثل النقائص التي تنقصنا كبلد في طريق النمو .

ولكن اياكم ثم اياكم ان تنسوا انكم مغاربة قبل كل شيء وان لكم اصالة وانكم تمتازون في العالم الثالث بتعدد احزابكم ونقاباتكم وتياراتكم السياسية بكلمة اوضح تتمتعون بإثمن كنز الا وهو الحرية ، تتمتعون باثمن رصيد الا وهو الكرامة البشرية ، فاريد دائما الا تنسوا انكم ابناء بلد كريم فعليكم ان تبقوا كراما .

كنت قلت لكم في السنة الماضية حينما افتتحت آخر دورة بان النائب المغربي يجب الا يكتفي بالنظر القصير فيما يخص بلدته او قريته او جهته او بلده . ان النائب المغربي يجب ان يعلم ان وسائل النقل واللاسلكي ووسائل الاتصال بين البشر جعلت السياسة الخارجية لا بد ان تؤثر على السياسة الداخلية والعكس بالعكس .

وهنا اريد بكيفية وجيزة ان اشرح لشعبي العزيز وبهذه المناسبة ما هي الدوافع التي دفعت بي الى استدعاء قمة طارئة للدول العربية ؟ تلكم يعلمه انه تقرر في مؤتمر القمة في بغداد ان تقطع الدول العربية علاقاتها بمصر بعد ان وقعت على اتفاقية كامب ديفيد . وبقت الامور على ما هي عليه . وجاء المؤتمر الاسلامي الذي ليس هو ميثاق الجامعة العربية وقرر المؤتمر الاسلامي في الدار البيضاء ان ترجع مصر الى حظيرة الدول الاسلامية والرجوع الى المؤتمر الاسلامي لا يقتضي حتما الرجوع الى الجامعة العربية . فاذا به ونحن نسمع ان شقيقنا جلالة الملك حسين قرر تطبيع العلاقات مع مصر العربية .

انا بصفتنا رئيسا للدورة الحالية لمؤتمر القمة العربي لانه منذ مؤتمر فاس سنة 1982 لم يجتمع اى مؤتمر قمة عربي ، ونظرا لهذا الواجب المعنوي والفكري الذي لا زال في عنقي رايت ان الظرف حان ليجتمع القادة العرب وينظروا في هذه البادرة ويقول كل واحد منهم رايه وتخرج المجموعة العربية على الاقل موحدة الصفوف لا فل فيها ولا شقاق لانني كعربي اعرف اشقائي لا رؤساء الدول فقط بل اعرف الشعوب العربية كما تعرف الشعوب العربية المغرب.

الشيء الذي اخاف منه كل الخوف وهو ان تصبح الامة العربية امام تكتلات هذا التحق بفلان هذاك التحق بفلان . والتكتلات العربية كما تعلمون – ولقد رأيناها في الماضي – تكون دائما وفي اغلب الاحيان تكتلات حادة وحارة في آن واحد . فكان اذن لزاما علي بصفتي رئيس المؤتمر ان ادعو اشقائي واخواني ملوك ورؤساء الدول العربية ليجتمعوا لننظر في هذه المسالة .

ومن خلال الاجوبة التي وصلتني من اشقائي الذين ارسلت لهم رسلا تبين ان التحليلات كانت متباينة وان تقييم هذا ليس هو تقييم ذاك . وان هناك خلافا في التقييم ، وفي الراي وفي بعض المرات حتى في الميقات .. هل الآن او بعد ثلاثة اسابيع او بعد شهر او كذا .

المهم ان المغرب قام بواجبه كرئيس المؤتمر وتحمل كل واحد منا مسؤوليته كفرد وكرئيس دولة

له كامل الحرية والسيادة في اتخاذ القرار الذي يراه نافعا لبلده وللاسرة العربيــــة .

فالآن الضمير مرتاح وما بقي علينا ملامة ونرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد تشاءمت أكثر ممـــا يلزم وان أكون هذه المرة ربما خاطئا ولم ابق ذلـــك المتفائل المتشبث بتفاؤلــه . وعلى اي حال لنـــا اليقين وكامل الثقة في ثقابة راي وفي حكمة اشقائنا الملوك والرؤساء وفي أنهم سوف يبادرون حينمـــا يرون جميعهم ان الوقت قد حان للاجتماع وللتشاور ولتبـــادل الـــراي .

وقبل هذا الحدث وكنت قد تكلمت عنه بتفصيل يوم 20 غشت قام اتحاد دولتين بين المملكة المغربية والجماهيرية الليبية وما قلته في هذا المضمار يوم 20 غشت كان كافيا وواضحا ، واظن انكـــم سواء كممثلي احزاب او نقابات او افراد فهمتم ابعـــاده البشراة والانسانية والوحدوية المغربية الكبرى .

اذكر هذه النقطة في مجلسكم الموقر لانكـــم تعلمون يوجد من جملة اجهزة الاتحاد هناك جهـــاز تشريعي وجهاز تنفيذي لهما اختصاصـــات تشاور واستشاره ولكن دورهما مهم جدا ، وقد اتفقنا مع اخينا العقيد معمر القذافي في الاتفاقية التي صادق عليها المغرب باستفتاء كاد يكون بالاجماع ووافقـــت عليه الجماهير واللجان الشعبية في ليبيا على أن ثلة من البرلمانيين المغاربة سيكونون الجانب المغربي من المجلس التشريعي ، وان الجانب الليبي كذلك سيتكون نظير الجانب المغربي كما وكيفا . وسوف يتبادلون الزيارات والتشاور والتجارب والبرامج او المناهج . كما تقرر أن يكون لهذا الاتحاد اداة تنفيذية تتكون من الحكومتين المغربية والليبية التي تقوم هي ايضـــا بدورها بزيارات دورية لليبيا او للمغرب .

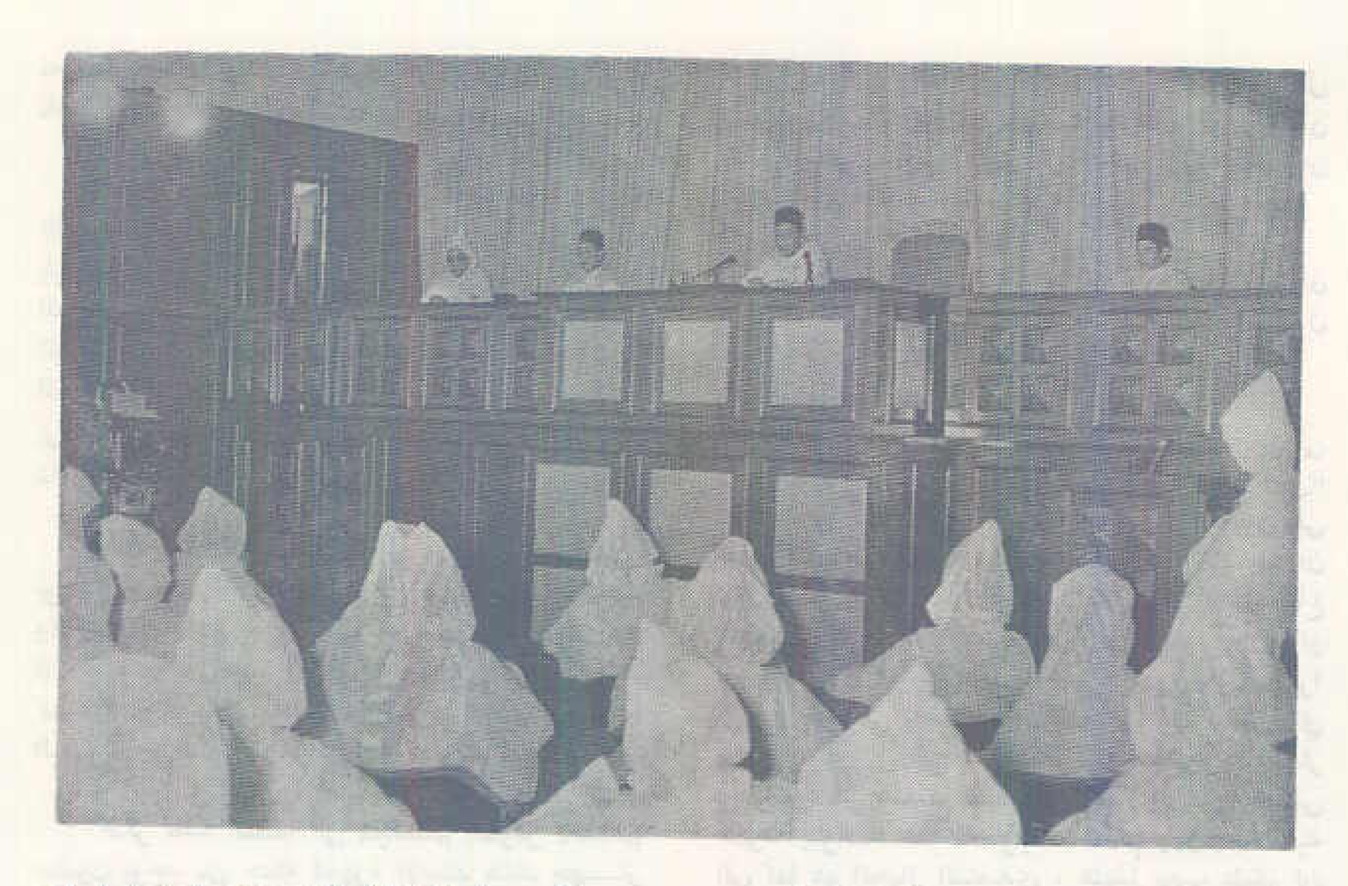
وقد قررنا كاول خطوة من المجلس التمثيلـــي المغربي وبمجرد ما تتكون فرقكم ومكاتبكم ولجنكـــم سنعين من الهيئات المكونة للبرلمان 60 عضـــوا لان للجانب الليبي 60 عضوا وسالتقي بهـــم شخصيـــا لاعطيهم الارشادات والتوجيهات حتى نكون ان شاء الله قد زدنا لبنة شعبية ديمقراطية اخرى لتوطيـــد ذلك الاتحاد ولنجعله قادرا على ان يقف على رجليـــه وأن يعطي النتائج الايجابية التي هي وحدها الكفيلة بان تظهر للجميع حسن نوايانا وان الاتحـــاد بيـــن الدولتين ليس قائما على معاداة فلان او فلان . بـــل حكمته وفلسفته هو ان يكون الحجرة الاولى ولكـــن ذات ديناميكية حتى تظهر عن حسن نوايـاهـــا وعن نزاهـــة مقاصدهـــا .

واخيرا حضرات النواب المحترمين اريـــد ان اقول لكم شيئا وهو أن الكل يعتقد أن الحكومة تتكون من الجهـــاز التنفيـــذي .

بالنسبة الى لا ، حينما يقول رسول الله موسى عليه السلام « واجعل لي وزيرا من اهلي هارون أخي» فالقصد من الوزير هو المعين اشتقاقا من المعين على حمل الثقة او المسؤولية ولا اقول الوز . بحيث ان الوزير هو المعين . فحينمـــا اكون في اجتمـــاع المجالس الوزارية وانصت الى راي احد الوزراء او اقول لفلان ما هو نظرك في هذا الموضوع يكون وزيرا لي اي معينا لي . فعليكم أن تعلمـــوا ان كـــل راي ادليتم به او كل نهج اقترحتموه او كـــل اختيـــار اخترتموه في قاعتكم هذه هو بمثابة راي في مجلس حكومة يتراسه ملك المغرب . فانتم وزراء بالنسبة الى كما هو الجهاز التنفيذي . فلهذا يجب عليكم ان تطرقوا باب مكتبي لا افرادا ولكن كفرق كجماعـــات كلجن سواء لجنة المالية او لجنة الشؤون الاقتصادية او لجنة الشؤون الاجتماعيـــة او لجنـــة الشؤون التعليمية . عليكم ان تعلموا أن هذه هـــي الشورى الحقيقية ، الشورى الحقيقية هي أن تاخـــذ بالرأي وتعمل بالرأي اما بكلـــه او ببعضـــه او باحسنه . والشورى الحقيقية لا يمكن أن تقتصر على 20 أو 30 وزيـــــرا .

المغرب اعطاه الله 306 مـــن الممثلين أي 306 من الاصوات التي تمثل قاعدة سياسية او بشرية . عليهم اولا ان يقولوا رايهم وعلي انا ثانيا أن اخـــذ برايهم واخذ ما ارى فيه من الصواب وان اناقش من قال رايا حتى اظهر له أن النصف الثاني ليس مـــن الصواب ولكن لست انا الذي سابحث عنكم .

اريد في هذا المنعطف التاريخي من ديمقراطيتنا وقلتها لكم في آخر خطاب القيته في الدار البيضاء علما باننا نتنقل في هذه الست سنوات من جيل الى جيل في المسؤولية أن نطبع هذه المدة الامتدادية بطابع الحوار من أعلى القمة الى القاعدة ، الحـــوار بينكم وبين الحكومة .. الحوار بين الحكومـــة وبين



المصالح الغير ممثلة هنا . الحوار اخيرا بينكم وبين من ولاه الله اموركم وجعله في آن واحد ملككم وخادمكم الاول . فعليكم اذن ان تطرقوا بابنا وتطلبوا راينا وانا احمد الله ان كثر من وزارتي وكثر من مستشاري .

ولي اليقين ان هذه هي الوسيلة الوحيدة لينضج هذا النصف الثاني من البرلمانيين الشباب في مدرسة الحسن الثاني اذا كانت هناك مدرسة للحسن الثاني ، مدرسة الحسن الثاني بكل تواضع هي مدرسة محمد الخامس رحمة الله عليه . مدرسة محمد الخامس كانت مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم .

لن الجل فينا لا يعرف من النبي صلى الله عليه وسلم الا حياته كرسول وكداعي وكمشرع . اما الحياة الديبلوماسية والسياسية للنبي صلى الله عليه وسلم لا زالت مجهولة وانا في انتظار من ستحذو به غيرته على دينه وعلى مظاهر دينه ان يكتب في هذا الشان .

المدرسة الحقيقية للمغرب هي اولا لا تسامح في المقدسات الدين الاسلامي ووحدة المذهب ولغة الضاد والوحدة الترابية ، امور لا يمكن مناقشتها ولو ثانية واحدة . النقطة الثانية ادفع بالتي هي احسن. وحينما اقول بالتي هي احسن اقصد ليس بالتملق ، ادفع بالتي هي احسن معناها ادفع بالرأي الاحسن . والادلة الاكثر اقناعا هي بالتي هي احسن ، وهي هنا بصيغ التفضيل التي تبتعد عن التملق وعلى المداهنة . ((ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا)) — والصبر فى السياسة واجب — ((وما يلقاها الا ذو حظ عظيم)).

واعلموا رعاكم الله ان السياسة والفلاحة مدرسة واحدة . فالنتائج في السياسة الخارجية كنتائج الفصول ، فكل ثمار تنضج في وقتها ، فالامور بمواقيتها فمن حاول ان يجني قبل الوقت اضاع الفاكهة ، ومن لم يجن الا بعد ان فات الوقت اضاع كل شيء من الجهد الاول ومن الجهد الثاني .

فلهذا السياسة الخارجية تتطلب التروي وبعد النظر والوفاء للاصدقاء . الوفاء للاصدقاء ولو لم يكن هناك تبادل من جهة لاخرى فيجب على الانسان

ان يبقى وفيا حتى اذا راى وجهه امام المراة كل صباح لا يجد ما يؤاخذ عليه نفسه ويذهب الى عمله مرتاح البـال والضميـر .

مدرستنا في السياسة الخارجية هـي عـدم التناقض . فالمغرب منذ زمن ومنذ قرون اختار معسكره ، معسكرنا هو التشبث بالدين ، اذ يستحيل ان نكون ملحدين او ماركسيين اخترنا ان نكون ونبقى ونموت مسلمين الى ان تقوم الساعة ، هذا اختيارنا .

ثانيا ــ اخترنا منذ الاسر التي تعاقبـت على عرش المغرب ان تكون البيعة اخذا وعطاءا مستمرا . والبيعة هي تعاقد بين الامة وبين ملكها . فلا يمكن له ان يفرض عليها شيئا لم ترده ولا يمكنـه ابـدا ان يغصبها حقا من حقوقها ، هذا هو الاختيار الثاني .

الاسلام والترابط المبني على تعاقد ، المبني على ارادتين حرتين لم يسبق للمغاربة ان بايعوا ملكا بدون رضاه ، ولم يسبق ان نجح ملك فـرض على شعبه مبايعته . والنقطة الثالثة في اختياراتنا وهو وجودكم هنا عشرة او اثنى عشر او اربعة عشر حزبا ونقابة ، اذن اخترنا الحرية ، ليس الحرية الفوضوية بل الحرية المنظمة التي لها اوقاتها ومكانها حيـث يمكنك ان تقول ما يجب كما تريد في نطاق المقدسات والاختيارات السالفة الذكر .

هذه هي مدرستنا ليس فيها مستوى لا ابتدائي ولا ثانوي ولا عالي ، مسائل كبرنا فيها ولم ننتبه لها وهي قواعد معيشتنا يوميـا سواء في مكاتبنـا او ندواتنا او بيوتنا او في علاقاتنا مع اصدقائنا .

واخشى ان اكون قد اطلت واكرر هنا مرة اخرى ان هذه السنة يجب ان تكون بالنسبة لكم سنة عمل ولكن ليس بعيون مغمضة بل بعيون مفتوحة على ما يروج حولكم في العالم وعلى التغييرات الجذرية التي قد تكون مؤلمة ولكن لا بد من اختيار اريد كذلك ان تكون هذه السنة سنة تدريب وتكوين للطبقة الناشئة وانني اعتمد على النواب الشباب 152 منكم ليكونوا في اقرب وقت هم الخلف لهؤلاء السلـف الذيـن عاشرتهم كولي العهد ، عاشرتهم ايـام الاستعمـار وعاشرتهم ونحن دائما تحت ارهاب السجن او النفي او القتل ، وعاشرتهم بعد الاستقلال .

فعليكم ان تاخذوا بعين الاعتبار ما قام به مـن ربوكـم سياسيـا .

وعليكم ان تكونوا خير خلـف لخيـر سلف . ولنختم بهذه الآية القرآنية ونقلها جمعا لا مفـردا « وقل ربي ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانـا نصيـرا » .
صـدق اللـه العظيـم .

جلالة الملك الحسن الثاني يوجه كلمة سامية إلى مؤتمر العالم الإسلامي:

الإتحاد العربي الافريقي يدعم التعاون العربي الإسلامي

•• انعقدت بمدينة اسلام اباد بباكستان ندوة اسلامية عالمية تحت عنوان : ((التضامن الاسلامي في خدمة السلام العالمي)) نظمها مؤتمر العالم الاسلامي وحضرها أزيد من 300 مفكر وعالم من مختلف انحاء العالم الاسلامي . وبهذه المناسبة وجه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله كلمة سامية الى الندوة تضمنت توجيهات وارشادات وتحليلا عميقا للوضع العام في العالم الاسلامي . وقد تلا الكلمة الملكية السامية في الجلسة الافتتاحية للندوة سفير صاحب الجلالة بباكستان السيد أحمد الادريسي .

ونشر فيما يلي نص الكلمة الملكية الهامة ••

باسم الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

ايها السادة :

ان التقاء مؤتمر العالم الاسلامي في ندوة ترفع الشعار الذي ترفعون الشعار القائل ان ((التضامن الاسلامي ضروري للسلام العالمي)) هو في حد ذاته عمل صائب وموفق لان هذا الشعار يركز على ان البشرية مهددة باخطار عديدة بعضها ماحق يصل الى احتمال مواجهة الدمار الكلي لعالمنا وعدم امكانية الحياة فوق كوكبنا تركزه على ان البشرية بحاجة الى الانعتاق من هذه الاخطار حاجتها الى من يرشدها الى

ان التضامن الاسلامي ضروري بحد ذاته لبلاد الاسلام جميعا كما هو ضروري ضرورة اساسية لاقامة سلم عالمي .

لقد طرحتم شعار ندوتكم بصيغة مقولة ((فرضية)) وكأني بكم تريدون لهذه المقولة ان ترتفع الى مستوى حقيقة تسلم بصحتها حتى النخبة لتأخذ طريقها الى قاموس رجال الدولة في العالم وتحتل حيزا في عقولهم بأمل تنشيط كل ما يعين على السلام العالمي ، هذا السلام الذي يجب ان يسهم التضامن الاسلامي باقامته كما يسهم بتدعيمه والحفاظ على دوامه .

اسمحوا لي أذن أيها السادة ان اخاطبكم بالصدق والصراحة اللذين يوجبهما الاحترام لمؤتمركم والمشاركين به وجدية الموضوع الذي تطرحه ندوتكم لاقول لكم : من أجل أن تكون فاعلين

في ميدان الاسهام باقامة السلم العالمي وفي غيره من الميادين يجب ان نكون متحدين وان نحـرر قـادة المسلمين ورجال دولهم من الفرقة المحزنة التـي هـم عليهـا اليـوم .

ان المسلمين يعدون زهاء ربع البشرية ودينهم المكون لذاتيتهم يوجب عليهم وحدة الهدف ووحـدة الصف عندما يامرهم ان يتجهوا معـا الى الكعبـة الشريفة بصلواتهم الخمس كل يوم وقد ارادهم الله عز وجل ان يكونوا خير امة اخرجت للناس ، ولهـذا اعطاهم سبحانه كل الوسائل التي تعينهم على ذلك ، بلادا شاسعة واسعة هي في القلب من آسيـا وعلى امتدادات كبيرة من افريقيا واعانهم على ان يكونوا في بقاع عدة من دول اوروبا وفي غير قليل من المراكز في القارة الامريكية ومكن لهم لكي يكونوا القيمين على غير قليل من الطرق والمعابر البرية والبحرية الاكثر اهمية في العالم وجعل بلادهم عامـرة بالثـروات المتعددة والمواد الاولية والكنوز المعدنية وجعـل منهم اكبر قوة عاملة بالدنيا ومن سوقهم اوسع سوق استهلاكيـة في العالـم .

ومع ذلك نجد ان وزننا الدولي كمسلمين ودلا وجماعات وافرادا عدا لا يتناسب بحال مع عددنـا وامكانيات بلادنا لا لنقص عضوي فينا ولا لامـراض مستقرة في ديارنا ولا لقلة بقوانا العاملة او نقـص بثرواتنا بل لان كلمتنا غدت مفرقة وآراءنا شتيتة لا تدفع باتجاه واحد وانما باتجاهات عدة ، وفي احيان كثيرة باتجاهات متعاكسة .

لهذا بتنا نهون على القوى العظمى ونصنف بين المستضعفين في الارض ونعد بين المجتمعات الناميه حينا والتي هي في طريق النمو احيانا ، وتتطـاول علينا قوة غريبة عنا زرعت في قلب ديـار العـرب والاسلام زرعا لها زعامات تتبارى علنا فيما بينهـا بكيفية تحقيق طرد ما تبقـى من الفلسطينييـن من ديارهم ووضع مخططات الوصول بطائراتها الى تهديد كل قاعدة من القواعد في العالم الاسلامي بالدمـار مهما بعدت عن مراكز انطلاقها من الاراضـي التـي اغتصبت من اخواننا الفلسطينيين ، ويسالون مـا العلاج . هناك علاج واحد للشفاء من هذه الحالـة المرضية المنهكة : انه الاتحاد ثم الاتحاد ثم الاتحاد ، ولا شيء غير الاتحاد . اتحاد الرغبة والارادة ، واتحاد الكلمة المعلنة جهرا والكلمة المبلغة سرا ، وقبـل ذلك وبعده وقف هذه الحرب الاثمة الدائرة منذ اربع سنوات بين بلدين مسلمين جارين هما العراق وايران وتنفيذ ميثاق منظمة مؤتمرنا الاسلامي المستوحـي من اوامر الله المحرمة لاقتتال المسلمين وتحريـك المادة الخاصة في ميثاق مؤتمرنا والتـي تنص على حل ما قد ينشا من منازعات بين دولتين اسلاميتين بالوسائل السلمية بالمفاوضة او الوساطة او التوفيق او التحكيـم .

ان الاصرار على المضي بهذه الحرب الاثمة بعد كل المساعي الاسلامية وغير الاسلامية ورغم كـل الخطوات التي خطاها احد الطرفيـن المتحاربيـن ليساعد على وقف القتال والتفاوض يضعف من وزن الدول الاسلامية في ميزان قوى العالم ويشجع الاعداء والخصوم على تحدي المسلمين ويبـدد مليـارات الدولارات التي تنفق على السلاح والحـرب وكان اوجب ان تنفق في ميادين التنميـة الاقتصاديـة والاجتماعية ويزيد من ازهاق ارواح المسلمين فـي قتال لا يمكن ان يحقق الظفر عنوة بالنهاية لاي مـن الطرفين ويصرف اهتمام المسلمين عن العديد مـن الاخطار والتحديات الاخرى التي تواجهم .

فوق كل هذا فان كل يوم جديد يمر على هـذه الحرب المقيتة يطيل من ماساة الشعب الفلسطيني وعذابه ويضاعف من الاخطار التي تتعرض لها الامـة العربية والعالم الاسلامي عامة وفلسطين السليبـة والقدس الشريف خاصة ويغري قـادة اسرائيـل باتباع المزيد من المنهجية والتصلـب والتطـرف ويقودهم الى الايغال في سياسة العـدوان التـي ينتهجونها عابثين بحرمـات الاسلام ومقدساتـه ومنتهكين لحقوق المسلمين والعرب بعد ان اخذتهم العزة والاثم واعمتهم الكبرياء وتمكن منهم الغرور حتى اصبحوا لا يابهون للمبادىء والمثل العليا التي يقوم عليها المجتمع الدولي ولا يعيرون اهتماما للمقررات الصادرة عن المنظمات والمحافل الدولية على اختلاف مستوياتهـا .

ايهـا السـادة :

ان الفقرة الاخيرة التي استمعتم اليها الآن هي نص الفقرة الاولى من معاهدة الاتحـاد بين دولتـي المملكة المغربية والجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية والتي وقعتها في الثالث عشر من شهر غشت الماضي مع صديقي الرئيس العقيد معمـر القذافي واستفتينا عليها الشعب المغربي والشعب الليبي في 31 غشت الماضي فافتينا باجماع شهـد بصـدق الجميـع .

معاهدتنا هذه سميناها بموجب مادة من موادها « معاهدة الاتحاد العربي الافريقي » وقلنا في صلب

مادة اخرى منها : ((يجوز للدول الاخرى المنتمية الى الامة العربية والاسرة الافريقية ان تنضم الى هـذه المعاهدة وان تصير اعضاء في الاتحاد)) .

واقتناعا من المملكة المغربية بان الانعتاق مـن الضغط والشتات والهوان والتخلف وكلها امـراض تئن شعوب المغرب العربي تحت وطاتهـا يمكـن ان تعالج بانتظام دول المغرب في اتحاد يمكن ان يسمى ((اتحاد دول المغرب العربي)) على ان يبقى هـذا الاتحاد مفتوحا لجميع الدول العربية لتنضم اليـه سواء كدول بمفردها او على شكل اتحادات اقليمية ، وان يظل بعيدا عن اية مشاعر عرقية او عنصريـة بصفتها مخلفات جاهلية لا تتفق مع الاسلام وتعاليمه ولان كل الدول العربية اعضاء في منظمة المؤتمـر الاسلامي منذ قيامها فسيسهل هذا التعاون والتضامن العربي الاسلامي على جميع الاصعدة كما سيسهـل بروز الشخصية العربية والشخصية الاسلامية على الصعيد الدولي وبذلك يجتمع شمل الامة الاسلامية ويتوحد صفها وكلمتها وتنصرف طاقاتها ومواهبهـا المهدورة حاليا في الخلافات والحروب الى البنـاء والتجديد والتحديث والى خلق مناخ من النظام والامن والاستقرار ليساعد على بعث العبقريـة العربيـة والاسلامية من جديد لتسهم كما اسهمت في الماضي في اثراء كنوز المعرفة البشرية باشعاعها في شتى مجـالات الحضـارة الانسانيـة .

واذ يتم الله نعمته على امتنا بالاتحاد ونصبـح كما وعدنا جل علاه في كتابه العزيز : ((خير امـة اخرجت للناس)) سنتبوأ يومئذ المكانة اللائقة بنـا بين امم الارض ونفرض احترامنا على العالم ويصبح لنا صوت لا يمكن تجاهله ووزن نستطيع به ترجيـح كفة السلام العالمـي .

وسيكون من النتائج الاولى والطبيعية لهـذا الاتحاد القضاء على سوء التفاهم والخلافات التـي تنشب بين الاشقاء من حين لآخر وتتحول احيانا الى حروب حامية تزيد الهوة عمقا والمسافة بعـدا بين الشقيقين فيعم السلام والتفاهم والتعـاون هـذه الرقعة المباركة الشاسعة التي تمتـد عليهـا دار السـلام .

وسيكون من نتائج هذا الاتحاد كذلك نهاية هذه الحروب الموسمية التي تشنها اسرائيل على جيرانها كلما قويت وتفتحت شهيتها الى ابتلاع المزيد مـن اراضيهم لبناء اسرائيل الكبرى التي ما تفتا تصـرح علانية بانها تقع بين النيل والفرات .

واعتقادي ـ وارجو ان تشاركوني ايـاه ـ ان مجرد السير الجاد في هذا الطريق سيعطي للحقوق المشروعة لاخواننا الفلسطينيين بوطنهم قوة لا تقاوم. ويحد من الصلف العدواني لزعماء اسرائيل ويبخـر احلام من يحلم منهم باقامة كيانات ميكروسكوبية حول اسرائيل على اسس عنصرية او طائفية تـدور في الفلك الاسرائيلي ويمهد الطريق امام الحـل العادل لقضية فلسطين ويحقق حلم العرب والمسلمين في اقامة اتحاد للدول العربية بتعاون وبتضامن مع الدول الاسلامية في السراء والضراء .

وسيكون لكتلة بهذا الحجم من الوزن المـادي والمعنوي في المحافل الدولية مـا يساعدهـا على التاثير بشكل ايجابي على التوازن الدولي لصالـح السلام العالمي وما يجعلها عامل ضغط قوي على اي جانب سولت له قوته ان يتجبر كما سيتيـح لنـا الوقوف الفعال في وجه التسابـق الجنونـي الى التسلح والتنافس في صنع آلات الدمار وتحديثهـا وتطويرها وتصعيد ايقاع انتاجها ونقلها الى الفضـاء حيث لا تبقى ولا تذر .

فاذا استطعنا الحد من هذا التصعيد وخلق جو من الثقة والطمانينة بين المتنافسين فسنكون قـد حولنا هذا المسار المؤدي بالانسانية الى اليـاس والفناء وساعدنا على اثبات السلام العالمي .

كل هذا يمكن تحقيقه واكثر لو اننا اتحدنـا وتضامنا واستلهمنا قوله تعالى : ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكـم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها)) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)) ، ولو اننا صدرنا في جميع اعمالنا عن قيمنـا الروحيـة وتقاليدنا الاسلامية السمحاء لاستطعنا ان نفـرض الاخلاق العالية في التعامل الدولي ونفرض النفعية القومية العاجلة التي تستهوي الجانب الكهفي المظلم مـن الانسـان .

وليس بيننا وبين تحقيق هذه الامنية الحبيبة الى قلوبنا وقلوب شعوبنا الا الايمان الصادق والارادة القوية والعزم والتصميم على قهر التردد والتشكك وخوف المجهول والاقدام بعد تفكير عميق وحساب دقيق على تكوين اتحاد او تكتل تطبعـه العقلانيـة والمرونة ويحمل بذور بقائه وتجدده فيـه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

إحياء الكراسي العلمية بجامع القرويين :

المجالس والكراسي العلمية ماهي إلا نواة للجامعة الشعبية التي سبق الإسلام إلى نظامها.

للدكتور عبد الكبير العلوي المدغري
وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية

• • انطلقت يوم الجمعة 9 محرم 1405 هـ موافق 5 اكتوبر 1984 عملية احياء الكراسي العلمية بجامع القرويين بفاس ، وذلك في اطار العناية البالغة التي يوليها أمير المؤمنين ، جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله للتعليم الاسلامي الاصيل ولدور المسجد في حياتنا الجديدة ربطا للحاضر بالماضي وتقوية للمبادىء الدينية ودعما لحركة التوعية الاسلامية ، على المستوى الجماهيري العام .

وبهذه المناسبة اقيم حفل كبير بجامع القرويين تراسه السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري وبحضور السيد مستشار صاحب الجلالة الاستاذ السيد أحمد بن سودة ، والسيد مولاي المهدي العلوي الامراني عامل صاحب الجلالة والسيد العلامة الاستاذ الحاج احمد بن شقرون رئيس المجلس العلمي بفاس وعميد كلية الشريعة بجامعة الرقويين والسادة رؤساء المجالس العلمية الاقليمية وعدد من سامي الشخصيات العلمية والسلطات المحلية وجمهور من المؤمنين والمؤمنات .

وقد تحدث بالمناسبة كل من السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والسيد مستشار صاحب الجلالة والشيخ محمد المكي الناصري رئيس المجلس العلمي بالعدوتين باسم المجالس العلمية ، والسادة الاساتذة العلماء : محمد الزيزي ، ومحمد الازرق ، وعبد الكريم الداودي .

وننشر في هذا العدد كلمتي السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والسيد مستشار جلالة الملك الاستاذ السيد أحمد بن سودة .

على ان ننشر في العدد القادم بحول الله كلمة فضيلة الشيخ محمد المكي الناصري ، رئيس المجلس العلمي بالعدوتين ، وقصيدتين شعريتين للعلامة الاستاذ احمد بن شقرون ، رئيس المجلس العلمي بفاس ، وعميد كلية الشريعة بجامعة القرويين ، والعلامة الاستاذ محمد حماد الصقلي . .

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

السيد مستشار صاحب الجلالة ابن القرويين البار الاستاذ الكبير السيد حمد ابن سودة السيد عامل صاحب الجلالة ـ السيد رئيس المجلس العلمي الاقليمي بفاس ـ السادة رؤساء المجالس العلمية بالمملكة المغربية ـ حضرات السادة العلماء ـ حضرات السادة الكرام . السلام عليكم ورحمة الله .

في رحاب هذا المسجد العظيم وفي جوه المتميز بالجلال والوقار والمتأرج بالسكينة والطمأنينة تتراءى للمرء أجيال مرت كانت لها هنا مجالس وكان لها علماؤها وادباؤها وشعراؤها وزعماؤها وأهل



السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية يلقي كلمته

الحل والعقد فيها ، فكم درس الناس هنا من علم ، وكم شهدت هذه البقعة الطاهرة من مجالس وحلقات، وكم عاشت من احداث ، وكم تخرج فيها من علماء ، وكم نبغ من ادباء ، وكم ظهر من بين ابنائها من ساسة وزعمـــــــاء .

عطاء استمر قرونا عديدة لم يفتر ولم يحد عن الخط الذي رسمه له مؤسسوا هذا الجامع ورواده ، ثم أراد الزمان ان ياتي عليه كما ياتي على كل شيء ، فعملت الشيخوخة والموت عملهما في رجاله فضعف من ضعف ومات من مات واصبحت صهوات المنابر خالية من فرسانها ، واطراف اغصان الكراسي فارغة من أطيارها ، وخيم الصمت والحزن والفراغ وكاننا في قفرة قديمة ليس فيها الا ذكرى الماضي وحزن الفراق ، وشعر ابناء هذا الجامع باليتم فهم كلمـــا طافوا بمنابره وجاسوا حول سواريه بكوا شعرا ونثرا وسرا وجهرا ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وانا للـه وانا اليــه راجعـــون .

واراد الله تعالى ان يظهر نعمته على النــاس فشمل بعنايته وحفظه طائفة من بقية ذلك السلـف الصالح من علماء هذا الجيل العتيق بقيت أملا ورجاء وذخرا وملاذا ، وشاء الله تعالى ان يتدارك العلـم والعلماء في هذا المسجد العظيم على يد ملك مــن صلحاء وعلماء ملوك المغرب هو أمير المؤمنين الحسن الثاني الذي اهتم لحال العلم والعلمـاء في هـــذا المسجد وامر حفظه الله باحياء الكراسي العلميـة وارجاعها الى سالف عهدها وماضي عزها ، وبـدا حفظه الله بانشاء المجلس العلمي الاعلى وجعله امينا على هذه الكراسي العلمية حتى يعطيهـا ضمانـة تشريعية كافية لبقائها واستمرارها ، بل انه حفظـه الله رسم لهذه الكراسي العلمية منهجها وحدد لهـا اتجاهها حتى تكون اداة من ادوات ربط ماضي الامة بحاضرها ووسيلة من وسائل بناء مستقبلها ، وهذه فقرات من الخطاب السامي الذي القاه جلالته عنـد انشاء المجلس العلمي الاعلى ، وسيظهر لكم من خلال هذه الفقرات مدى عناية جلالته بهذه المجالس ومدى رعاية جلالته لهذه الكراسي ومدى اهتمامه الدقيق بالتفكير فيها وفي مناهجها الدراسية وفي منطلقها وغاياتها ، يقول جلالته حفظه الله مخاطبـا رؤساء واعضـاء المجـالس العلميـة :

« انكم حضرات العلماء ولست ادري ولا اريد ان ادري من هو المسؤول هـل انتـم ام الادارة او

السياسة ام البرامج ، أصبحتم غائبين عن الميدان اليومي في المغرب ، بل يمكنني أن اقول انكم اصبحتم غرباء ، ذلك وليس من تلك الغربة التي يقال فيهـا وطوبى للغرباء ، فهذه الغربة تؤدي ثمنها جميعـا ، كنا اطفالا ام شبابا ام كهولا ام شيوخا تؤدي ثمنها ، لانه اصبح الاسلام وتدريس الاسلام في الجامعات او في المدارس الثانوية لا يعدو ان يكون دروسا لتعليم نواقض الوضوء او مبطلات الصلاة ، فأن هو تحليل النظام الاقتصادي والاجتماعي والاشتراكي المحض الصرف الاسلامي ، أين هو تعليل وتلقيـن الطلبـة والتلاميذ على أن الدين قبل كل شيء هو المعاملات ، ولا أعني بالمعاملة التحفة او القضاء ، أعني بها حتى المعاملات الدولية ، حتـى معامـلات الشورى في البرلمان ، حتى معاملة السلطة مع الرعية ، حتـى معاملتها مع الاقلية منها كانت نصرانية او يهوديـة ، بحيث ما من نقطة دستورية سياسية او اقتصادية او اجتماعية الا ونجد لها الجواب في الاسلام وحتى اذا لم نجد لها جوابا لا نجد بابا مغلقا امامنا للتشريـع بما يطابق العقيدة والنظام ، فلي اليقيـن ـ يقـول جلالته ـ انكم ستنفخون بروح جديدة في وطننـا العزيز ، ذلك أن الدروس التي ستخلقها من جديـد تلك الكرسي هي كراسي العلم بدون النظـر الـى التقاعد او غير التقاعد ، فالتقاعد يكون ربما فيمـا يخص الاعضاء لا فيما يخص الفكر ولا الحفـظ ولا أتقان التلقين ، ستجدون في هذا المجال وسيلـة لتبينوا حتى لطلبتنا الذين في كلية الشريعة وكليـة اللغة العربية وكلية الآداب وكلية الحقـوق الذيـن يريدون ان يطعموا ما تلقوه من معلومات في كتـب جديدة عصرية بوسائل عصرية ان يطعموا معرفتهـم وعلمهم بالاصول وبركائز تربيتنا وتثقيفنا ودوافـع المشرع ويسيرون دائما وفق دوافع المشرع ، لان المشرع الاسلامي لم يغلب الفرد على الجماعة مهما كان قدره وكيفما كان شأنه ، بل يغلب كتلة الجماعة الصالحة على الفرد الضال .

في انتظار ان تكونوا لا اساتذة للعلم ، بل ان تكون كراسيكم اندية ، تلك الاندية التي ما حرمنا الله منها حينما كنا نتلقى العلـم على مشايخنـا : سي أقصبي رحمه الله والسيد المدنـي بن الحسنـي والفقيه الشفشاوني والسيد الطايع بن الحاج والسي عبد الرحمن بن عبد النبي ومولاي عبـد الواحـد العلوي وأمثالهم ، لقد كان لنا الحظ ان ادركنا اولئك الفطاحل وكانت دروسهم اندية فكانوا يخلطون الادب بالنحويات واللغويات والفقهيات ، وكانوا لا يفرون من المذاكرات ، بل كانت دروسهم أحاديث ، بل كانـوا في أكثر الاوقات يجعلون الطالب هو الذي يسأل لانه يتمتع بما يلقنونه من معرفة وعلوم .

فعلينا ان نعلم مرة واحدة ـ يقـول جلالـة الملك ـ ان المجالس ليست مجالس وعظ وارشاد ، هذا هو المستوى الذي ادى ببعض الدول الاسلامية على انها ظنت انها خلقت وسيلة وروحا للدفاع ، بل خلقت اوكارا للتشكك ، الوعـظ والارشاد لـيس مـن مهامكـم » .

حضرات السادة العلماء :

تعمدت ان آتي بهذه الفقرات الذهبية من خطاب جلالة الملك حفظه الله ونصره ، لانها تشير الى منهج وطريقة ونظام الكراسي العلمية كما يريدها صاحب الجلالة ، ومن هذه الكلمات الذهبية من مولانا امير المؤمنين يمكننا ان نستخلص الحقائق التالية :

أولا : ان انشاء الكراسي العلمية كان من أسمى اهدافه وانبل غاياته ارجاع العلمـاء الى مواقعهـم الطبيعية في المجتمع ومراكزهم في الامة ليباشروا اداء رسالتهم التي تفرض عليهم في الوقت الحاضر تمكين المسلمين في الانتفاع بالاسلام في كل جانب من جوانب حياتهم العلمية ، وتفجير الطاقة الايمانية في الشعب وتوجيهها نحو التنمية والبنـاء الاقتصادي والاجتماعي واستغلال الكراسي في المسجد استغلالا عمليا يزيد في الرفع من المستوى العلمي والثقافـي للجماهير بدل الاقتصار على الوعظ والارشاد .

ثانيا : ان المهمة الاساسية للمجالس العلميـة هي احياء هذه الكراسي العلمية ، وللملك فانني ارى وطبقا لمنطوق ومفهوم الخطاب الملكـي السامـي المشار اليه أن من واجب كل عضـو من اعضـاء المجالس العلمية أن يكون له كرسي في المسجد لا للوعظ والارشاد ولكن لتلقين العلم ، وان لا يكـون عضوا في المجلس العلمي الا من كان اهلا لشغل هذا الكراسي ، فالمجالس العلمية ليست مكاتب ادارية لتسهيل الوعظ والارشاد في الاقليم بقدر ما هي خلايا علمية في كل اقليم تقوم بنفسها بنشر العلم وتسهر على تنظيم نشر العلم بواسطة علماء الاقليم بالاضافة الى رعايتها لعمل الوعظ والارشاد في مناطق نفوذها.

ثالثا : ان المجالس العلمية والكراسي العلمية ينبغي ان تكون نواة للجامعة الشعبية ، تلك الجامعة التي سبق الاسلام الى نظامها ، لقد كانت القرويين دائما جامعة شعبية تفتح صدرها لكل طالب ، لا اعتبارات في السن ، ولا اعتبارات في الطبقة الاجتماعية ، ولا اعتبارات في الجنس ، ولا اعتبارات في اللون ، فالعلم رهن اشارة الجميع والباب مفتوح للجميع والكراسي العلمية في مسجد واحد كراسي متنوعة بتنوع فروع العلم وضروب المعرفة ، والطالب يكرع من كل علم ما شاء ويختار الاستاذ الذي يشاء ، والعلم الذي يشاء ويستغني عن العلم الذي له فيه زاد كاف ، وهكذا ابواب المساجد مفتوحة للشعبيين وللمثقفين ، والكل يستفيد من دروس ذلك العالم الذي يجلس على الكرسي العلمي .

المجالس العلمية في كل اقليم ينبغي ان تحيي هذه السنة وهذا النظام وهذه الطريقة التي جرى عليها السلف والتي كانت هي الطريقة الشعبية الجديدة على مر الزمان بنشر العلم في الامة الاسلامية والتي اهلت الامة الاسلامية لتحتل المكان الاول في ميدان العلوم وفي ميدان الفنون على مدى التاريخ ، ويوم فرطنا في هذه الكراسي العلمية حصل تقهقر في الجانب العلمي والجانب الثقافي لامتنا ، وتاخرنا في مسيرتنا وتقهقرت خطانا وسبقتنا الامم ، لذلك فان نظر أمير المؤمنين حفظه الله كان نظرا بعيدا ، ورأيه كان سديدا ، وتنبه حفظه الله الى سر تقدم الامة الاسلامية ايام عزها والى ان آخر هذه الامة لا يصلح الا بما صلح به أولها ، ولذلك نادى حفظه الله باحياء المجالس العلمية، فهو ابو الفكرة وهو صاحبها وهو الساهر على تنفيذها وهو ما فتىء حفظه الله يولي تعليماته ويصدر أوامره لاخراجها الى حيز الوجود .

واليوم تاخذ وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية على عاتقها تنفيذ الامر الملكي بأمانة واخراج الفكرة الى حيز التطبيق والى حيز الوجود كما اراد لها صاحبها حفظه الله ونصره ، وقد بدانا بالقرويين لان القرويين هي ام الجامعة المغربية وهي منطلق الاشعاع العلمي في المغرب وفي العالم الاسلامي لعدة عصور ، ولان علماء القرويين هم علماء المغرب قاطبة يتخرجون من القرويين وينتشرون في ربوع البلاد لنشر العلم ، فاحياء الكراسي العلمية في القرويين هو احياء للعلم في المغرب كله ، وبدانا بمواكب طيبة مختارة من خيرة علماء القرويين لتحتل مكانها ولتعود الى منابرها وليعود الى هذا الجامع العظيم سالف عزه ومجده ، هذه الطائفة الخيرة من العلماء لن تقوم بالوعظ والارشاد ، فالوعظ والارشاد ليس من مهماتها ، ستقوم بتلقين العلم حسب كتب معينة وحسب منهج معين وعلى الطريقة القديمة ، طريقة الحلقات العلمية وطريقة الاجازات العلمية ، لاننا في سالف عهدنا لم تكن عندنا الشهادات ، كان الشيخ يجيز تلميذه حسبما تلقى عنه من العلوم وحسبما نقل اليه من الاسانيد ، هذه الطريقة تعود اليوم ، والشيخ هو الذي سيجيز تلامذته بالعلوم التي تلقوا عنه ، وان شاء الله سيستفيد من هذه الدروس طلبة كليات الجامعة الموجودة هنا بفاس ويستفيد منها جمهور المثقفين بمدينة فاس ، وتستفد منها الاطر الدينية من خطباء ووعاظ ومرشدين في هذه المدينة المباركة، وسيستفيد منها كل وارد على فاس ، وان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ستسهر سهرا خاصا ودائما على استمرار هذا العمل وعلى دوامه وعلى نجاحه ، وستمده بكامل الدعم وكامل العناية والرعاية حتى يثمر غرسه بحول الله وحتى يحقق امل امير المؤمنين حفظه الله ونصره وحتى تفرح به قلوب المؤمنين ، لان الواقع أن هذه العملية خلقت فرحة عظيمة وكبيرة في قلب كل غيور على القرويين وفي نفس كل محب للقرويين وفي كل من له ايما صادق قوي ، فينبغي لنا أن نحافظ على هذا الامل وعلى هذه الفرحة ليكون ان شاء الله طاقة لاحياء كراسي علمية في اقاليم اخرى وفي جهات اخرى وليمتد الاشعاع اشعاع القرويين من جديد كما كان في الماضي ليشمل المغرب كله .

ايها السادة الافاضل لا أطيل عليكم ، ونسأل الله تعالى أن يجعل ثواب هذا العمل في صحيفة امير المؤمنين وان يرعاه ويحفظه كما رعا هذا المسجد العتيق وان يحيي به وعلى يديه كل أمر نافع في هذا البلد وفي هذا الوطن كما احيا هذه الكراسي العلمية وأن يمد في عمره حتى يرى في شعبه ما يحب ويرضى وان يكلاه بعينه التي لا تنام وان يحفظه بالسبع المثاني والقرءان الكريم وأن يقر عينه بسمو ولي عهده الامير الجليل سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الامير السعيد مولاي رشيد وسائر افراد اسرته النبيلة الطيبة انه سميع مجيب ، والسلام عليكم ورحمة الله .

مستشار صاحب الجلالة الأستاذ أحمد ابن سودة يتحدث عن:



ماضيا وحاضرا ومستقبلا

صاحب المعالي ، صاحب السعادة ، اصحاب الفضيلة ، اخواني وزملائي ورفقائي في الدراسة علماء القرويين .

لقد كنت متغيبا عن المغرب وعلمت بهذا الحفل المبارك والجمع السعيد فقطعت أربعة عشرة ساعة طائرا لاكون بجانبكم ، وفي هذا الصباح والآن وقبل مجيئي كنا في اجتماع تحت رئاسة صاحب الجلالة نصره الله وحفظه ، ولكن لم يكد يحين الوقت حتى اخبرت جلالته بان هناك جمعا في القرويين فامرني ان التحق بكم عاجلا وذلك تقديرا منه لهذا الجمع العظيم، وامرني ان ابلغكم تحياته ومتمنياته لكم بالنجاح مع دعواته لكم بالتوفيق .

اخواني :

من الصعب على من تعلم في رحاب هذا المسجد، ومن الصعب على من التحق به وسنه لا تعدو الثانية عشرة أن يقف في هذا اليوم وفي هذا الحفل لم يتكلم ويتحدث عن الحاضر أو المستقبل دون ان يعود الى لوراء ، اقف هنا لاذكر اساتذتنا الذين تعلمنا عليهم ، أن كل سارية كان لها علماؤها ، وباب الصومعة كانت لها علماؤها وكانت القرويين خلية علم وادب وثقافة تمد المغرب وتمد العالم الاسلامي كله ، وتعود بي الذاكرة يوم ان كنا نقف تحت الثريا ، تلك الثريا التي تذكرنا بالاندلس وايامنا في الاندلس ومصيبتنا في الاندلس ، تحت الثريا كنا نخطب ونتكلم واقفين نحرك همم هذه الامة ولكننا لا نكاد نخرج من باب الشماعين حتى يلقى القبض علينا ، وفي سنة اربع واربعين ، ما كدنا نخرج من هذا الباب ، باب الشماعين حتى اخذ الرصاص يتلعلع وسقط اول شهيد وهو مولاي اسماعيل العلوي ، اذكر هذا للذين لم يعيشوا هذه الايام ، للذين لا يحمدون الله على هذه الايام ، للذين يظنون انهم في جهنم وهم في نعيم مقيم ، يقولون انت دائما متفائل ، لست بمتفائل ، ولكنني واقعي اعرف كيف كانت هذه البلد وكيف اصبحت ، كنا نخطب ونخرج من هنا الى السجن ، كنا نخطب ونذهب من هنا الى المنافي ، واليوم انظروا الى اجتماعنا ، من امر بجمعنا ؟ من امر بان نتحدث ؟ عادة العلماء والمصلحون يتقدمون الى الحكام ليطالبوهم بالاصلاح ، ومن نعم الله على هذا البلد الامين أن امير المؤمنين هو الذي يجمع العلماء ويدفع العلماء ويطالبهم بالاصلاح ، وهذه نعمة لا تقدر، كم من مصلحين عذبوا في البلدان الاخرى ، وكم من حركات اسلامية عذبت وسجنت لانها قالت كلمة الحق ، وفي هذا البلد الامين الذي انعم الله عليه منذ أن اصبح دولة اسلامية تحت امرة مولانا ادريس الاول رضي الله عنه وملوكه دائما كانوا حماة للعلم وللعلماء ، اذكر هذا ليعرف شبابنا الذي يتنعم بالحرية والاستقلال وبالنشر وبالكلمة ان الجيل السابق ، ان الجيل الذي سبقهم أشترى حرية الكلمة بحياته بدمه بحريته للاستشهاد ، وبذلك ان شعوري اليوم

هو شعور خاص ، ارى العلمـــاء ارى اول حركـــه اضراب قمنا بها هنا في هذا القرويين اول اضراب نظم في المغرب بالقرويين من اجل اصلاح القرويين ، هنا في هذا المكان وبهذا المسجد ، واليوم ولذلـك الفرنسيون ضاقوا بهذا المسجد ، الفرنسيون ضاقوا بهذه الجامعة ، وفي سنة الف وتسعمائـــة واربـع واربعين وقع اجتماع لما عن غباء واما عن جهل بهذه القضية ، ومن العجيب ان علماء القرويين انفسهـم أصبحوا يشكون في اهلية القرويين لانهم يـــرون أن الذين تعلموا اللغات الاجنبية سبقوهم الى المناصب، ولذلك تجد ان أكثرية أبناء العلماء لا يحسنون اللغة العربية ، يرسلون أبناءهم الى الارساليات والبعثات الفرنسية لانهم يريدون أن يحتاطوا لانفسهم ولـم يفكروا . كما بدأنا اول خلق نعيده ، هنا يصدق ، لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها ، ولكـن اذا فتن العلماء وزاغ المواطنون فان الله أكرمنا بملك حكيم يعرف ما يقول ويعرف ما يعمل لانه تخرج من مدرسة محمد الخامس ، وكما سمعنا الآن في الفقرات التي القاها صاحب المعالي صديقي الاستاذ عبـد الكبير العلوي المدغري فان صاحب الجلالـــة محمد الخامس هيأ لابناء أبنائه المدرسة المثالية ، التـي تحافظ على الاصالة في اطار التحديث والعصـر وتنهل من حياض العلوم الجديدة مع المحافظة على القـديمــــة .

اننا لسنا كبعض الدول ، لا اذكر اية دولة ، لا ماضي لها ولا تاريخ لها ، نحن في هذا المسجد ونحن في هذا البلد الذي من مزاراته ادريس الثاني ، الذي من مزاراته ابو بكر المعافري ، الذي من مزاراته ابن الخطيب ، الذي من مزاراته ابن غازي وغيرهم وغيرهم وغيرهم من الذين تضيق الساعات لذكر أسمائهم . فنحن لنا ماضي كبير ، ولذلك فهذه الجامعة لها دور أساسي ، ولعلمائها دور أساسي هـــو أشرف مـــن المناصب واكرم من الوظائف ، عند اصحاب هـــذه الجامعة ارث الانبياء : القيام بالرسالـــة ، وايتساءل الماديون ما ذا سيعمل هؤلاء العلماء ، ان اكبر واغلى بضاعة مطلوبة في العالم كله هي العلوم التي لديكم

انتم مطلوبون في أوربا ، في آسيا ، في افريقيا، في بلدكم ، علماء القرويين وطلبتها لم يكونوا كثيرين في الماضي ، كنا عام 36 لا تتعدى ما بين حضريين وبدويين ثمانمائة ، وكانوا قائمين برسالة الاسلام في المغرب كله ، ثم بعد تلك المدارس تخرج الاطبـــاء والمهندسون لانهم جميعا لم يعدوا ان يقوموا بالدور



السيد مستشار صاحب الجلالـة يلقـي كلمتـه بالمناسبـه

الذي كان يقوم به الصفارون والحدادون والنجارون ولكن العلماء كانوا متميزيـــن .

فاس كانوا يقولون انها كانت محترفهة ، لماذا ؟ لان كل اهل فاس كانوا علماء ، ولكن كان هناك العلم النظري فكانت جامعته هي القرويين وما دار حولها من المساجد ، ولكن كانت هناك جامعـــات كثيـــرة الحدادين والصفارين والطرازين الخ . والآن كـــل المدارس تقوم بتلك الادوار ، ولكن يبقى للقروييـــن دورها ، ولكن هذا يتطلب ان يكون علماء القروييـــن راضين ومحبين للمعارف ، المسألـــة فوق الوظيف وفوق المنصب بحيث نريد ان نكون اصحاب رسالة اولا ، نريد ان نكون اصحاب رسالة ، لا علة للعلماء لا عذر لهم بعد اليوم ، جلالة الملك ، السلطة ، الدولة تهيىء لهم القيام برسالتهم ، هذه الوضعية لا توجد في اي بلد من بلد العالم الاسلامي ، وبذلك فانني عند ما اتذكر كيف كان يعاقب العلماء ويمنعون من التدريس لانهم قالوا كلمة الحق ، وكيف كان يسجن ويقتـــل الخطباء لانهم قالوا كلمة الحق ، ما كنا نظـــن اننـــا سنعيش حتى نكون هنا جالسين ومعنا ممثل صاحب الجلالة عامل يعني جنرال اليوم كان ينتظرنا جنرال امس ، اما الآن فهو موجود من صاحب الجلالـــة ، ممثلو صاحب الجلالة كلهم حاضرون ، وجلالة الملك عنده علم بكم وقلبه معكم ويدعو لكم وهو يقول لكـــم تقدموا وانا في مقدمتكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتـــــه .



من التراث العلمي في الغرب الاسلامي :

رسالة ابن البنا على الصفيحة الزرقالية الجامعة

تقديم وتحقيق : الأستاذ محمد العربي الخطابي

1 ـ مقدمة التحقيق :

عني الرياضيون والفلكيون المسلمون عناية كبرى بآلات الرصد الفلكي المختلفة الاسماء والمتعددة المنافع كالكرة وذات الكرسي والاسطرلاب والرخامة والصفيحة والربع المجيب وذات الحلق وذات الصفائح ، وقد عمل العلماء على تطوير آلات الرصد والفوا فيها كتبا ورسائل لا يكاد يحصيها العد (1) .

وقد ساهم علماء الغرب الاسلامي في هذا المجهود العلمي الرائع ، وبرز من بينهم اعلام مرموقون كان لهم نصيب ظاهر في تطوير علوم الرياضيات والفلك وضبط مقاييس الرصد ، ومن هؤلاء مسلمة ابن احمد المجريطي (ت قبل 398 هـ / 1007 م) ، وابو اسحق ابراهيم بن يحيى النقاش التجيبي الطليطلي المعروف بابن الزرقالة Azarqueil عند اللاتين ـ (493 هـ / 1100 م) ، وابو القاسم احمد بن عبد الله الغافقي القرطبي المعروف بابن الصفار (426 هـ / 1034 م) ، وابو علي الحسن المراكشي مؤلف جامع المبادىء والغايات (اواخر القرن السابع الهجري / الهجري الثالث عشر الميلادي) ، وابو علي الحسين بن ابي جعفر الاسلمي المعروف بابن باصه (ت 716 هـ / 1316 م) ، وابو العباس احمد بن محمد الازدي المراكشي المعروف بابن البنا (721 هـ / 1321 م) .

وممن عني من هؤلاء بالآلة المعروفة بالصفيحة ابن الزرقالة ، وبن باصه ، وابن البنا الذي هو موضوع هذه المقدمة التي يليها نص الرسالة المسماة بالصفيحة (الزرقالية) نسبة الى مخترعها سالف الذكر . وقد لخصها ابن البنا وقربها الى المشتغلين بهذه الصناعة . وكلا الكتابين ـ الصفيحة الشكازية للزرقالي ، والصفيحة الجامعة لابن البنا ـ ما يزال مخطوطا .

1 ـ الصفيحة الزرقالية وصاحبها :

تعرف الرسالة بالشكازية ، وتعرف ايضا بالصفيحة الزرقالية ـ نسبة الى مخترعها ابي اسحق ابراهيم بن يحيى النقاش التجيبي المعروف بابن الزرقالة . ذكره القاضي ابو القاسم صاعد الاندلسي في « طبقات الامم » ولقبه بولد الزرقيال وقال عنه انه : « ابصر اهل زماننا بارصاد الكواكب وهيئة الافلاك وحساب حركاتها ، واعلمهم بعلم الازياج واستنباط الآلات النجومية » (2) .

(1) انظر : كركيس عواد في « الاسطرلاب » وما الف فيه من رسائل في العصور الاسلامية ـ بغداد 1957 .

(2) طبعة عبد الرؤوف الدباغ ، مطبعة السعادة بمصر . ص : 117.

وقد ألف ابن الزرقالة كتابا جامعا شرح فيه اجزاء الصفيحة التي اخترعها ـ وتعرف في الغرب باسم Asafeia وهي آلة كاملة المدارات والممرات يعمل بها في سائر العروض في جميع الآفاق ، والكتاب مرتب على ستين بابا مسبوقة بمقدمة وفصل شرح فيه الرسوم الموضوعة في ظاهر الصفيحة وباطنها .

وقد استعرض ابو اسحق في مقدمة رسالته عن الصفيحة منافع آلات الرصد الظلية والشعاعية كالرخامات المسطحة وارباع الدوائر والكرة والاسطرلاب والحلق والعضايد ، مبينا تفاوتها في صلاحية الاستعمال ، ثم انتقل للكلام على الآلة التي استنبطها ، وهي عبارة عن صحيفة واحدة رسومها مشتركة ، صالحة لمعرفة جميع العروض في كل افق ، وهي سهلة الاستعمال في اكثر الوجوه ، ومعدة لوجدان الحركات السماوية السريعة والبطيئة والاحوال العارضة باضافة بعض مواضع الارض الى السماء والى حركتها ، وبالجملة فان مؤلفها يرى « انها قد استوفت جميع ما يحتاج اليه من الاعداد المرسومة والموضوعة ، وهي على ضربين : كاملة حفيلة التخطيط والرسوم ، ومختصرة » .

وقد ترجمت رسالة الزرقالة في العمل بالصفيحة الى اللغة العجمية تحت اشراف الفونسو العاشر المعروف بالحكيم ، وذلك ضمن كتب فلكية اخرى له (3) .

وفي الباب الاول من الرسالة الزرقالية المختصرة استعرض ابو اسحق الرسوم الموضوعة على الصفيحة في فصل مستقل ، يتصدر الرسالة الزرقالية ، وقد رايت ان اثبت فيما يلي نصه ليتسنى مقارنته مع الباب الاول من رسالة ابن البنا .

قال ابو اسحق :

« فصل في تسمية الرسوم الموضوعة في ظاهر الصفيحة المشتركة وفي باطنها » .

فاول ذلك الدائرة التي عليها اقسام الدرج هي دائرة نصف النهار ، وفوق الدرج خمساتها .

والقطر الآخذ من العلاقة الى اسفل الصفيحة هو مدار الاستواء .

والقطر القائم عليه هو افق الاستواء .

وقطع الدوائر القائمة عليه التي تمر باقسام الخمسات هي المدارات ، فما كان منها ـ بعد ان تعلق من علاقتها ـ على يمين الناظر هي المدارات الجنوبية ، وما كان عن يساره هي المدارات الشمالية .

وبعد المدارات عن كل واحد من طرفي مدار الاستواء مكتوب على دائرة نصف النهار متيامنة ومتياسره عنه الى ان يتناهى الى (ض) (4) .

ونقطة التسعين في النصف الذي فيه المدارات الشمالية هي قطب معدل النهار الشمالي ، والنقطة الاخرى التي هي عند (ض) من النصف الآخر هي قطب معدل النهار الجنوبي .

وقطع الدوائر التي تجتمع على القطبين هي الممرات المستقيمة ، وافق الاستواء بينهما ، وبعد كل واحد منهما عن دائرة نصف النهار التي تلي العلاقة مكتوب على القطعة الشمالية فيما بين مدار الاستواء واول المدارات الشمالية الى ان تبلغ (قف) (5) عند دائرة نصف النهار اسفل الصفيحة ، ثم يتزايد العدد صاعدا فيما بين مدار الاستواء واول المدارات الجنوبية الى ان تبلغ (سص) (6) عند دائرة نصف النهار مما يلي العلاقة .

---

(3) انظر Millas Vallicrosa; Estudos sobre Azarquiel, Madrid 1943. p.21
وانظر ايضا « تاريخ الفكر الاندلسي » لانخيل جنثالث بالينثيا ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1955 ، ص : 452 .

(4) عبر ابن البنا عن حرف الضاد بالتسعين درجة ، كما سنرى . والضاد ـ كما هو معلوم ـ يقوم مقام 90 .

(5) قف (قاف وفاء) هو ما عبر عنه ابن البنا بمائة وثمانين .

(6) سص (سين صاد) عبر عنه ابن البنا بـ : 360 .

والخط المستقيم الذي عن جنبيه أسماء البروج مكتوبة عليها هو خط الطول .

وقطع الدوائر التي تجتمع على طرفي القطر القائم عليه هو أقسام البروج .

والنقطتان اللتان يجتمع عليهما قطر أقسام البروج هما قطبا فلك البروج .

والدوائر الصغار التي عليها اسماء الكواكب مكتوبة هي الكواكب الثابتة ، فما كان من اسماء هذه الكواكب مكتوب صاعدا الى ما يلي العلاقة فهو من الصنف الصاعد من البروج الى تلك الناحية وما كان منها مكتوبا هابطا الى ناحية اسفل الصفيحة فهو في النصف الهابط من البروج الى تلك الناحية .

فاما المضادة الصغيرة التي هي دون شطبتين هي الافق المائل ، والاجزاء المقسومة على حرف هذه المضادة التي تمر بمركز الصفيحة هي اجزاء الافق المائل ، وابعادها من المحور مكتوبة عليها .

واما الرسوم التي في ظهر الصفيحة فاول ذلك دائرة الارتفاع والظل ، وفي النصف الاعلى منها اجزاء الارتفاع وفي الاسفل اصابع الظل المبسوط والمنكوس، فالمنكوس منها هو اصابع الظل التي تبدأ من طرف القطر القائم على الخط الآخذ من العلاقة الى اسفل الصفيحة ، ويبلغ العدد الى 12 ، واصابع الظل المبسوط – يعني التي تبدأ من اسفل الصفيحة يمنة ويسرة صاعدا الى تمام 12 اصبعا .

وفي داخل دائرة البروج اجزاؤها ، وفي داخل دائرة الشهور ايامها ، وفي داخل دائرة الخمسين الشبيهين بدائرة نصف النهار في الوجه الآخر ، مربع الظلين والعضادة وفيها شطبتان يؤخذ بهما الارتفاع كما في ظهر الاسطرلاب » (7) .

وسيلاحظ القارىء ، بمقارنة هذا الفصل بالباب الاول من رسالة ابن البنا ، ان هذا الاخير ادخل بعض التغييرات الطفيفة بدافع الرغبة في الاختصار والتيسير . وقد قلنا ان رسالة ابي اسحق ابن الزرقالة تحتوي على ستين بابا ، الباب الاول منها في معرفة درجة الشمس من برجها من قبل ما مر من الشهر العجمي من الايام ، ومعرفة اليوم من الشهر العجمي من قبل درجة الشمس ... واما الباب الستون والاخير فموضوعه معرفة ظل الزوال في كل يوم ، ومعرفة وقت الظهر والعصر .

أما رسالة ابن البنا فتقتصر على ثلاثة وعشرين بابا لخص فيها المؤلف مختلف الاغراض الرصدية التي تحققها الصفيحة ، الا أنه اضاف غرضا آخر لم يتعرض له ابن الزرقالة وهو معرفة ارتفاع الجدر وعمق الآبار وعرض الوديان ، وهو ما يدخل في باب المسح الطوبوغرافي .

ابن البنا :

ترجم له أبو الحسن علي بن عبد الله التادلي الشهير بهيدور (ت 861 هـ – 1413 م) في الفصل الاول من مقدمة كتاب « التمحيص في شرح التلخيص » (8) – وهو الفصل الذي خصصه لترجمة ابن البنا – فقال :

« هو احمد بن محمد بن عثمان الازدي المراكشي الدار ، الشهير بابن البنا ، مولده بمراكش بقاعة ابن الناهض في التاسع او العاشر من ذي حجة متم عام اربعة وخمسين وستمائة ، وكان والده يتحرف بالبنيان – (أي كان بناء) – واخذ هو بكنفي العلم والعليا ، واخذ بطرفي الدين والدنيا ، كان امام الحضرة المراكشية تقتبس أنواره وتنتجع نجوده وأغواره . عظمته ملوك الدول وتلقته بالمبرة والخول ، اخذ من علم الشريعة حظا وافرا ، وبلغ في العلوم القويمة الغاية القصوى والمرتبة العليا . وأخبرني شيخي وسيدي ابو زيد عبد الرحمن بن الشيخ الفقيه الاصولي ابي الربيع سليمان اللجائي – رحمه الله – حين قراءتي عليه بمدرسة العطارين بمدينة فاس

---

(7) هذا الفصل منقول عن النسخة الخطية الفريدة المحفوظة بالخزانة الحسنية ، رقم 6667 – مجموع (3) .

(8) كتاب التمحيص هو شرح لرسالة ابن البنا الشهيرة : « تلخيص اعمال الحساب » ، ويوجد من التمحيص نسختان خطيتان بالخزانة الحسنية برقم 252 ورقم 2425 / رياضيات . انظر ترجمة ابن هيدور في الجذوة 2 : 475 وفي سلوة الانفاس : 3 : 311 وفي الاعلام 4 : 306 .

المحروسة انه قال : كان شيخنا ابو العباس ابن البنا ــ رحمه الله ــ شيخا وقورا حسن السيره قــوي العقل مهديا فاضلا حسن الهيئة طويل القد ابيــض اللون ، يلبس الثياب الرفيعة ويأكل المآكل الطيبة . وكان لا يمر بموضع الا ويسلم على من لقيه ؛ ما رآه احد وتحدث معه الا انصرف عنه وهو يثني عليــه ، وكان محبوبا عند العلماء والصالحين والولاة والعمال، مشغولا بالنظر والبحث والتعليم ، حسن الالفة قريب الافادة ماهرا في جميع العلوم محققا لها ، محبا في اهل العلم ، حريصا على افادة الناس بما عنده ، وكان قليل الكلام جدا فلا يتكلم بهذر ولا بما يكون خارجــا عن مسائل العلم . وكان اذا حضر في مجلس فتكلم فيه يسكت لكلامه جميع من حضر ... حتى قيــل فيه : أن عنده كلام السكوت ، اي انه يسكت بــه النــاس اذا تكلـــم .

« قال شيخنا ــ رحمه الله ــ انما ابو العبــاس كان محققا في كلامه قليل الخطا فيـــه » .

« واخبرني الشيخ الصوفي ابو عبد الله محمد ابن شاطر ــ رحمه الله ــ قال : كان ابو العباس احمد من اهل العلم متفننا في فنون كثيرة ، وكان ينظر في احكام النجوم مع المحافظة على الديــن واخذه في علوم أهل السنة واشتغاله بهـــا ، وكان اخــذا في الطرقين بالحظ الوافر ، وخدم في اول حاله ولى الله تعالى المجاب الدعوات العظيم البركات أبا عبد الله الهزميري ــ رضي الله عنه ــ ودخل في طريقه مــع الفقراء الذين كانوا تلامذة له فأعطاه ذكرا من الاذكار ودخل به الخلوة مدة من سنة ... » .

وقد اغرب صاحب كتاب التمحيـــص في سرد بعض خوارق المكاشفة التي وقعت لابن البنـــا في خلواته ، ولم نر فائدة من نقلها هنا ، ونكتفي فيما بعد بايراد قائمة شيوخه اعتمادا على ما ذكره ابن هيدور التادلي في الكتاب المشار اليـــــه .

شيــوخـــــــــه :

قرا القرءان ببلدة مراكش على أبــي عبد الله محمد المراكشي المعروف بابــن مبشر ، وتــلاه بحروف نافع من طريق ورش وقالون على « المقرب الصالـــح » لمعـــروف بالاحــــدي .

وتادب في العربية بقاضي الجماعة ابي عبد الله محمد بن علي بن يحيى الشريف ، قرا عليه بعض كتب ابن عمرو بشر بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه، ولازم حضور مجلسه مدة وذاكره في مسائل مــن كتاب الاركان لاقليدس فكان الحق فيها معه ، اذ لم تكن صناعة لابي عبد الله المذكور ، ورد عليــــه في مسائل من التناسب في كتابه الذي الف في صناعة التنجيـــم والحساب ، وهـــم فيهــــا .

وقرا على ابي اسحق ابراهيم بن عبــد السلام الصنهاجي المعروف بالعطار ــ رحمه الله ــ جميع كتاب سيبويه والكراسة المنسوبة لابي موسى عيسى الجزولي قراءة تفقه وتفهم وحل لمشكلاتها وبحــث عن غوامضها ، واملى عليه ــ حال قراءته عليــه ــ كراسة أبي موسى بشرحه المعروف له عليها ، وكتبه له بخطه ، وصححه له ، ثم بعد ذلك زاد فيه ابــو اسحق المذكور مباحث وقوانين ، ونقحــه واخرجه لمن رغب في ذلك من الطلبة الراحلين اليه .

واخذ علم العروض عن ابي بكر محمد بن ادريس ابن مالك الفارابي القللوسي ، لقيه بمراكش وقــرا عليه كتابه الكبير المسمى بالختام المفضوض عــن خلاصة العروض ، وارجوزته العروضية المسمـــاة (بالنكت العامية في مشكل الفوامض الوزنيـــة) ، والعروضية المسماة باثارة المسائل لغوامــض من معلقــــات الفرائـــض .

وروى الحديث عن ابي عبد الله المحمدين بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي ، شهر قديما بابن الدهان وحديثا بابن عبد الملك ، قرا عليه كتاب الموطا لامام دار الهجرة مالك بن انس الاصبحي رواية يحيى بن يحيى الليثي ، وقرا عليه عروض ابي محمد ابن علي السقاط ، وتكرر بين يديه في عقود الوثائق وانتفــع بــه كثيــرا .

وتفقه بابي عمران موسى بن ابي علي الزناتي ، قــرا شرحـــه على الموطـــا لمالــــك بن انــس ــ رضــي اللـــه عنـــه ــ

وقرا ارشاد أبي المعالي على ابي الحسين محمد ابن عبد الرحمن المغيلي القاضي الكاتب قراءة تفقه فيـــه حتـــى اكملـــه .

وقرا على ابي الوليد ابي بكر محمد بن حجاج الاندلسي كتابي ابي حامد الغزالي : المستصفى والمعيار .

وقرا على ابي القاسم الحوفي ونفقه عليه في كثير من كتاب تهذيب البراذعي (في الفقه المالكي).

واخذ علم السنة على قاضي الجماعة بفاس ابي الحجاج يوسف بن احمد بن حكم التجيبي ، وكذلك علي ابي يوسف يعقوب بن عبد الرحمن الجزولي المكناسي .

وكذلك اخذ عن ابي محمد الفشتالي وعلى ابي عبد الله محمد بن عثمان بن سعيد شهر بابن ابي سعيد ، كنية ابيه ، قرا عليه الطب ، واخذ علم العدد عن ابي محمد بن علي المعروف بابي حجلة ، واخذ علم النجوم على ابي عبد الله محمد بن خلوف السجلماسي نزيل مراكش .

مؤلفاته في الرياضيات والفلك :

الف ابن البنا عددا كبيرا من الرسائل القصيرة في شتى الموضوعات والعلوم كالتفسير والقراءات واصول الدين واصول الفقه والمنطق وعلم البيان والتصوف ، الا ان اشهر ما خلفه من آثار مؤلفاته في الرياضيات والفلك ، وسنقتصر فيما يلي على ذكر ما وصل الينا علمه منها :

— تلخيص اعمال الحساب ، وهو من اشهر مؤلفاته وقد طبع بتحقيق الدكتور محمد سويسي في تونس عام 1969 ، وترجمه الى الفرنسية Aristide Marr ونشر عام 1864 .
— رفع الحجاب عن وجوه اعمال الحساب ، وهو بمثابة شرح للتلخيص (ما يزال مخطوطا) .
— مقدمة على اصول اقليدس .
— المقالات الاربع .
— القوانين .
— كتاب الاصول والمقدمات .
— رسالة في ذوات الاسماء والمنفصلات .
— رسالة القانون في العدد .
— الاقتضاب (رسالة في العمل بالعدد الرومي) .
— مقالة في مقادير المكاييل الشرعية .
— رسالة في المساحة (مختصر) .
— كتاب في المساحة (مطول) .
— منهاج الطالب لتعديل الكواكب (طبع بتطوان عام 1952) .
— المستطيل (مختصر لكتاب المنهاج) .
— اليسارة في تقويم الكواكب السيارة .
— المناخ لتعديل الكواكب .
— رسالة في رؤية الاهلة .
— المنهاج في تركيب الازياج .
— تاليف في احكام النجوم .
— مقالة في عمل الاسطرلاب .
— مقالة في العمل بالشبكة التي تكون في ظهر الاسطرلاب .
— رسالة في العمل بالصفيحة الزرقالية (وهي موضوع هذه الدراسة) .
— رسالة اخرى في العمل بالصفيحة .
— مختصر رسالة ابن الصفار في العمل بالاسطرلاب .
— رسالة في ذكر الجهات وبيان القبلة .
— كتاب الانواء وفيه صور الكواكب (نقله الى الفرنسية P. J. Renaud بعنوان :

Le calendrie d'Ibn al - Banna de Marrakech ; Paris 1948
— اختصار في الفلاحة .
— رسالة في العمل بالميزان .
— القانون في معرفة الاوقات بالحساب .
— رسالة في فصول السنة .
— رسالة في ترحيل الشمس .

ومعظم هذه التواليف ما يزال مخطوطا ، وكثير منها في حكم المفقود . وسوف نعمل – بحول الله – على نشر الموجود منها في خزانات الكتب .

الصفيحة الجامعة :

هي رسالة مختصرة على ثلاثة وعشرين بابا ، الباب الاول منها في تسمية الرسوم الموضوعة في وجه الصفيحة وفي ظهرها ، وتتناول بقية الابواب طريقة العمل بها في الاغراض الفلكية المختلفة كمعرفة درجة الشمس من برجها ، واخذ ارتفاع الشمس والكواكب ، ومعرفة نقطة الطلوع والغروب

الشمس ولسائر الكواكب ، ومعرفة قوس النهـــار والليل ، ومعرفة ازمان الساعات النهارية والليلية ، ومعرفة الدائر من الفلك من قبل ارتفـــاع الشمس بالنهار والكواكب بالليل ، ومعرفة مطالع البروج في الفلك المستقيم وتحويل درج الطالع الى درج السوء ، ومعرفة الدائر من الفلك ، وبعد الكواكب من مواضعها ، ومعرفة مواضع الكواكب ، ودرجة وسط السمـــاء ودرجة الطالع ، ومعرفة سمـــت لشمس بالنهـــار والكواكب بالليل ، وتحديد الجهات الاربع ومعرفـــة القبلة ، ومعرفة اصابع الظل المبسوط والمنكوس ، واخيرا معرفة ارتفاع الجدار وعمق الآبار وعـــرض الوادي وما شابـــه ذلـــك .

والرسالة مكتوبة بعبارات سهلة على الطريقـــة التطبيقية التي يراد بها التوصل الى استخدام هذه الآلة الرصدية استخداما صحيحا .

وقد اعتمدت في تحقيق هـذه الرسالـــة على ثلاث نسخ ، خطية محفوظة بالخزانـــة الحسنيـــة ارقامها : 6667 / مجموع (1) – 1818 / مجموع (1) – 6501 / مجموع (2) . وقد سبق وصفهـا في المجلد الثالث من فهارس الخزانة : « الفهرس الوصفي لمخطوطات الرياضيات والفلـــك واحكـــام النجوم والجغرافية » الصادر بالرباط عام 1403 هـ/ 1983 م ، ص : 309 – 311 .

(ينشر في العدد القـادم – ان شاء الله – نص رسالة الصفيحة كاملا ومحققـــا) .



تاريخنا الإسلامي

لا يمكن تفسيره إلا بمنهج إسلامي

للأستاذ أنور الجندي

ان محاولة تفسير التاريخ الاسلامي عن طريق مناهج واحدة لا يستطيع ان يحقق نتائج حقيقـة ، فالتاريخ يفسره منهج مستمد منه ، والتاريخ الاسلامي يفسر عن طريق منهج اسلامي لتفسير التاريخ ، اما التفسير المادي للتاريخ فانه لا يستطيع ان يستوعب حقائق تاريخ الاسلام . كذلك فان المنهج الذي يقدمه الفكر الليبرالي يعجز ايضا عن تفسير حقائق تاريخ قام على اساس منهج رباني المصدر ، قد حقق نتائج مصدرها الايمان العميق بالله تبارك وتعالى واذعانا لفريضة الجهاد التي تضع قاعدة : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة باذن الله » ، وقد جرت محاولة تزييف التاريخ الاسلامي عن طريق المستعمرين عن طريق تزييف الوقائع واثارة الشبهات حول تفسيرها ايمانا من المستعمر بأن التاريخ سلاح بعيد الاثر في خلق وعي الامم ونهضتها وجريا وراء خطة تشويه الحضارة الاسلامية رفعا للمسلمين والعرب الى التنكر لقيمهم وابطالهم والجري وراء بريق التاريخ والحضارة الغربيين ، ومن هذه المراجع كتب فيليي وبروكلمان التي تعتبر في بعض الجامعات كمراجع اساسية ، ومن حق النهضة الاسلامية على الباحثين اليوم تعقب هذه السموم والكشف عنها وتصحيح اخطائها لانها تمثل عصبة حقيقية امام منطلقات لم تكن في اول القرن الخامس عشر ولا بد من ان توضع في الاعتبار ان القوى الغالبة والمسيطرة والطامعة في البلاد الاسلامية وثرواتها تعمل على استخدام التاريخ كاحد الوسائل لدعم نفوذها وتحويل نظر المسلمين عن منبع شر من منابع القوة والايمان بالشخصية والثقة بمجد هذه الامة ودورها في بناء الحضارة الاسلامية .

وفي العقود الاخيرة ظهر طابع التفسير المادي للتاريخ على ايدي الماركسيين ليزيد هذه المحاولة خطورة ، ونجد الآن امامنا ثلاث تيارات تواجه التاريخ الاسلامي وتحاول تسميم منابعه وتزييفه : يتمثل في الاستشراق الغربي والاستشراق الماركسي والاستشراق الصهيوني ، وكل استشراق له غايات واهداف ، ولكنها كلها تجمع على ضرب امجاد المسلمين وخاصة في تاريخ الرسول وتاريخ القرءان وتاريخ الصحابة والخلفاء .

ولا ريب ان تاريخنا الاسلامي له جوانب القوة وجوانب الضعف وهي لا تنفصل وتفسيرها واضح ، هو انه كلما اقترب المسلمون من نهج الله في التطبيق صاحبهم النصر والتمكن ، وانهم كلما تركوا هذا المنهج ضربتهم الامم : « يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم » ، « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » « ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » ، هكذا حذر القرءان المسلمين من الانحراف عن نهج الله .

وعلينا أن ندرس تاريخنا وفق منهج اسلامي أصيل يعترف بالوحي وبالمعجزة وبالنبوة قد قال

الله للمجاهدين في سبيله : (ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) . وعلينا ان نعرف اسباب الهزائم والنكبات وان نكشف عنها وان نعرف ان التماسنا اسلوب الغرب في الحرب لا يجدي نفعا ، فلا بد من ان يجمع المسلم من القوة المادية والقوة الروحية، ولقد كان لصيحة الله اثرها الكبير في النصر مما حفز الاكاديميات العسكرية في الغرب الى دراسة هذه الصيحة بوصفها « سلاح كوني » .

وتاريخنا الاسلامي غني بصفحات النصر والقوة والرحمة والعدل والاخاء الانساني ، ويتميز بسرعة الحركة على سطحه ونظرها في عمقه — كما يقول احد الباحثين — اى انك تقراه فتجد الحوادث متدافعة متلاطمة وكلها حوادث شخصية . نزاع على السلطان او حطام الدنيا ، فاذا نظرت في العمق ترى حركة المجتمع وجدت شيئا يشبه الركود ، المجتمع نفسه يتحرك في بطء شديد ، والقرون تمضي والمجتمع على حاله . ولقد تظهر في الطبقات العليا روحا من الانحراف او الاضطراب ولكن اعماق المجتمع تظل سليمة مؤمنة . ان لب التاريخ الاسلامي في الحقيقة هو العمران وليس السلطان هو الحضارة وليس السياسة .

يقول الدكتور يوسف العش : لقد حاول الكثيرون ان يصموا تاريخنا بكثرة الحروب والفتن والمكايد والاضطرابات ، والنظرة الصحيحة تعطي البيان الواضح من ان هذه الوصمات لا اصل لها صحيح ، وكل ما في الامر ان هناك تفاعلات في المجتمع الاسلامي العربي كانت تاخذ طريقها ، ولا بد ان تاخذ طريقها في ذلك المجتمع ، وان هذه التفاعلات سنة من سنن الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وهي تفاعلات تحدث في كل امة بل ان الامم الاخرى كانت تتلقاها بعنف اكثر مما تتلقاها به المسلمون والعرب ، وتاريخ الامم الاخرى ممزوج بالحروب والفتن والاضطرابات اكثر من التاريخ العربي ، فهذا تاريخ فرنسا والمانيا منذ الثورة الفرنسية (وهما من اعظم الامم التي ساهمت في تاريخ العالم) ان تاريخهما مليء بالحروب . حروب الثورة الفرنسية ، حروب نابليون ، حرب 1870 ، حرب 1911 ، حرب 1919 ؛ كل ذلك في مدى لا يتجاوز قرنا ونصف القرن ، والضحايا التي وقعت في هذه الحروب تتجاوز اضعافا مضاعفة ضحايا الحروب في تاريخنا بأجمعه .

فاذا عرفنا هذا امكن ان تكون نظرتنا في كتب التاريخ الاسلامي التي يقدمها الاستشراق ناضجة يقظة الى الغايات الخفية التي ترمي الى القول مثلا بان النهضة في العالم العربي بدات بحملة نابليون 1798 (والحقيقة ان هذه النهضة بدات بدعوة التوحيد التي ظهرت في الجزيرة العربية 1740 وفي اماكن كثيرة باسم (العودة الى المنابع) كذلك حاولت هذه الدراسات ان تصور حركات الاستعمار للاستيلاء على اجزاء من بلاد العرب وافريقيا على انها رحلات استكشافية ، ومن ذلك الهجوم على الدولة العثمانية التي حمت الوجود الاسلامي أربعة قرون ، او الهجوم على السلطان عبد الحميد الذي عارض رغبة الصهيونية والمؤامرة بالاقامة في فلسطين .

او ما يصورونه من ان البلاد العربية عاشت تحت سلطان الفرس واليونان والرومان ، والحقيقة ان البلاد العربية قاومت كل هذه النزوات ، وانها قبلت الاسلام لانه حررها من هذا النفوذ .

ولقد كان من اكبر اخطائنا في المدة الاخيرة كتابة التاريخ عن طريق الاسلوب الوطني الذي يعلي من شان الاقليم ويتجاهل الروابط العربية الاسلامية او عن طريق الاسلوب القومي الذي يتجاهل الروابط الاسلامية التاريخية في « الوحدة الاسلامية الجغرافية والعقائدية » ، وقد مرت هاتان الموجتان وجاءت بعدهما موجة الحركات السياسية ، والحقيقة ان التاريخ الاسلامي للامة الاسلامية متكامل جامع لا سبيل الى فصل قطر بنفسه او عصر بنفسه ، وان الامة الاسلامية تجمعها عقيدة وكتاب وفكر موحد ، مهما اختلفت لغاتهم وتناءت ديارهم فهم نجابة القارة الوسطى كما اطلق عليهم نابليون ، ولا يزالون تجمعهم كلمة الله الى يوم البعث .

انور الجندي

وَلئِنْ زلّتـا

(قوانين الطبيعة في الإسلام)

للأستاذ عبدالحق فاضل

تعجبت كثيرا حين قال لنا معلم (الدين) في أيام الحداثة ان النار ليست حارة بطبعها بل ان الله تعالى يعطيها صفة الحرارة حين نمد يدنا اليها ، وان الثلج ليس باردا بطبيعته بل ان الله تعالى يعطيه صفة البرد حين نمسه . لم أفهم ، فاستفسرته كثيرا وناقشته طويلا فما استطعت ان ازحزحه عن قالته ولا هو استطاع ان يقنعني او يدلي بأي سبب يدعو الى مثل هذا الراي - بدل القول ان النار طبيعتها الحر والثلج طبيعته البرد ، كما هو ظاهر . ولم أعرف حتى اليوم احدا من اوساط المسلمين اقتنع بهذا الراي الغريبي .

ان الارض وحدها فيها ملايين النيران ، والمفروض بناء على هذه النظرية ان الله جل شانه ما يفتأ يودع الحر كل واحدة منها كلما دنا منها حيوان او مسها انسان او وضع فوقها ابريق قهوة ، واسلبها الحر كلما انتهى ذلك . ناهيك بنيران الكون من المجرات التي لا يستوعبها فكر ولا يحصيها عقل بشري ولا الكتروني ، وبعضها يبعد عن مجرتنا الوف الملايين من السنوات (الضوئية) التي استطاعت الاجهزة الالكترونية ان تكشفها وترصدها بالاضافة الى ما هو أبعد منها واكثر عددا مما لم يستطع بعد جهاز ولا عقل أن يدركه . فهذه الاجرام كلها نيران ترسل ضوءها وحرارتها واشعاعاتها على مدى الازمان ، ولا يشعلها العلي القدير ضوءا وحرارة واشعاع تموجات كهربية وصوتية كلما تحراها الجهاز ويطفئها كلما كف عن تحريها البشر التافهون ، ليكون بعضها حارا مشعا لانه في متناول الاجهزة وسائرها باردا لم يودع الله فيها الحرارة لاننا لم نتصل بها . كانما يقصد القائلون بهذه النظرية ان الكون يشبه لوحة (بدالة التلفون) يصل العامل فيها هذا الرقم ويقطع اتصال ذاك حسب طلب المتكلمين . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

الذي يبدو لي أن نص التنزيل ينفي هذه النظرية ، فليس في الآيات التي ورد فيها ذكر النار ما يدل على ان طبعها غير الحرارة والاحراق او ان هذه الخاصية تأتيها حين يعذب بها الكافرون . واوضح من ذلك الآية : « قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم » (الانبياء : 59) ، فهي تنبيء بجلاء انه لو لم يأمرها الله بأن تكون بردا وسلاما على ابراهيم لتصرفت معه على سجيتها واحرقته .

لكن الامر اكبر خطورة وخطرا عند الكلاميين ، مما يتصور القارىء ، فبعضهم يعدون كل من عجز عن فهم نظريتهم هذه ولم يؤمن بها كافرا . ونعوذ بالله من التكفير وما يستتبعه من مشاكل ، ويتجلى التكفير في قول شاعرهم ، او ناظمهم ، من ارجوزة في الموضوع :

ومن يقل بالطبع او بالعلة
فذاك (كفر) عند أهل الملة

ومن يقل بقوة مودعة
فذاك (بدعي) فلا تلتفت

لم افهم السبب يومئذ ، واعتقد ان جل القراء يستغربون هذه العقيدة كاستغرابي في ايام التلمذة ، ويتساءلون (لماذا ؟) مثل تساؤلي عهدئذ .

ومما يدل على ان الدنيا تجري (بالطبع وبالعلة وبالقوة المودعة) خلافا لقول الفقيه الناظم ، انك اذا اخذت قطعة من معي دجاجة ووضعته في ماء ملح ، اخذ المعي يؤدي وظيفته (الطبيعية) في عملية الهضم فيتلوى ويتمعج كما كان يفعل ايام بهجة الحياة ، بينما صاحبة العلاقة ، الدجاجة ، مذبوحة ، ولعلها اصبحت ماكولة ، وربما مهضومة تتلوى بها امعاء واحد او اكثر من بني آدم ، فاذا قيل ان جهاز الهضم لا يؤدي وظيفته الجسدانية بالطبع او بالعلة او بالقوة المودعة ، في حياة صاحبه بل يعطيه الله قابلية الهضم في الوقت المناسب ، فلا يعقل انه تعالى يعطي معي الدجاجة قابلية الهضم حين يوضع في الماء الملح بلا داع ، حين لا هضم ولا دجاجة ، ولا فائدة .

* * *

انقضت على عهد التلمذة ايام واعوام واتسعت رقعة المطالعة ، فقرات ذات يوم في ذات كتاب انه الى جانب القدامى من فلاسفة الاغريق القائلين بقدم العالم اي انه كان موجودا بنفسه منذ الازل ، ظهرت طائفة اخرى من الفلاسفة آمنوا بعد التفكير في الكون ودقة نظامه واطراده وتتابع ليله ونهاره وفصوله وتعاقب حيوانه ونباته .. بانه لا بد ان الاها قديرا خبيرا قد خلق هذا الكون ودبره وسيره على قوانين محكمة وحسابات مضبوطة ، فصار كل شيء فيه من حيوان ونبات وجماد يسير على وتيرة مضطردة مدهشة — في نظام علي (بالتشديد ، نسبة الى العلة اي السبب) من تلقاء نفسه . وعند هذا الحد وقفت عقولهم ، فقالوا ما دام كل شيء يسير من تلقاء نفسه فما ضرورة وجود الخالق المسير بعد ؟ واستنتجوا ان ذلك الخالق قد مات او انتحر او اختفى ، واستمر العالم من بعده في مسيرته التلقائية .

عندها تذكرت قول معلمي ، رحمه الله : ان النار ليست محرقة ولا حارة بطبعها ، لكن الله تعالى يهبها صفة الحر والاحراق عندما تدنو منها ، الخ . وقلت لنفسي لا بد ان هذا جواب ذاك . هذا جواب بل رد على القائلين ان وجود الخالق لا ضرورة له لان النار محرقة بطبعها وان كل شيء يسير وفق قوانين تلقائية لا محيد عنها ، بدلا من القول انه يسير بارادة الواجب الوجود الذي يسير كل شيء في كل آن .

لكن هذا التاويل يؤدي من حيث لا يقصدون الى ان الله تعالى كانه هو المكلف الملزم باتباع تلك القوانين ، يسخن ويبرد ويكسر ويفجر العقاير ... تنفيذا لمآرب البشر ، حتى الجرائم منها ، عند الطلب . ان الرصاصة ليس من طبعها القتل على رايهم ، لكن الله يجعلها قاتلة عندما يريد المجرم اطلاقا على احد عباده الصالحين ، حتى الحيوان يريد ان يشرب فيعطي الله الماء صفة السيلان ، ويريد ان يثب من فوق الصخرة الى الارض فيعطي الله الكرة الارضية خاصية الجاذبية ، فاذا توقفت الرغبة في الوثوب توقفت الجاذبية في ذلك المكان — كانما ارادة البارىء جل وعلا رهينة بارادة مخلوقاته من ابرار واشرار وحيوانات .. على حين ان القول بسيطرة قوانين الطبيعة — طبيعة الله — تعني ان البشر هم الذين عليهم ان يطيعوا الخصائص والاسرار التي اودعها الخالق في طبيعته وملكوته اللانهائي . لان كل شيء خاضع لسنن الخالق ، لا يملك عنها تحولا ، حتى الحجارة تتدهور اذا اقتضت قوانين الطبيعة لها ذلك ، والامواج تضطرب وتصطفق اطاعة للمؤثرات الطبيعية المسيطرة على حركاتها ، دون رغبة منها او من غيرها . « انا كل شيء خلقناه بقدر » (القمر : 49) .

* * *

كنت افكر — لغويا — في تسلسل نشوء هذه الالفاظ بعضها من بعض : ذاب ، زاب ، ساب ، سال ، زال ... وعند (زال) هذه هجس في خاطري تعبير (ولئن زالتا) ، فساءلت نفسي اين سمعت هذا يا ترى ؟ وخطرت لي الآية : « ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ، و (لئن زالتا) ان امسكهما من احد من بعده » (فاطر : 41) . واذا بهذه الآية تتفجر بالنور امامي كالمصباح الكشاف اضاء فجاة بلمسة زر ، لكانها الجواب المباشر على الازعومة الاغريقية ، وطوق النجاة المباشر ايضا لانقاذ المتكلمين من محاولة التعلق بتاويلات لا تقبلها

المعقول ، ان وجود الله يمسك الملكوت ان يـزول ، ولو زال الخالق لزال الكون المخلوق معه ، ولا يعني تعبير « يمسكهما ان تزولا » الا ان من شأنهما وطبعهما الزوال اذا لم يمسكا ، فانت تقول : قيدوا المجرم لئلا يفر ، ولا تقول : قيدوا الضيف لئلا يفر ، لان هذا ليس من شأنه الفرار . فالارض والسموات بحاجة الى امساك والا زالتا ، ومثل ذلك قوله تعالى : « وسع كرسيه السموات والارض ، ولا يؤوده حفظهما ، وهو العلي العظيم » (البقرة : 255) ، ذلك بانهما ـ الارض والسموات ـ بحاجة الى حفظ ، فالواجب الوجود باصطلاح المتكلمين ، واجب الوجود حقا ، لا لانه خلق فقط بل ولانه يمسك ويحفظ ، ولان وجوده متعلق به وجود كل موجود ، لا عن طريق تسخين النار وتبريد الثلج وما الى ذلك كلما مسها انسان تافه او حيوان تائه .. لكن لان كل ذرة من ذرات الكون يعتمد وجودها على ارادة الله وقدرته وحفظه .

وانه لمن عجب ان تنقضي اربعة عشر قرنا دون ان ينتبه ائمة الكلام والتفسير الى هاتين الكلمتين المبينتين : « الامساك » و « الحفظ » وما تنطويان عليه من معنى خطير في علم الكون والايمان . اما المفسرون فيتناولهما بعضهم بالتفسير اللغوي البسيط الذي لا يتجاوز ما يفهمه منهما القارىء المبتدىء ، وبعضهم يهمل الكلام عنهما أصلا باعتبارهما مفهومتين بذاتهما . واما الراغب الاصفهاني فيورد في (معجم الفاظ القرءان) معظم الآيات التي وردت فيها الكلمتان باستثناء الآيتين اللتين عليهما مدار حديثنا ، فهو لا أدري لماذا يتجاهلهما .

لقد صح على اية حال نصف مزعم الفلسفة الاغريقية ونصف نظرية الكلاميين الاسلاميين . فأما الاغريق ففي اعترافهم بالخالق وبحوث العالم وقانونيته لان كل شيء يجري على سنة للطبيعة لا حيدة عنها هي سنة الله « ولن تجد لسنته تبديلا » (الاحزاب : 62) .. وصح كذلك قول المتكلمين ان كل شيء يجري بارادة الله ـ لكنها الارادة المقدرة والمدبرة منذ الازل .

* * *

هل يؤيد العلم ذلك ؟ .. فلننظر .

اذا كان ما تقدم مقنعا للمسلمين المؤمنين بكتاب الله فلعله غير مقنع لفلاسفة الاغريق اولئك وغيرهم من غير المسلمين من قدامى ومحدثين ، ولا بد في مخاطبة هؤلاء من التكلم بلغة العلم .

العلم يقول ان الكون ذرات . ويقول ان الذرة تتالف من ثلاثة اجزاء : (البروتون) ونسميه اللب ، يدور حوله كهيرب (الكترون) ومعهما ما نسميه العازل (النيوترون) ، ولماذا هذا العازل ؟ لان (الالكترون) الكهيرب سالب ، انثى ، والاجدر من اجل ذلك ان يكون اسمها الصحيح (كهيربة) ، تدور حول (البروتون) الذكر ، الموجب . ومن طبع السالبة والموجب اذا تدانيا ان يتجاذبا ويتلاصقا ، فلا تبقى شحنة في احدهما ولا دوران . لهذا كان العازل (النيوترون) يؤدي دور العاذل ، او العذول بين العشاق ، مكفكفا لوعة الشوق الازلي الى الوصال ، حافظا بينهما التوازن والتقارب دون التحام، لهذا لم اتعجب حين علمت ان بعض علماء الذرة يرى ان هذا (المحايد) بحسب تسميته الدولية (**نيوترون :** neutron) قد تكون من التحام (بروتون) موجب مع الكترونة) سالبة ، فافرغ كل منهما شحنته في الآخر واصبحا ذريرة واحدة (صفرا) من الطاقة ، كأنما تزوج العاشقان وشبعا بعض من بعض بعد ان اصبحا كيانا واحدا ، حاسدا وعاذلا للعزاب والعشاق .

وهذه التي وصفنا هي ذرة الهيدروجين ، أبسط الذرات واخفها وزنا ، لانها تتالف من لب واحد وكهيربة واحدة وعازل واحد .

لكن (مادة) هذه الاجزاء الثلاثة ليست سوى طاقة كهربية كما يتضح من تسمية الكهيربة (الكترونة) ، وما الجزءان الآخران الا كهيربات ايضا، وانما دعوهما باسمين مختلفين آخرين تمييزا لبعض الاجزاء الثلاثة عن بعض . والعازل (النيوترون) وان كان خنثى فهو في الاصل كهيرب سابق متزاوج كما قلنا ، وهو ما يزال وثيق الصلة بالكهرباء .

والكهرباء قوة ، طاقة .. لا كيان مادي لها .. شبيهة بطاقة الجاذبية الارضية مثلا ، لكنها في الذرة كهرباء مكثفة مكتلة ، هل اشبهها بالغاز (الطبيعي) الذي يصبح سائلا ثقيلا عند تكثيفه ؟ كهرباء الذرة اشد قوة واعظم تكثيفا من ذلك بكثير . ومن شدة

انضغاط الطاقة وتركيزها في هذا الحيز الصغير ، البالغ الضآلة ، يأتي الانفجار الجبار الذي يحدثه تمزيق الذرة ، اي اجزائها الثلاثة ، المتاخبة ، المتعايشة ، بعضاً عن بعض . فيا لها من طاقة ، ويا له من تكثيف ، ويا له من تماسك .

ويقول العلم ان بداية المجرات كانت سحابة هائلة من الهيدروجين تدور حول نفسها دورانا متسارعا أوجد فيها الحرارة ثم الانفجار والتطاير ، والانفصال ــ الى مجرات . لماذا ؟ لأن هذا هو القانون الطبيعي المودع فيها .

السؤال الخطير المبدئي الذي لا مفر منه ، ولا يصح المضي في البحث قبل تلقي اجابة مقنعة عنه هو : كيف نشأت هذه المجرة الهائلة ؟ من اين جاءت الذرات والهيدروجين ؟ ... اما العلم فلا يعرف جوابا عن هذا ، وانما يجيبنا عنه العقل قائلا : انشأها الذي خلق من عدم كل شيء لا بد له من خالق ، واودع في كل ذرة من الملكوت كل السنن التي نسميها (القوانين الطبيعية) ، البالغة الدقة والتعقيد ، التي لا يمكن ان تكون هي التي أوجدت نفسها او خلقها (لا شيء) من دون مناسبة .. الطبيعة بحاضرها البدائي ذاك ومستقبلها المتطور بعضه من بعض ، تتحكم قوانينها فيها وفي كل تفاعلاتها الحاضرة والمستقبلة .. وكان من تلك القوانين ان تدور المجرة الاولى ، الكبرى ، الام ، حول نفسها وتسخن ، وترسل اشعاعات ضوئية وتموجات صوتية وكهربائية ، وتفعل كل ما توجبه القوانين الاخرى التي ادرك عقل الانسان الكثير منها وما يزال يكتشف ويجهل الاكثر ، وكلما زد بها علما زاده علمه علما بكثرة ما يجهل .

وبارتفاع الحرارة الى الوف الدرجات اندمجت بعض الذرات بغيرها فتكونت ذرات مزدوجة من : لبين وكهيربتين وعازلين ، وبذلك نشأ غاز (الهليوم) ، ولاعطاء فكرة صغيرة عما بلغه علم الانسان من قدرات نقول ان هذا الغاز اكتشفه العلماء بأجهزتهم وادمغتهم في الشمس ، لا في الارض ، وذلك سبب تسميته المنسوبة الى اسم الشمس بالاغريقية (هيليو : Hilio) ، وهو يختلف في خواصه عن الهيدروجين كبير الاختلاف على الرغم من تكوينهما من (مادة) واحدة في الاصل ، ومن اندماج ثلاث ذرات هيدروجين تكون (الليثيوم) ، وهكذا كلما زاد عدد الذرات المتلاحمة ظهر عنصر جديد .

وقد احصى العلماء من العناصر اكثر من مائة ، يختلف بعضها عن بعض في خصائصه الكيميائية والفيزيائية وتفاعلاته والمواد الناجمة من تراكيبه ، منها الغاز ومنها السائل ومنها الجامد ، ومنها الفلزات واللافلزات . وكلها من اصل واحد : الاكسجين والالومنيوم والكلس والفحم والذهب والحديد والزئبق ، كلها من اصل واحد .. ذرات هيدروجين .. ولا فرق الا في العدد ، « ذلك تقدير العزيز العليم » (الانعام : 96) .

* * *

صفوة القول ان الذرة كهرباء ، والعناصر كهرباء ، وهذا القلم بيدي كهرباء ، والورقة بيدك كهرباء ، وانت كهرباء وانا كهرباء . الكون بأجمعه كهرباء في كهرباء ، اصلب العناصر والغازات الطيارة مادة بدائية واحدة ، هي خميرة الكون : كهرباء .

والكهرباء قوة ، لا (مادة) . ولا وجود لها بذاتها ، بل لا بد لها من مصدر يمدها بوجودها . ولنضرب مثلا ، اوصد باب غرفتك ونوافذها وكل منافذها ، واسدل الستائر الثقيلة الكثيفة ، عندها ستجد نفسك في ظلام اسود ، فاحم ، ذلك هو لون الكون قبل خلق المجرات والشموس ، واما الضوء فجاء من المصدر ، « الله نور السموات والارض » (النور : 36) ، ثم اغمز زر المقبس الكهربائي تمتلئ الغرفة من نورها بالضوء ، ولتبق كذلك مملوءة بالضوء ساعة من زمان أو يوما أرضيا كاملا ، أو يوما من ايام ربك ــ حتى تتشبع بالضوء تشبعا . ثم اقطع التيار .. واذا بالضوء ينعدم فورا ، كأن لم يكن ، اين ذهب ؟ لماذا ذهب ؟ من اي المنافذ خرج ؟ لقد انعدم والسلام .

لا يمكنك أن تقول ان الغرفة امتلأت ضوءا واتخمت فلا حاجة بها الى مدد خارجي .

فهل هذا شأن كهرباء الكون ، الخميرة التي منها يتألف كل شيء ؟ الا تزول وتنعدم اذا انقطع عنها المدد الالاهي ويعود الكون مثل غرفتك خواء وظلاما ؟

يخيل لي أن هذا هو الجواب على تلك القالة الاغريقية ..

* * *

« ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا . ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده » .

عبد الحق فاضل

حول تاريخ الأديان

-3-

للدكتور محمد كمال شبانة

اول المرسلين الى بني اسرائيل :

ان اول المرسلين الى بني اسرائيل هو سيدنا يعقوب ، وقد قص القرءان الكريم علينا قصته مع قومه في ايجاز ، ولا يتطرق الى شيء من التفصيل عنه الا حينما يتحدث عن يوسف وقصته .

ويتردد الحديث عن يعقوب في مواضع مختلفة وكثيرة عند ذكر الانبياء بصفة عامة ، بحيث يكون الحديث منصبا على النمط العام الذي تكتسيه نبوة المرسلين ، كقوله تعالى :

« قولوا : آمنا بالله ، وما انزل الينا ، وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وما اوتي موسى وعيسى ، وما اوتي النبيئون من ربهم ، لا نفرق بين احد منهم ، ونحن له مسلمون » (1) .

ـــ « واذكر عبدنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولى الايدي والابصار . انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار . واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل ، وكل من الاخيار » (2) .

ـــ « ام يقولون : ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ؟ قل : أ انتم اعلم ام الله ! ؟ ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ، وما الله بغافل عما تعملون »(3) .

وعليه فان قضية الصعود والهبوط واردة كذلك في جانب سيدنا يعقوب ؛ لكونه بشرا كسائر الانبياء ، وقصته مع ابنه سيدنا يوسف ، وما كان من تمييزه له دون اخوته لدليل على تلك النزعة البشرية ، الامر الذي حدا بالاخوة الى التفكير في قتل يوسف ، حتى ينفردوا بعطف أبيهم ، ويحتلوا مكانة أخيهم لديه :

ـــ « اذ قالوا : ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ، ونحن عصبة ، ان ابانا لفي ضلال مبين ، اقتلوا يوسف ، او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم ، وتكونوا من بعده قوما صالحين » (4) .

ونحن نرى الدافع لهؤلاء الاخوة في هذا السلوك انما هو افتقادهم اباهم وهو ما زال بقيد الحياة ، والسبب لهذا الافتقاد هو يوسف في نظرهم ، وان كان الاب هو السبب الحقيقي ، حيث الواقع المشاهد .

(1) البقرة : 139 .
(2) ص : 45 ـ 48 .
(3) البقرة : 14 .
(4) يوسف : 8 ـ 9 .

ويسرد القرءان الكريم القصة هذه من البداية الى النهاية ، وما ان عاد الابناء الى ابيهم دون اخيهم يوسف ــ بعد ان القوه في غيابة الجب ، واتوا بقميصه ملوثا بالدماء الكاذبة ــ حتى شك فيهم ابوهم ، وخاطبهم : « .. بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون » (5).

ثم يتقدم الابناء الى ابيهم برغبة اخرى بعدئذ ، وهي انهم يريدون ان يصطحبوا « بنيامين » اخا يوسف ، ولكن سيدنا يعقوب ما زال ناقما عليهم فعلتهم السابقة نحو يوسف ، ولذلك خاطبهم في شأن « بنيامين » تبعا لرغبتهم هذه :

ــ « قال : هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل ! ؟ فالله خير حفظا ، وهو ارحم الراحمين » (6) .

فهذا الهبوط البشري ــ كما حكاه القرءان الكريم في صدد سيدنا يعقوب في هاتين المناسبتين ــ لا يقاس بما اوردته التوراة في هذا المضمار ، بل لقد سردت اسفار التكوين عند اليهود الكثير عن يعقوب ، مما لو اتاه بشر آخر لاستحق اللوم مضاعفا..

وهاهي صورة بشعة ، كما جاءت في التوراة سفر التكوين ، فقد تزوج يعقوب ابنتي خاله معا ؛ وهما : ليئة ، الابنة الكبرى ، التي لم يحبها قط ، والتي انجب منها ستة من ابنائه لم يحبهم قط . وراحيل ، الابنة الصغرى الجميلة ، التي احبها وانجب منها ابنيه الاثيرين : يوسف ، (صاحب القصة المشهورة) ، وبنيامين الذي اتى به الاخوة الى يوسف في مصر ، بناء على طلبه (7) .

كما قدمت له كل من الشقيقتين جاريتها ، ليزداد لها حبا ، ولتكون أثيرة لديه ، فانجب من « بلهة » جارية راحيل ابنين ، بينما انجب من « زلفة » جارية ليئة ابنين (8) .

ومن مجموع هؤلاء الابناء الاثنى عشر يتكون اسباط بني اسرائيل الاثنا عشر .

وهكذا .. نرى قضية الهبوط البشري في صورة محدودة في القرءان الكريم في قصة سيدنا يعقوب ، بينما هذا الهبوط نراه في التوراة يتخذ ابعادا ...

النبي المنقذ :

اما النبي المنقذ لبني اسرائيل فهو سيدنا موسى عليه السلام ، وقصته في اكثر من موضع من القرءان الكريم ، وفي كل موضع لها هدف محدد نحو العظة والاعتبار .

وتقترن قصة موسى بالعنت والارهاق الذي اصاب اليهود على يد فرعون مصر (رمسيس الثاني) والاستبداد الذي كان عنوانا له .

على ان هذه الممارسة من فرعون نحو اليهود بمصر انما كانت تعبيرا عن احاسيس المصريين نحو تلك الطائفة التي لم تحاول يوما ان تندمج مع الشعب المصري كما اسلفنا ، وانما استغلته وتعالت عليه ، وتنكرت لضيافته .

وقد قص العهد القديم هذه القصة ، من وجهة نظر بني اسرائيل ، تلك الوجهة التي تتسم بالتعصب، دفاعا بالباطل عن « شعب الله المختار » ، تقول القصة :

« ثم قام ملك جديد على مصر ، لم يكن يعرف يوسف ، فقال لشعبه : هو ذا بنو اسرائيل ، شعب اكثر واعظم منا . هلم نحتال لهم ، لئلا ينموا ، فيكون اذا حدثت حرب انهم ينضمون الى اعدائنا ، ويحاربوننا ، ويصعدون من الارض . فجعلوا عليهم رؤساء تسخير ، لكي يذلوهم بأثقالهم » . « فاستعبد المصريون بني اسرائيل بعنف ، ومرروا حياتهم بعبودية قاسية ، في الطين واللبن ، وفي كل

---

(5) يوسف : 18 .
(6) يوسف : 64 .
(7) العهد القديم : سفر التكوين ــ 1 : الاصحاح التاسع والعشرون : 21 ــ 35 .
(8) المصدر السابق ، الاصحاح الثلاثون : 1 : 13.

عمل في الحقل . كل عملهم الذي عملوه بواسطتهم عنفا ، وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات ، اللتين اسم احداها شفرة ، واسم الاخرى فوعة ، وقال : حينما تولدان العبرانيات ، وتنظرانهن على الكراسي ؛ ان كان ابنا فاقتلاه ، وان كان بنتا فتحيا » (9) .

فكان هذا السلوك لا يتمشى مع منطق العدالة الالهية ، فكان من الضروري ان تتدخل العناية الالهية، وذلك بارسال نبي منقذ ، وهو ما قد حدث بالفعل ؛ انقاذا للبشرية من طوفان الاستبداد .

ولكن لا ينبغي ان نصدق ما يصوره العهد القديم في هذا الشأن ؛ فقد صور اليهود ان الله تدخل لانقاذ « شعبه المختار » !! وانما تدخل - سبحانه وتعالى - لانقاذ الانسانية ان هي تعرضت لاضطهاد او ظلم ، ولو كانت هذه الانسانية تنتمي الى بني اسرائيل ، والذي يعرف عنهم التاريخ انهم اشد كفرا بالله وعصيانا ، وانهم لا يلجاون اليه الا ساعة الحاجة ، والقرءان الكريم يصور قصتهم هذه ، فيقول:

— « ان فرعون علا في الارض ، وجعل اهلها شيعا ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح ابناءهم ، ويستحي نساءهم ، انه كان من المفسدين . ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ، ونجعلهم ائمة ، ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الارض ، ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » (10) .

وكان الرسول الذي بعثه الله لهذه المهمة هو موسى بن عمران ، وهو واحد من بني اسرائيل المضطهدين ، والذي رأى ان يستعين باخيه هارون في الاستجابة لهذا الامر الالهي :

— « وهل اتاك حديث موسى ؟ اذ رأى نارا، فقال لاهله : امكثوا ، اني آنست نارا ، لعلي آتيكم منها بقبس ، او اجد على النار هدى . فلما اتاها نودي : يا موسى ، اني انا ربك ، فاخلع نعليك ، انك بالوادي المقدس طوى . وانا اخترتك ، فاستمع لما يوحى . . اذهب الى فرعون ، انه طغى . قال : رب اشرح لي صدري ، ويسر لي امري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي . واجعل لي وزيرا من اهلي ؛ هارون اخي اشدد به ازري ، واشركه في امري ؛ كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا ، انك كنت بنا بصيرا . قال : قد اوتيت سؤلك يا موسى » (11) .

وتجدر الاشارة الى ان سيدنا موسى هو الطفل الوحيد الذي ينقذ من الموت دون بقية اطفال بني اسرائيل ، بالاضافة الى ان تنشئته وتربيته كانت في قصر فرعون ذاته ، والذي ثار عليه فيما بعد ، وذلك حينما انيطت به الرسالة ، وفي هذا دليل على القدرة الالهية ، والاعجاز العظيم الذي تتضاءل امامه خوارق العادات .

وقد اورد القرءان الكريم قصة انقاذ موسى ، وتربيته في قصر فرعون ، فقال تعالى :

— « واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه ، فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ، ولا تخافي ، ولا تحزني ، انا رادوه اليك ، وجاعلوه من المرسلين . فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا . ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون : قرة عين لي ولك ، لا تقتلوه ، عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا ، وهم لا يشعرون » .

— « وحرمنا عليه المراضع من قبل ، فقالت: هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم ، وهم له ناصحون ؟ فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ، ولتعلم ان وعد الله حق ، ولكن اكثرهم لا يعلمون » (12) .

ونلحظ كذلك سيماء الهبوط البشري عند سيدنا موسى ، وهي اكثر مما لاحظنا في قصة يعقوب

فقد طلب موسى ان يرى ربه ، والح في ذلك

— « ولما جاء موسى لميقاتنا ، وكلمه ربه ، قال : رب ارني انظر اليك ، قال : لن تراني ، ولكن

(9) العهد القديم : سفر الخروج - 2 : الاصحاح الاول : 8 - 16 .
(10) القصص : 4 - 6 .
(11) طه : 9 - 36 .
(12) القصص : 7 - 13 .

انظر الى الجبل ، فان استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقـا ، فلما افاق قال : سبحانك ، اني تبت اليـك ، وانا اول المؤمنيـن » (13) .

كما ان موسى كان يتصف بالعجلة في اخص الامور ، ذلك انه طلب من ربه ان يعذب فرعون وقومه في الدنيا ، بدل ان يطلب له ولهم الهداية ، صبـرا منه وتقربا اليـه :

— « وقال موسى : ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلـك ، ربنا اطمس على اموالهـم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم » (14) .

ويصور الاستاذ قطب ما كان من امر موسى ، بعد ان انقذه ربه من فرعون وملاه ، بعبوره الى سيناء، فيقـول :

« وواعده على الجبل ميعادا ضربه له ، ليلقاه بعد اربعين يوما ، لتلقي التكاليف ، تكاليف النصر بعد الهزيمة ، وللنصر تكاليفه ، وللعقيدة تكاليفهـا ، ولا بد من تهيؤ نفسي ، واستعداد للتلقي » .

« لقد غلب الشوق على موسى الى مناجاة ربه ، والوقوف بين يديه ، وقد ذاق حلاوتها من قبـل ، فهو اليها مشتاق عجول ، ووقف في حضرة مولاه ، وهو لا يعلم ما وراءه ، ولا ما احدث القوم بعده حين تركهم في اسفـل الجبـل » .

« ان الاستعباد الطويل ، والذل الطويل — في ظل الفرعونية الوثنية — كان قد افسد طبيعة القوم ، واضعف استعدادهم لاحتمال التكاليف والصبر عليها، والوفاء بالعهد ، والثبات عليه ، وتـرك في كيانهـم النفسي خلخلة ، واستعدادا للانقيـاد ، والتقليـد المريح ، فما يكاد موسى يتركهم في رعايـة هارون ، ويبعد عنهم قليلا ، حتى تتخلخل عقيدتهم كلهـا ، وتنهار امام اول اختبـار » (15) .

ويصور القرءان الكريم كلتا العجلتين من موسى؛ تعجلة للقاء ربه ، وتعجلة في الغضب على قومه :

— « وما اعجلك عن قومك يا موسى ؟ قال : هم اولاء على اثري ، وعجلت اليك رب لترضى . قال: فانا قد فتنا قومك من بعدك ، واضلهـم السامري . فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا .. » الآيات (16)

وهناك تعجل آخر ومن نوع آخر ، ظهـر في تصرفه سيدنا موسى مع سيدنا الخضـر عليهمـا السـلام :

— « واذ قال موسى لفتاه : لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا .... فوجـدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا ، وعلمناه من لدنا علما . قال له موسى : هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا ؟ قال : انك لن تستطيع معي صبرا».

ومع ان موسى وعد الخضر بالصبر ، حيـن قال : « ستجدنـي — ان شاء الله — صابـرا ، ولا اعصي لك امرا » (17) ، الا انه كان يتعجل الامـر ، قلقا للغاية ، حتى وصل الامر بالخضر الى حد تهديده مرتيـن : احداهمـا بقولـه :

— « قال : الم اقل انـك لـن تستطيـع معـي صبـرا ؟ » (18) .

واخيرا اضطره الى ان يخاطبه بقولـه :

— « هذا فراق بيني وبينك ... » (19) .

(13) الاعـراف : 143 .
(14) يـونس : 88 .
(15) في ظلال القرءان ، المجلد الرابع ، ص : 2643 .
(16) طـه : 83 — 86 .
(17) الكهـف : 69 .
(18) الكهـف : 72 .
(19) الكهـف : 78 .

وأردف الخضر هذا بأن فسر له كل عمل كان موسى يتعجل أسبابه ودافعه « ... ذلك تأويل ما لم تستطـــع عليـــه صبـــــرا » (20) .

ولا غرو فإن تلك العجلة من سيدنا موسى كانت ملازمة له منذ صغره ؛ فقد قتل خطأ وبعصبية أحد المصريين ، وتلك خاصية العصبيين عادة ، سرعان ما يثورون ، فيقعون في المحظـــور ، ثـــم يعودون لرشدهم ، فيتوبون مستغفرين . وقد قص علينـــا القرآن الكريم ما حدث من سيدنا موسى في هـــذا الأمـــر ، فقـــال تعالــــى :

ـــ « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها، فوجد فيها رجلين يقتتلان ؛ هذا من شيعته وهذا من عدوه ... الآيات » حتى قوله تعالى : « وما تريد أن تكـــون من المصلحيـــن » (21) .

ومثل تلك القصة مع سابقاتها ـــ من جانـــب موسى إنما هي دلائل البشرية ، وما يجوز عليها من الخطأ والوقوع فيه ، إضافة إلى انتمائـــه إلى بنـــي إسرائيل بما عرف عنهم من عدم استقرار نفسـي ..

وهكذا .. نرى أن موسى إنما هو نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج ؛ « حيث نرى في تصرفاته التعصب القومي ، كما يبدو الانفعـــال العصبـــي ، وسرعان ما تذهب هذه الدفعة العصبية ، فيثوب إلى نفسه ، شأن العصبيين » (22) .

ولقد ثاب بالفعل إلى رشده ، وعزا ما كان قـــد اقترفه إلى عدو بني الإنسان منذ بـــدء الخليقـــة ، وقال : هذا من عمل الشيطان « إنه عـــدو مضـــل مبيـــــــــن » .

(يتبـــــع)

د. محمد كمال شبانه

---

(20) الكهـــــف : 82 .
(21) القصـــــــص : 15 ـ 19 .
(22) سيد قطب : « التصوير الفني في القرآن » : 162 .

الأصول السوسيولوجية للعاطفة العربية

للأستاذ أحمد بودهان

اولا : مدخل تحليلي لسيكولوجية العاطفة :

العاطفة ظاهرة سلوكية ، تدخل دراستها ضمن العلوم الانسانية العامة وخاصة منها ما يتعلق بالدراسات البيولوجية والسيكولوجية والنفسية للانسان ...

ومن هنا فان العاطفة حالة نفسية مثلها مثل الانفعال والتذكر والنسيان والتعلم وغير ذلك من الظواهر النفسية ، كما انها في نفس الوقت « غريزة » من الغرائز الكامنة في نفسية الانسان ، وتحتاج في ظهورها الى محرك يحركها ، وهذا المحرك هو الذي يسميه علماء النفس بـ « الدافع او الباعث او الحاجة او الرغبة » .

وعلى هذا فان العاطفة رغبة ، والرغبة وليدة الحاجة ، والحاجة معركة للدفاع لاخراج العاطفة من مكامنها المكبوتة فيها حتى قيل ان العاطفة لم تسم لغويا بهذا الاسم ، الا لكونها « تابعة » اى عاطفة حيث انها تتبع اهواء النفس وتنساق وراء غرائزها ، وخاصة اذا كانت هذه العاطفة من العواطف الهوجاء الاندفاعية التي لا يكبح جماحها لجائم العقل والتعقل والتبصر والتدبر وبعد النظر في عواقب الامور كما هو الشأن عند بعض الشباب في الغالب خلال مراحلهم الفكرية والعصرية الاولى ...

وباعتبار العاطفة تعبيرا عن الحاجيات ، فمعنى هذا انه كلما كثرت حاجات الانسان التي تنقصه ، كلما كثرت رغباته ، وازدادت لهفته في طلبها ، وكلما ازدادت لهفاته المتنوعة كلما ازدادت حدة عواطفه وتعددت وتنوعت « تياراتها » العاطفية المختلفة لاشباع رغباته ، والعكس صحيح أيضا ، اى انه كلما قلت الحاجة نظرا لتوفرها كلما قلت الرغبات وبالتالي تقلصت حدة العواطف ، وذلك باعتبارها ظاهرة سلوكية مكتسبة من ظروف البيئة أكثر مما هي ظاهرة موروثة . وبعبارة اخرى يمكن تشبيه حدة العواطف او عدم حدتها نفسيا بـ « قانون العرض والطلب » تماما . اى ان الشيء كلما قل وعز مناله كلما ازداد لدة والعكس صحيح ، اى ان الشيء المرغوب فيه كلما كثر عرضه ووجوده كلما قل طلبه..

اما كيف تتم عملية العواطف سيكولوجيا وبيولوجيا حتى تستقر في النفس ، فان ذلك يحصل في الغالب عن طريق الحواس اولا ، وقد يحصل باطنيا كالشعور بالجوع والعطش مثلا ، ثم تزداد حدتها بالحواس ، وخاصة حاستي العين والاذن ، وهذا كله ياتي من طبيعة الحال استجابة للواقع الحياتي المعاش سوسيولوجيا كما سياتي . اى ان « عاطفة الرغبة في الشيء » تتم اولا نتيجة مؤثر خارجي يتمثل في الحالة الحياتية الطرفية البيئية التي تجعل المرء يرغب ويريد ويشتهي ولا يجد ، وثانيا ـ وبعد الظروف المحوجة ـ تكمن العاطفة في

النفس ضمن المكبوتات الغرائزية ، ثم تأتي ثالثا الحواس لتلعب دور الوسيط بين المؤثر السوسيولوجي الخارجي ، والمؤثر الديناميكي الداخلي ، وقد تكون الحوس او هذه الدوافع تتم باتي الدافعان الآخران سوسيولوجيا ونفسيا ...

ثانيا : وظيفة العاطفة ايجابا او سلبا :

العاطفة احساس وشعور وتعبير عن رغبة كامنة في النفس كما اشرنا .. وبناء على هذا ، فانه من المستحيل ان يوجد كائن حي من مخلوقات الله مجرد من العاطفة ، سواء كان هذا المخلوق انسانا او حيوانا ، لان الذي لا عاطفة له ، لا احساس له من الناحية البيولوجية ، والذي لا احساس له جماد ، والجماد هو الذي لا عاطفة له ...

ومعنى هذا فان للعاطفة وظيفة ، شانها شان كل اعضاء الجسم الظاهرية فيزيولوجيا ، الا ان اعضاء العاطفة الوظيفية تعمل باطنيا بسيكولوجيا نفسيا بدوافع وبواعث ورغبات كامنة في النفس بواسطة اما عن طريق الحواس ، كما اثرنا ، واما داخليا ، وذلك كله استجابة لعوامل سوسيولوجية مختلفة ومتنوعة بتنوع نوع التيارات العاطفية ، فاذا هي اما عاطفة انسانية ، واما عاطفة شهوانية ، واما عاطفة روحية ، واما عاطفة مادية عادية ، الى غير ذلك من التيارات العاطفية .

وبالنسبة لوظيفة العاطفة المشار اليها والمتمثلة في الاحساس بالرغبات الكامنة في النفس .. يلاحظ بسيكولوجيا ان هذه الوظيفة لا تخرج عن كونها اما انها قد تكون وظيفة عاطفية سلبية ، حيث ينتج عنها اثر سلبي بتحقيق رغبات سلبية تتمثل في بعض التصرفات الشاذة ، والسلوك المشين كالعواطف الاندفاعية والعصبية والاهوائية والشهوانية والعدوانية التي غالبا ما تستجيب لنداء القلب ورغبات النفس الامارة بالسوء دون تبصر او تعقل او رزانة او تفكير او اعمال العقل في عواقب الامور كما يحدث غالبا عند الشباب وذوي النظرة الاندفاعية . واما قد تكون وظيفة العاطفة هذه وظيفة ايجابية عند تحقيق رغباتها المتمثلة في العواطف الانسانية والروحية والمثلية كالمحبة والعطف والشفقة والحنان والتسامح والتعاون والصدق والاخلاص بدل العواطف المضادة لهذه التيارات الانسانية . فهذا الجانب العاطفي الانساني الايجابي ياتي غالبا نتيجة للاستجابة لنداء العقل والفكر والعاطفة المتزنة التوفيقية كما يحدث احيانا عند ذوي البصيرة الذين يغلبون جانب التعقل والحلم خلال المواقف الحرجة ، واما قد تكون وظيفة العاطفة هذه وظيفة صراعية يتجاذبها العقل من جهة اقداما او احجاما ، ويتجاذبها القلب او النفس اقداما او احجاما ايضا من جهة ، فاذا صاحب هذه العاطفة يعيش في تردد قاتل وصراع عنيف قد يفضي به في الغالب الى عقدة نفسية خطيرة اذا لم يحزم أمره، ويحسم موقفه في اتخاذ القرار .

ويتلخص من هذا انه بالرغم من كون العاطفة لها وظيفتها السلوكية الطبيعية التي لا بد منها ، الا ان هذه العاطفة قد تكون سلبية في الغالب اذا هيمن عليها « الهوى » وسيطرت عليها النزعات والرغبات النفسية الاهوائية، وقد تكون وظيفة العاطفة هذه وظيفة ايجابية اذا كان تصرف الانسان مراقبا عقليا وفكريا وخلقيا وانسانيا . وتحكم العقل في العواطف امر مرغوب فيه الا انه ليس في متناول الكل ؛ اللهم الا اذا كان الانسان مسلحا بسلاح اسمى من الاسلحة المعنوية روحيا وايمانيا وانسانيا وعلميا ، وله في الحياة حنكة وخبرة ودراية وتجارب ، بالاضافة الى سلاح التقدم العلمي والفكري . ومن هنا قيل ان حدة العواطف او خفتها امر متروك لتقدم المجتمع او تخلفه ...

ثالثا : الاثر السوسيولوجي في تقوية حدة العواطف او تخفيفها :

ان الدوافع المحركة للغرائز العاطفية لها ارتباط وثيق بالمحيط الذي يعيش فيه الانسان وخاصة في حياته العفوية المبكرة ، ما دام ان هذا المحيط البيئي الاجتماعي هو الذي يتحكم في خلق الحاجات والرغبات تبعا لظروف البيئة الاقتصادية والاجتماعية والتقليدية . ومن هنا يلاحظ سوسيولوجيا وبسيكولوجيا ان كثرة الدوافع والرغبات المثيرة والمحركة للغرائز العاطفية الحادة ، دليل على ان افراد هذا المجتمع يعانون من الكبت والحرمان من تحقيق اهم رغباتهم في مراحل حياتهم الاولى . كما يلاحظ نفسيا ايضا عكس هذا ، اى انه اذا كانت الظروف الاجتماعية ظروفا ملائمة للفرد تسمح له بتحقيق اهم غرائزه العاطفية ، فان حدة التيارات العاطفية تكون اخف عنده بحيث يكون في الغالب متزن العاطفة .

ومعنى هذا ان العاطفة ـ من حيث حدة تياراتها او خفتها انسانيا او شهوانيا ـ امر متروك لاثر البيئة وحالاتها السوسيولوجية التي تسمح بتحقيق الرغبات او عدم تحقيقها ، فاذا بالانسان يصبح اما عاطفيا اكثر من اللازم نظرا لظروف الحرمان التي عاناها ، واما أن يصبح ذا عاطفة عقلانية او متزنة في معظمهـــــا ...

ومن هنا يرى علماء النفس ان ظاهرة العاطفة ظاهرة مكتسبة تستمد أصولها وجذورها ودوافعها وتياراتها الحادة أو الخفية من طبيعة الحياة الاجتماعية ، اكثر مما هي ظاهرة موروثة . اي ان العاطفة بجميع تياراتها موجودة لدى الكل ، ولكن حدتها أو خفتها هي التي تختلف من شخص لآخر ، ومن مجتمع الى آخر تبعا لاختلاف الظروف السوسيولوجية الايجابية او السلبية : فالشخص المحروم من تحقيق رغباته العاطفية المكبوتة يصبح اكثر اندفاعا لها ، والعكس صحيح ...

وانطلاقا من هذا المتطور التحليلي لسيكولوجية العاطفة ووظيفتها ، والاثر السوسيولوجي الذي يعكس طبيعتها ـ يمكن لنا ان نعرض « طبيعة العاطفة عند العرب » قديما وخاصة في الجاهلية وقبل الاسلام : هل هي عاطفة قوية اندفاعية هوجاء في معظمها ؟ ام هي عاطفة ضعيفة ؟ ام هي عاطفة متزنة عقلانية ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟ وذلك بارجاعها الى « طبيعة الاصول والجذور السوسيولوجية المؤثرة في عواطفهم » . ثم لنتعرض لدور الاسلام والصحوة الاسلامية المعاصرة في تهذيب هذه العاطفة عند العرب وكيف ينبغي ان نوظفها توظيفا ملائما متزنا ..

رابعا : الاصول السوسيولوجية للعاطفة العربية قبل الاسلام :

كان المجتمع العربي في الجاهلية قديما وقبل البعثة المحمدية ـ كما يعلم الجميع ـ مجتمعا قل ما يقال عنه انه كان عبارة عن مجتمعات مفككة ومقسمة الى انظمة عشائرية قبائلية طوطمية اجتماعيا واقتصاديا ودينيا وسياسيا رغم وجود تلك الابنية الفوقية المعنوية الوشائجية المهزوزة المتمثلة في بعض الروابط والاواصر كرابطة اللغة والتقاليد والعادات والاعراف على المستوى العام . كما ان النظام العشائري ـ وان كان قارا دينيا واجتماعيا لدى بعض الجهات المحلية ـ فهو لم يكن قارا وثابتا من الناحية السياسية والعسكرية ليكتسي صبغة الاستمرار تمكنه من ارساء اسس العدالة الاجتماعية ، والتفكير في توفير حاجيات العربي ، بل كانت موازين القوى في الانظمة العشائرية مختلفة ومتارجحة بين القوة حينا والضعف حينا آخر نظرا للتطاحن والتقاتل والغارات التي كانت تسود تلك المجتمعات المحلية ، مما يجعل الحرب سجالا دائما ، والاطمئنان منعدما دائما ايضا ، والحاجات تزداد بازدياد الرغبات والدوافع المحركة لها سوسيولوجيا وسيكولوجيا لوجود عامل الحرمان الذي يقف في طريق تحقيق معظم تلك الرغبات المعنوية والروحية والمادية بسبب سوء الانظمة المفككة المعاشة ثم بالاضافة الى وجود انعدام العامل « الامني » العام هذا ـ هناك عامل سلبي آخر هو العامل الطبيعي الجغرافي المناخي القاسي الجاف الذي عرفت به الجزيرة العربية حيث شح الماء وندرة مورد العيش فتتعدد الحاجات ، وتكثرت الرغبات ، فتتحرك الغرائز ، وتشحذ العواطف رغبة ورهبة ... كما لا ننسى عامل العادات والاعراف والتقاليد التي كانت تقف في معظمها حجر عثرة في طريق تلبية رغبات النفس المكبوتة كقيود عرفية لا يمكن هتكها بسهولة ...

ومن الاصول السوسيولوجية السلبية ايضا والذي كان سائدا في المجتمع العربي ـ عامل الامية والجهل والتخلف الفكري عموما مما جعل العربي يتملص من كل معاناة فكرية ، ونظرات عقلية مفضلا الميل الى الاخذ بالفكر الخرافي السحري الاسطوري الطوطمي البسيط الذي قد ينعش العواطف عنده ولكنه لا يرضي العقل والفكر والمنطق عند الامعان والتدبر.

ويبدو ان مثل هذه العوامل السلبية في معظمها كافية ـ من الناحية السيكولوجية ـ بان تجعل العربي اكثر عاطفة ، واسرع اندفاعا ، واقل تعاملا واستجابة لنداء العقل ، فاذا هو يطلق العنان لعواطفه تحت تاثير الرغبات الملحة التي عجز عن تحقيقها ، فتراه يستجيب اندفاعيا وعاطفيا واعتباطيا احيانا لادنى اثارة تحاول الهاب مشاعره ولو كانت تافهة او عديمة الجدوى ...

هذا مع الاشارة الى ان هذه العوامل السوسيولوجية السلبية التي اشرنا اليها والتي لم نشر اليها رغبة في الاختصار ، والتي هي في معظمها

تجعل الفرد عاطفيا في سلوكه وتصرفاته اكثر مما تجعله « عقلانيا » ومتزنا — هي عوامل لم تكن سائدة في المجتمع العربي الجاهلي فحسب ، بل هي عوامل تسود وتطبع كل مجتمع متخلف عربيا كان ام غير عربي ، وانما نحن قد خصصنا الحديث عن « العاطفة العربية » هنا تمشيا مع الموضوع الخاص بسلبيات وايجابيات هذه العاطفة عند الانسان العربي قبل الاسلام وبعده الى عصور الانحطاط حتى العصر الحالي مع ذكر اهم تياراتها ...

خامسا : أهم التيارات العاطفية عند العربي قبل الاسلام :

انطلاقا من المعطيات السوسيولوجية المشار اليها بصفة عامة ، والتي جعلت العربي قبل الاسلام مفتقرا الى حاجيات عديدة — اصبحت العاطفة عنده قوية ، وتياراتها متنوعة وحادة ، لان الشيء اذا عز لد « وكل عزيز محبوب » كما يقول (الامام الغزالي) ..

هذا ويمكن اجمال اهم التيارات العاطفية الحادة عند العربي قبل الاسلام وحسب واقعه السوسيولوجي المعاش — في الامور التالية ، وفي مقدمتها التيار الروحي العاطفي الديني الفطري :

ا — التيار الروحي الديني الفطري في عاطفة العربي قبل الاسلام :

منذ القديم — وبعد رسالات شعيب وهود وصالح عليهم السلام التي لم تترك اثرا ملحوظا في الجزيرة — والعربي متشبث بأستار الكعبة واهدابها مقتفيا البقية الباقية من دين الحنيفية الابراهيمية باني المسجد الحرام لتوحيد الله وحده وعبادته والحج اليه كاول بيت وضع لعبادة الله على سطح الارض ..

ولما قدم العهد وطال الزمن على هذه الرسالة الخليلية المباركة — ضل الانسان العربي الطريق ، فعكس الآية ، فاذا به يعبد تلك الاوثان التي استقدمها من الشام على يد « عمر بن لحى » سيد مكة في عهده . مع التذكير بأن العربي كان يعبد هذه الاوثان والاصنام في اول الامر بنية الوساطة ، كي تتوسط له بينه وبين الله مع بقاء ايمانه بربه لقوله تعالى في هذا الشأن : « ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله ... » وقوله تعالى على لسانهم : « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ... » .

ولما تقادم العهد ايضا على هذه العبادة الوثنية الواسطية وتعاقبت الاجيال والآباء والاجداد عليها ، نسي العربي او كاد ينسى التوحيد الخالص لينساق وراء التبعية والتقليد المجرد ليتخذ تلك الاصنام الهة يعبدها من دون الله شركا وضلالا حتى تمكنت العادة منه ، وستحكمت التبعية والطوطمية ولم يستطع ان يكفر بها بالرغم من انه كان يعلم احيانا في قرارة نفسه انها احجار لا تضر ولا تنفع ولكنه عاجز عن تركها للسبب الذي اشار اليه تعالى في قوله : « انا وجدنا آباءنا لها عابدين ... » .

ومع كل هذا فان التيار الروحي الديني اخذ يتقوى ويزداد في عاطفة العربي ، وخاصة وهو يسمع من اليهود والنصارى اشياء واشياء عن الدين السماوي الحق الذي كانت تبشر به الرسالات السابقة فاذا هو يتيه ويحتار في عبادة تلك الاحجار باحثا عن دين ثابت وقار ليقنع عاطفته الروحية الدينية الفطرية المتاججة ويشبعها قلبا وقالبا ، عقلا وفكرا على غرار ما عرفه عند اهل الكتاب خاصة ...

وبقى هذا التيار الروحي في عاطفة العربي مكبوتا ، وقد تاه في البحث عنه وعن حقيقته العديد من حكماء العرب في الجاهلية وقبل الاسلام ، الى ان جاء هذا الاخير فافرغ فيه الانسان العربي كل مكنوناته ومكبوتاته العاطفية الدينية الروحية حيث وجد فيه ضالته المنشودة انسانيا واجتماعيا نظرا لحاجته اليه باعتباره الدين الوحيد الذي اخرجه من ذلك التيه العاطفي الديني ، وذلك الصراع الذي عاشه محتارا وهو يؤله جمادات لا تحس بما يحسه هو ويعانيه ...

ب — التيار الوجداني الصافي في عاطفة العربي قبل الاسلام :

وفي الميدان الوجداني ورهافة الاحساس ورقة المشاعر ، اصبحت « العاطفة الوجدانية » عند العربي من التيارات العاطفية القوية منذ القديم ، وذلك راجع الى طبيعة بيئته الصحراوية حيث الفضاء المكشوف امامه دائما كمحيط رهباني شاسع الاطراف ، هادىء وساكن وساج ، لا يرى حواليه الا التلال الرملية والمساحات المقفرة الخالية اللامنتهية، تتراءى له وكان الكون الافقي السماوي منطبق عليه

من كل الجهات كأنه وحيد في هـذا العالـم ، فاذا بحواسه المرهفة ومشاعره الشفافة تنطلق معبرة عن وجدانه الصافي الباطني الذي لا تشغله عنه ضوضاء المدينة ، ولا صخب الازدحام السكاني ، ولا مقتضيات الحياة المعقدة ... وخاصة في البوادي ...

وبما ان الشعر والغرام هما اقرب الميادين الوجدانية في المجالات الخيالية عند ذوي العواطف المرهفة ، والاحاسيس الشفافة كما هو الشأن عند الانسان العربي خاصة ـ فان هذا جعله احيانا ـ ان لم نقل في جل الاحيان ـ يتجاوز في شعره وصف غرامياته الجنسية المادية الجسدية ، الى وصف نوع ارقى واسمى كالغرام العذري التعففي تارة ، او الغرام الصوفي الروحي تارة اخرى ، او الغرام الالهي التوحيدي احيانا ، كما نجد ذلك عند بعض حكماء العرب في الجاهلية او عند اصحاب المدرسة العذرية الذين تجاوزوا في شعرهم وصف الجسد الى وصف الروح والتضحية والتفاني في ذات المحبوب حتى قيل عنهم انهم قوم كانوا « اذا عشقوا ماتوا » . وتاريخ الادب العربي قد خلد لنا الكثير من هذه المآسي الغرامية الالتحامية الروحية الوجدانية الصافية ذات الاتجاه الدرامي المأساوي كغراميات « جميل بثينة » و « مجنون ليلى » و « قس لبنى » و « كثير عزة » و « مي غيلان » و « قس سلامة » .. الى غير ذلك من القصص الغرامية العذرية الوجدانية الصافية ...

وبما ان الجمال هو الذي يلعب الدور الاساسي في تحريك المشاعر المرهفة ، والخيالات العميقة ـ فان العربي في تياراته الوجدانية التعففية هذه ، قد انطلق من وصف الجمال المادي المحسوس او الخيالي عند المرأة مثلا الى وصف الجمال الروحي وصفا قد يبلغ عنده احيانا الى حد الكمال وحد الوصف المطلق كوجدان روحي صوفي الهي . وكأنه بهذا يضع اول لبنة من لبنات النظرة الفلسفية للجمال عند كل من « الاصبهاني في الاغاني » و «ابن حزم في طوق الحمامة » و « نخيل بالانتيا » و « كانت » و « جويو » وغيرهم ...

والحقيقة ان اثر البيئة الصحراوية في خيالات الانسان العربي ، وفي صفاء وجدانه ، ورهافة احاسيسه ، ورقة مشاعره .. اصبح امرا معروفا لدى الادباء والشعراء والفلاسفة المحللين ...

ج ـ التيار الانساني في عاطفة العربي قبل الاسلام :

نقصد بالتيار الانساني في عاطفة العربي ما يمكن ان يقدمه الانسان لاخيه الانسان من خدمات ومعونات ومساندات حبا للخير ولذات الخير . والعاطفة العربية قيل عنها انها عاطفة انسانية اولا وقبل كل شيء ، وذلك بدليل ما اتصف به العرب من صفات خلقية ايجابية في هذا المجال العاطفي الخيري الانساني ، ومن اهم التيارات العاطفية الانسانية عند العربي قبل الاسلام وحتى الآن ـ عاطفة الحماية ورعاية الاجير ، وكذلك عاطفة الوفاء بالعهد ، وعاطفة النبل والسخاء وكرامة الضيافة ، وعاطفة الشفقة والعطف والحنان ... الخ ...

ويرجع سبب حدة هذه التيارات العاطفية الانسانية الخلقية السلوكية في عاطفة العربي الى عوامل سوسيولوجية بيئية عرفية تقليدية موروثة ونابعة من الشيم والقيم والمثل التي عرف بها العربي خلفا عن سلف ، حيث كان يعتبر رذيلة ووصمة عار كل من تهاون في حماية اجير استأجر به ، او خان عهدا ، او بخل في وجه الضيف ، لان الحاجة كانت تدعو الى هذا في مجتمع شحت موارد العيش فيه ، وقلت سبل الامن في ربوعه ، وضعف مجال الوفاء بالعهد ، وانعدمت او كادت تنعدم اصول التربية والتوجيه والتكوين والتعليم في ارجائه ... الشيء الذي جعل عاطفة العربي الانسانية هاته أميل ما تكون الى شيء حرم منه في ظروف قاسية ... والشعر العربي الجاهلي مليء بالاشارات الى مثل هـذه المواقف العاطفية الانسانية عند العربي وخاصة الكرم والوفاء والحماية ومراعاة العهود والوفاء بها « كالحاتميات والسمواليات وغيرهما » ، وكذلك المواقف المستهجنة المضادة لهذه المثل « كالعرقوبيات والطفيليات .. ».

د ـ التيار التعصبي في عاطفة العربي قبل الاسلام :

ان العربي قبل الاسلام نشأ نشأة تعصبية عشائرية طوطمية قبلية تسودها العاطفة التعصبية المحلية الهوجاء ، وتهيمن عليها فكرة « الشعوبية » القائلة بالتفاضل بين الانسان والانسان على أساس الاعتبارات السلالية او العرقية او لون الاجناس ، وهي فكرة كانت سائدة قبل الاسلام كما يعلم الجميع،

وهي ما تزال عند البعض مع كامل الاسف رغم ما يبذله الفكر الاسلامي للقضاء على هذه الظاهرة . الا ان الصهيونية العالمية وخاصة في امريكا واروبا ما تزال تؤمن بعدم المساواة بين الناس والتبار التعصبي في عاطفة العربي قبل الاسلام كان تيارا مزدوجا .. تيارا تعصبيا عربيا يرى ان غير العربي اقل قيمة ، وادنى منزلة ، واحط مكانة باعتباره اعجميا ، والعربي افضل من الاعجمي ولا مجال للمساواة بينهما ، وذلك على غرار ما كان يزعمه كل من اليونان والرومان والفرس واليهود من التفاضل بين الاجناس ، وتيارا تعصبيا عاطفيا « محليا » يتمثل في التفاضل المزعوم بين العشائر والقبائل ، وبين الاسياد والعبيد ، والافخاد والبطون وما شابه ذلك من الاعتبارات الاجتماعية ، والفوارق الطبقية . ومن هنا ياتي التيار التعصبي في عاطفة العربي اعتمادا على اثارة حماسته ، واستنفار هممه بتحريك مشاعر النخوة والشهامة والنعرات القبلية ، والحزازات التفاضلية المزعومة بين القبائل والعشائر ، والتي سماها الاسلام بـ « حمية الجاهلية » في قوله تعالى : « اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية .. حمية الجاهلية » . والشعر العربي مليء ايضا بالنماذج من هذا التيار التعصبي في عاطفة العربي في مجال الاشادة بالمفاخر الحماسية والشجاعات والبطولات والمدح والذم وخاصة اثناء الحروب القبائلية التي كانت العاطفة التعصبية القبلية تلعب دورها الرئيسي فيها رغبة في الانتصار وكسب الغنائم التي كانت تعتبر موردا هاما من موارد العيش ، ورغبة ايضا في كسب الهيمنة المعنوية والاعتبارية والسيادة استجابة للعاطفة التعصبية المتحكمة ...

هـ ـ التيار الجنسي في عاطفة العربي قبل الاسلام :

بالنسبة لهذا التيار يلاحظ ان العاطفة الجنسية عند العربي كانت وما تزال قوية منذ القديم ، وذلك راجع لاسباب مناخية معروفة سواء في الجزيرة العربية او في بلد عربي اسلامي وغير اسلامي باستثناء البلدان الاوروبية وخاصة منها الاصقاع الباردة . الا انه يبدو ان العاطفة الجنسية في الجزيرة اقوى واشد قبل الاسلام خاصة ، وذلك لاسباب عرفية تقليدية قاسية حرمانية مكبوتة في نفسية الانسان العربي في الجاهلية ، حيث كان الحصار مضروبا على المراة باعتبارها بلية العالم ، وجالبة للعار ، كما انها لا تحمي الديار ، ولا تدافع عن الذمام ، لدرجة ان العربي كان يحاول أن يدفنها حية بمجرد ولادتها كما هو معروف فى القرآن (التكوير 8 ـ النحل 58ـ59) .

وبهذه الاعتبارات الجاهلية الظالمة للمراة ، وبهذه النظرة المزرية لها في عين المجتمع الجاهلي يزداد الحصار على المراة وتشتد المراقبة عليها خوفا من الاهانة والعار ، فينعدم الاندماج البريء بينها وبين اخيها الرجل ، فاذا كل منهما ينظر الى الآخر من بعيد نظرة لهف وشوق وحرمان وكبت بالاضافة الى الم الاهانة نتيجة انسحاب الثقة منهما من طرف المجتمع . وكل هذا كاف بأن ينمي ويهيج التيار الجنسي في عاطفة العربي من الجنسين . ثم هناك عامل آخر ساعد على تقوية العاطفة الجنسية عند العربي ، الا وهو ندرة انجاب الانثى رغبة في الاكثار من الذكور لمنع العار المتوقع خلال الحروب القبلية حتى أن العربي كانت فرحته لا تعادلها فرحة حيثما يولد له مولود ذكر . ولكن هذه الاسباب المناخية منها والتقليدية المحطمة والمهيجة للغريزة الجنسية لدى الانسان العربي في الجاهلية ، ياتي رد الفعل المكبوت ليعبر عن رغباته ويفصح عن الجوع الجنسي الذي يعانيه العربي . ولعل هذا يبدو واضحا عندما نرى الشاعر الجاهلي خاصة يفتتن بالمراة فيفتتح بها قصائده يتغزل بها معبرا بذلك عما يكنه خاطره من ظما مكبوت في غرائزه الجنسية التي قل ان ترتوي ، واذا وجد فرصة لهذا الارتفاء احتكر العنصر الجنسي فيتزوج اكثر من امراة !!!

و ـ التيار الفكري الباهت في عاطفة العربي قبل الاسلام :

اعتبارا للمعطيات السوسيولوجية للعاطفة العربية قبل الاسلام ، والمتمثلة اساسا في وجود عامل الامية من جهة ، وعامل العادات السلبية المثيرة للعواطف الهوجاء من جهة ، يلاحظ ويستنتج ان المستوى الفكري كان ضعيفا لدى الانسان العربي في الجاهلية ، حيث انه كان يتهرب من كل معاناة فكرية توجب عمق النظر في الامور ، واعمال العقل فى التصرفات والسلوك قبل الاقدام عليها ...

ونضوب معين الفكر والعقل والعلم في مجتمع ما يسمى للاستجابات العاطفية التي تهيمن على سلوكه وتصرفاته ، وتتحكم في غرائزه اكثر مما

يسمح للاستجابات العقلانية العميقة في السلوك والتصرفات ...

ومعنى هذا انه اذا كان « العقل » بمثابة آلة طبيعية تعمل فيزيولوجيا لدى كل انسان ـ فان « الفكر » الذي يعتبر بمثابة « المحرك » لآلة العقل يختلف نشاطه الديناميكي من انسان لآخر ، ومن مجتمع لآخر كذلك ، تبعا لعوامل الرقي او عوامل التخلف في هذا المجتمع او ذاك . وتهرب العربي من توظيف قوى العقل ، وتحريكها بالمعاناة الفكرية العميقة امر ملحوظ عنده في الجاهلية قبل الاسلام شانه في ذلك شان كل مجتمع متخلف ...

ومن هنا كان التيار الفكري باهتا في عاطفة الانسان العربي قديما ، اي ان معظم قراراته وتصرفاته واعماله كانت تستجيب لنداء القلب والنفس والاهواء التعصبية الاندفاعية اكثر من ما تستجيب لنداء العقل والفكر والعلم ، وذلك راجع للاصول السوسيولوجية والبسيكولوجية المشار اليها ...

ز ـ التيار الوطني في عاطفة العربي قبل الاسلام :

بالنسبة للتيار الوطني في عاطفة العربي قبل الاسلام ، يلاحظ ان هذه العاطفة تكون قوية عند ما يتعلق الامر بالوطن المحلي او مسقط الراس على الخصوص ، ونجد هذا واضحا في اشعار الجاهليين الذين طالما وصفوا الاطلال والمضارب والاماكن التي ولدوا فيها وعاشوا ذكرياتهم في ربوعها ووهادها وواحاتها ووديانها ، فاذ هم يعبرون اصدق تعبير عن حنينهم وشوقهم الى وطنهم المحلي او مسقط راسهم ، ومن منا لا يحن الى مسقط راسه والمكان الذي عاش فيه معظم حياته وذكرياته ؟!

اما عند ما يتعلق الامر بالوطن الام وهي هنا ارض الجزيرة ككل ـ فان عاطفة العربي لا نجدها قوية في هذا المجال ، ولعل هذا راجع لسبب واحد، وهو ان العربي لم يسبق له ان ذاق مرارة المستعمر، ولم يسبق له ان رضى باي دخيل اعجمي يستعمر ارضه لان الجزيرة العربية في معظمها ـ باستثناء اليمن ـ كانت في مأمن من الغارات الاجنبية نظرا لطبيعتها الجغرافية القاسية ، ونظرا لقلة مواردها ، بالاضافة الى حرمة مكة لها ولوجود الكعبة المشرفة بها حيث كان يقصدها الحجاج من كل صوب وحدب على اختلاف اجناسهم وجنسياتهم ومللهم ونحلهم . ولذا فاننا لا نجد في اشعار العرب الجاهليين قديما كلمة « وطن » او « وطنية » الا نادرا ...

ويتلخص من هذا ان العاطفة العربية قبل الاسلام كانت في معظمها عاطفة اندفاعية تعصبية تستجيب للاثارات والنعرات وحمية الجاهلية والتقاليد السلبية الموروثة ، اللهم اذا استثنينا بعض العواطف الانسانية والروحية والوجدانية الخالصة . ترى ... ما دور الاسلام في تهذيب عاطفة العربي في مجال السلوك والمعاملات ؟ .

سادسا : دور الاسلام في تهذيب عاطفة العربي :

بناء على ما سبق ، يمكن القول بان الوظيفة السلوكية للعاطفة العربية قبل الاسلام ، تكاد تكون وظيفة سلبية في معظم تياراتها ، لانها كانت عاطفة مدفوعة بالحمية الجاهلية ، ومتأثرة ببعض العادات والتقاليد والاعراف الموروثة ، اكثر مما هي عاطفة عقلانية متزنة مدفوعة بترشيد من العقل والفكر والروية والعلم . اللهم اذا استثنينا تلك التيارات العاطفية الانسانية والروحية والوجدانية ...

ويبدو هذا الجانب السلبي في عاطفة العربي قبل الاسلام في السلوك والمعاملات والتصرفات المتمثلة في ذلك التقاتل والتناحر والتفاضل المزعوم والفوارق الطبقية بين الاسياد والعبيد مع تحكم العصبية والنعرات القبلية وسرعة اتخاذ المواقف والقرارات لمجرد ادنى اثارة محركة للعواطف ...

ولما جاء الاسلام حاول ان يجعل من العرب امة متحدة تجمعها عقيدة واحدة ، وهدف مشترك انساني واحد ، وبذلك قضى اولا على دوافع الشقاق والتفكك والتناحر الذي كان سائدا بدافع من العوطف الهوجاء . ولما كانت سلبيات العاطفة العربية قبل الاسلام ناتجة في الاساس عن قلة اعمال العقل ، وتوظيف الفكر ، فان الاسلام عمل في هذا الجانب وحث العرب منذ البداية على القراءة والتفكير والتدبر والروية في سلوكهم وتصرفاتهم ومعاملاتهم حتى تكون عواطفهم عواطف عقلانية علمانية متزنة حتى روى عن الرسول محمد (ص) انه كان يقول :

« ليس الشديد بالسرعة ، وانما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » . والغضب كما يعلم الجميع هو نوع من انواع التيارات العاطفية السلبية . وهكذا جعل الاسلام من العرب أمة عقلانية علمانية متزنة في عواطفها ، معتدلة في رغباتها ، منطقية في غرائزها ، متوسطة بين الحدة والخفة في تياراتها العاطفية ، فاذا هي أمة الوسط التي قال تعالى عنها : « وكذلك جعلناكم امة وسطا » . كما وصفها بانها خير امة اخرجت للناس ...

وكل هذا جاء نتيجة لحث الاسلام المسلمين على الاستهداء بنور العقل بعد نور الايمان ، والاسترشاد برشاد الفكر والتدبر والتبصر في عواقب الامور دون الاستجابة للاهواء العاطفية النفسية الامارة بالسوء . وكدليل على هذا اقرأ معي في المصحف الشريف بعض الآيات التي تنوه بالعقل والتعقل والحكم واعمال الفكر لتهذيب السلوك والمعاملات من جهة ، ولاستجلاء وجود الله من جهة ثانية : (سورة يونس 101) .. (سورة سبأ 46) .. (سورة آل عمران 190 — 191) .. (سورة يس 46) (سورة الاعراف 179) .. (سورة الزمر 17 — 18) (سورة البقرة 171 — 174) .. (سورة يونس 5) (سورة الرعد 4 — 5) .. (سورة فاطر 27 — 28) (سورة الطارق 5 — 6 — 7) .. (سورة الذاريات 20 — 21) الى آخره من الآيات الاخرى التي تحث على تحصيل العلم لصقل المواهب وتهذيب العواطف بعد الاسترشاد باعمال العقل وتوظيف الفكر في الآيات المشار اليها ، حتى لا تتحكم النفس الامارة بالسوء بدلا من تحكم العقل والنظرة العقلانية العلمانية ، وهذا بالاضافة الى تلك النصوص القرآنية والسنية الاخرى التي تحث المسلمين على « العمل » والجد مقرونا بالايمان الصحيح الذي سماه الله « بالعمل الصالح » دنيا واخرى في آيات عديدة : (آمنوا وعملوا الصالحات) حتى ينشغل العربي المسلم بتعمير الارض وبناء الحياة على اسس المساواة والعدالة الاجتماعية الانسانية بدل انشغاله بالضغائن والنزعات والانانيات والنعرات التعصبية المحلية والعامة الموروثة من عهد الجاهلية والتي نهى الاسلام عن معظمها ...

وبهذا التوجيه الاسلامي العقلاني العلماني الموضوعي تكونت لدى العرب تلك النظرة البناءة وتلك الحركة الفكرية العظيمة فحللوا وعللوا ، واجتهدوا واستنبطوا ، فدونوا والفوا ، وأرخوا ونقدوا ، ثم تفلسفوا حتى فاقوا غيرهم من الامم التي كانت قد سبقتهم .

وكل هذا جاء نتيجة لاعمال الفكر والنظر والاهتداء بهدى العلم والعمل الصالح الجاد ، والاسترشاد بنور الاسلام حتى اصبح سلوكهم العاطفي متزنا لا يتنافى مع النظرة العقلانية ، لان الاسلام هذب عاطفة العربي وصقلها حيث قوى فيه بعض التيارات العاطفيه التي كانت مهزوزة في الجاهلية كالعواطف الروحيه والانسانية والاخلاقية والدينية وضعف فيه بعض التيارات العاطفية السلبية الموروثة عن الجاهلية وهذبها وصقلها كعاطفة الذاتية الانانية وعاطفة التعصب المحلي الاعمى وغيرها من العواطف الشهوانية والعدوانية المنساقة وراء هوى النفس ...

وقد حصل هذا بالفعل في صدر الاسلام على عهد رسول الله (ص) وعهد الخلفاء الراشدين الذين حاولوا بعد موت الرسول القضاء على تلك البوادر التعصبية بسبب مشكل الخلافة وخاصة دور ابي بكر وعمر الشيء الذي جعل المسلمين يفرضون وجودهم ، ويبسطون نفوذهم كأقوى دولة عربية اسلامية في العالم الى ان طفت الاهواء العاطفية التعصبية من جديد ، وتمكنت تياراتها المختلفة الغرائزية مرة اخرى ، واستولت العواطف الهوجاء على العقول استجابة لهوى النفس رغبة في الانشقاق بسبب ضعف الوازع الايماني ، وانعدام الضمير الخلقي الديني الانساني ، فنتج عن ذلك ما سنراه في النقطة الموالية من سلبيات ناجمة عن تحكم العواطف اللاعقلانية ...

سابعا : العاطفة العربية وآثارها السلبي في عصر الانحطاط :

ان عقلية الانسان تشحذ وتصقل وتهذب بالقراءة والعلم والبحث والاستنتاج والاجتهاد والاستنباط والتحليل والتعليل والتفكير والتأمل والتدبر والاستفادة والتجارب والخبرات . وعند ما يتوقف هذا العطاء الفكري العلمي تجمد الحركة ، وتتعطل المواهب لتحل محلها العواطف الاندفاعية الاعتباطية ، فاذا بسلوك الانسان يصبح سلوكا لا تؤمن عواقبه نظرا لتحكم هوى النفس ، وهذا ما حصل

بالذات او كاد ان يصل للامة العربية والاسلامية قاطبة ابتداء من القرن الرابع الهجري ، وذلك راجع لاسباب معروفة عند الباحثين والدارسين والمؤرخين، والمفكرين والتي يمكن اجمالها — رغم تعددها — في نقطة واحدة وهي الحياد عن ذلك المسار الاسلامي المنهجي العلماني الفكري المتزن دون ان نشعر حتى وجدنا انفسنا منساقين من جديد وراء الاهواء والعواطف التعصبية الهوجاء ، نندفع اندفاعا وراء كل صيحة مغرضة ، ونستجيب عشوائيا لكل شعوذة خرافية اسطورية باسم الدين ، والدين من ذلك بريء ، ونتحيز لكل راي ضد راي آخر ، دون روية او تمحيص بل لمجرد تقليد اعمى فرضته العصبية والانانية والعواطف المتحيزة ، فاذا نحن أشبه ما نكون بالتبعية الطوطمية تقدس الاحجار والاضرحة وندرس السلفيات العنترية والهلالية والازلية وغيرها من الاساطير والخرافات الشعبية المتخلفة بدل ان ندرس تاريخ الحضارة الاسلامية في عمقها وجوهرها وفعالياتها وعطائها لنحذو حذوها في الابداع والتطوير والرقي ... بل اننا قد اكتفينا باجترار ما تركه الاقدمون ، بل ليتنا اكتفينا باجتراره وتقليده على علاته ، دون ان نتفرق فيه شيعا بتأثير من العواطف التحيزية والفكر المتخلف ، فاذا بعرب ومسلمي الامس يعودون الى الوراء ليصبحوا — مرة اخرى — عاطفيين اندفاعيين اعتباطيين ارتجاليين في مواقفهم وقراراتهم ومعاملاتهم وسلوكهم وتصرفاتهم وتخطيطاتهم ، تقودهم الحزازات والانانيات والشهوات وحب المصلحة الشخصية وتفضيلها على الصالح العام الذي به يصلح امور المسلمين كما صلح به امرهم في البداية ...

والنتائج الناجمة عن هذا التهور العاطفي الماثل في السلوك والمعاملات الذي عشناه بمعزل عن اعمال الفكر وانعدام التبصر والنظر ، والذي دام حوالي عشرة قرون — هي نتائج معروفة بسلبياتها وخلفياتها الدينية والفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية حيث ادت بالامة الى تمزيق الخلافة الى دويلات وطوائف كما ادت الى الغزو المغولي التتري التدميري التخريبي ، والغزو الصليبي ، والاستحواذ التركي الاستبدادي الاقطاعي الذي جثم على الامة الاسلامية باسم الدين باستثناء « المغرب » ، ثم اخيرا الزحف الاستعماري الاوروبي العام الذي اكتسحنا جميعا ..

كل هذا جاء نتيجة لتحكم عواطفنا الهوجاء بدافع الذاتية والمصلحية بعد ان تركنا جوهر الاسلام الذي كان ولا يزال يحثنا على صقل عواطفنا وتهذيبنا بالعلم والفكر . بل وبالرغم من كل هذا ونحن ما زلنا — بعد دخول الاستعمار — نوتر الاندفاع والتهريج ، ونتقاد جهلا وعاطفيا وراء كل صيحة او دعاية او خرافة باطلة باسم الدين مدفوعين بالعاطفة اللاعقلانية حتى اكتشف العدو الاستعماري نفسه فينا هذا الضعف الذي يأتينا من عواطفنا الاهوائية ، فاذ به يضرب على هذا الوتر الحساس العاطفي السلبي عندنا كلما اراد تحقيق المزيد من مطامحه وتوسعه . وهذا ايضا ما سهل عليه المزيد من تشتيتنا وتمزيقنا سياسيا وعسكريا بعد ان كنا امة واحدة وخاصة في المشرق ...

وهذا ايضا مرة اخرى ما سهل عليه تشويه الكثير من حقائق الاسلام وتعاليمه حين شجع على تقديس بعض الطقوس الدينية الفارغة باسم الطرقية. كما ان هذه العواطف الاعتباطية من جهة اخرى هي التي سهلت عليه تضليل بعض العقول بتشييده للاضرحة المصطنعة وترميمها بالاضافة الى بث النزعات والنعرات القبائلية في المشرق والمغرب بدعوى « احياء اللهجات القديمة » كالفرعونية والقبطية والنبطية والفنيقية والبربرية الاطلسية بالمغرب والجزائر كمخطط استعماري صهيوني عالمي ... واخيرا فان كل هذا سهل عليه امتصاص خيرات بلادنا بسياسة التجويع والتفقير والتجهيل ، لان هذا المستعمر كان يدري كما ندري الآن .. ان توظيف العواطف توظيفا سلبيا اندفاعيا تهوريا بمعزل عن ميزان العقل والفكر .. هو دليل مادي وقاطع على التخلف الشامل . ولما بلغ السيل الزبى حين أحس العرب بنتائج وبلات عواطفهم السلبية اخذت تظهر في الافق البعيد بوادر رد الفعل كحركة سلفية اصلاحية عامة اصطلح على تسميتها ادبيا وتاريخيا بـ « عهد النهضة والانبعاث العربي » . ترى .. هل استطاعت هذه النهضة ان تذهب العاطفة العربية ؟

ثامنا : العاطفة العربية واثرها الايجابي النسبي في عهد النهضة :

احتك العرب مع المستعمر ، فذاقوا ويلاته ، وعانوا منه الشيء الكثير،ولكن في نفس الوقت،تمكنوا من ان يلاحظوا البون الشاسع بينهم وبينه في ميدان الفكر والعلم والقوة بعد ان احسوا بالضغط المفروض عليهم والذي كان الاستعمار يمارسه ضدهم ..

والضغط يولد الانفجار كما يقولون . وهنا بـدات تظهر في الافق زمرة يعد افرادها في البدايـة على رؤوس الاصابع ، فاخذت تستيقـظ من سباتهـا ، وتوقظ معها غيرها من اجل تحليل الاوضاع ، وتقييم الفروق وتعليل اسباب التفوق الاستعماري ، واسباب التخلف العام عندنا . فاذا بالحقيقة تبدو واضحـة وهي ان ما ينقصنا نحن معشر العرب والمسلمين هو تحريك الفكر لاستخدام العقل ، وتحصيل العلـم ، بدلا من تحريك العواطف التي لا يزنهـا العقـل في الغالب ، ولا يقبلها المنطق في اكثر الاحيان ، فبدات بوادر الفكر تعطي اكلها نسبيا ولو من الناحية النظرية، وخاصة في المشرق ثم المغرب بحكـم الروابـط التاريخية والحضارية واللغوية والاجتماعية والدينية، وبحكم « المصير المشترك » ، فاقبل النـاس في البداية على صقل المواهب واستنفار الهمم ، وتهذيب العواطف ، وذلك بنشر التعليم خاصة ، بينما استفاد البعض من رحلاتهم العلمية الى أوروبا بالاضافة الى ظهور الصحافة العربية التي اخذت تلعب دورها رغم الحصار والقيود المفروضة عليها من طرف المستعمر. المهم ان الراي العام العربي بدا يستعمل فكـره ، ويحس بوضعيته المزرية ، ويفهـم الكثيـر مـن المناورات الاستعمارية وخاصة منها تلك المناورات التي كانت تحاك ضده والتي كان المستعمر يمارسها في استغلال سذاجة العربي وعواطفه الهوجـاء باسم الدين تارة ، وباسم العنصرية التعصبية تارة اخرى، وباسم النعرات القبلية والنزعات المحلية التي تمزق شتاته من ناحية اخرى ، واخيرا باسم احياء اللهجات القديمـة والقبليـة كما اشرنـا ...

وبما ان الفكر او الوعي الفكري او الحركـات الادبية والفكرية ليست بمعزل عن الوعـي الوطنـي والسياسي ــ فان النتائج الاولى لهذا التفتح الفكري جعلتنا او مكنتنا من ان نخوض المعارك السياسية مع المستعمر ، ثم المعارك المسلحة فحررنـا بلادنـا عسكريـا وسياسيـا ...

وهنا برز الدور الفعال الايجابـي « للعاطفـة العربية » سواء في الميدان الدينـي او الميـدان الوطني السياسي او الميدان الانساني ككـل ، لان العاطفة وظيفة سلوكية سلاحها ذو حدين ، بحيث قد تكون سلبية اذا حركتها الاهواء والرغبات المصلحية الذاتية ، وقد تكون ايجابية اذا طبعها طابع التكتـل والتعقل والرزانة والهدف المشترك النبيـل ، فاذا هي مصدر قوة بدل مصدر ضعف ...

وقد أحسن زعماء الوطنية صنعا حين الهبـوا مشاعر الناس ، واثاروا عواطفهم للدفاع عن اوطانهم باسم الدين والقومية وباسم الوشائـج والاواصـر والروابط التاريخية والحضارية والاجتماعية ما دام ان حب الوطن من الايمان ، وان من لا غيـرة له لا ايمان له ولا وطن له ، مع العلم ان العواطف من هذا النوع الرامي الى الانعتاق والتحرر والاستقلال باسم الدين وباسم الوطن هي عواطف انسانية نبيلة ونتائجها ايجابية ، وليست من نوع العواطف الهوجاء الاعتباطية التي لا يعرف صاحبها عواقبها ولا ضررها من نفعها ، ومن هنا أعطت « العاطفة العربية » اكلها فحررنـا اوطاننا من نير الاستعمار ظاهريا وشكليا وسياسيا ، والسؤال المطروح هنا هو : « هل واصل العـرب توظيف عواطفهم هذا التوظيف الايجابي نحو تحقيق المزيد من الهدف المشترك لتدعيم الصف والمحافظة عليه عسكريا وفكريا وايدولوجيـا ؟ ام ان العاطفـة العربية توقفت عن عطائها الايجابي ذاك ؟ ولماذا ؟ » .

تاسعا : نقطة الضعف في العاطفة العربية :

ان نقطة الضعف في عواطفنا نحن معشر العرب والمسلمين هي اننا لا نثبت طويلا في توظيف عواطفنا توظيفا ايجابيا ، اى اننا سرعان ما نتحد ونتكاتـف عاطفيا وانسانيا ودينيا حين الملمات والخطوب العامة التي قد تداهمنا ، ثم ايضا سرعان ما نتفكك ونتمزق ونترك الحبل على الغارب بمجرد ما تعود الميـاه الى مجراها او تكاد تعود او بمجرد ما يتخيل الينا انهـا عـادت وهـي لـم تكـد ...

وكدليل على هذا فانه يلاحظ انه بمجرد مـا حصلت الدول العربية والاسلاميـة على استقلالهـا السياسي قبل الخمسينات الى بدايـة الستينـات ... بمجرد هذا مباشرة اخذت تظهر من جديد بوادر الاهواء العاطفية الذاتية والانانية والمصلحية المحلية والنزعات والتيارات والحزازات الاقليمية بين الدول العربية و لاسلامية كناقوس خطر يهدد كياننا العـام ولا نشعر به حتى يداهمنا بعد فوات الاوان ...

ولنقطة الضعف هذه والملحوظة في عواطفنـا سببـان رئيسيـان :

اولا سرعة الاستجابة لعواطفنا قبـل وزنهـا بميزان العقل والتبصر والتدبر بسبب قله العلم والتقدم الفكري .. فاذ نحن سرعـان مـا نفتـر ونستجيب لادنى صيحة أو راى او تيار ايديولوجـي مستـــورد ...

ثانيا : عمق الطرق الخبيثة المتطورة ايديولوجيا واقتصاديا وسياسيا التي يمارسها الاستعمار الفكري ضدنا ... حتى اكتشف فينا هذا الضعف فاذا بـه يضرب عليه دائما لتشتيت وحدتنـا ...

وهكذا مرة أخرى ينجح الاستعمار في فـك الوحدة العربية والاسلامية التي كانت او تكاد تكون متحدة ، وذلك عن طريق مذاهبه وافكاره ونظرياتـه وآرائه ومخططاته الايديولوجية اقتصاديا وعلمانيـا معتمدا في ذلك اولا على التقسيم السياسي الـذي فرضه على الشعوب العربية والاسلامية وخاصة في المشرق وحتى في المغرب العربي ، حيث وضـع الحدود والفواصل والحواجز السياسية والجغرافية بين الدول التي كان قد استعمرها توقعا منه للنزاع الذي سيحصل بين هذه الدول مستقبلا ، وها هـو يحصـــل بالفعـــل ...

ثالثا : استغلاله للاستجابة السريعة عاطفيـا تحت تأثير النزعات الاقليمية والوطنية التي رآهـا المستعمر اقوى في نفوسنا من الروابط الحقيقيـة التـي هـي روابط الديـن واللغـة والتاريـخ والهـــدف المشتـــرك ...

وكدليل ايضا على ان عواطفنا ما تزال تبحث عن المستوى الإيجابي القار الذي يجب ان يترفـع عن الحدود الجغرافية المفروضة الى حـدود العقيـدة الاسلامية التي لا تعترف بهذه الحدود الا شكلا ... اقول كدليل على هذا الجانب السلبي في توظيـف عواطفنا احيانا ، وجانبها الايجابي في توظيفها مـن حين لآخر ، ما عشناه في الخمسينات وقبلها وبعدها بقليل حين حررنا بلدتنا عسكريا ، وما لوحظ بعـد ذلك من التوتر مباشرة بين شعوبنا الفتية ، ثم اضف الى هذا وذاك الدور السلبي في العاطفة العربية ابان الستينات في حربنا مع اسرائيل ، والدور الايجابي لها في السبعينات معهم ، ثم الدور السلبـي الذي لعبته عواطفنا بتياراتها المختلفة في الثمانينات هاته وخاصة في الشرق الاوسط بفلسطين ولبنان ودول الخليج والحرب الضروس بين العراق وايران ومـا شابه ذلك من الحروب النفسيه القائمة بين مختلـف الدول العربية والاسلاميـة في المغرب العربـي والمشرق عمومـــا ...

كل هذا يجعلنا نستنتج حقيقة واحدة وهي انه بالرغم من كون الاسلام قد هذب عواطفنـا وامرنـا بصقلها بالاعتدال والاتزان وعدم التبعيـة الهدامـة استجابة لاتفه صيحة نسمعها ، ورغم ان عاطفتنـا العربية قد ادت دورها نسبيا خلال معارك التحرير ، كما ادت دورها كاملا في صدر الاسلام ــ فانه مع ذلك ما زلنا في حاجة الى تربية عواطفنا تربية عقلانيـة علمانية منطقية موضوعيه حتى نسد الباب على مـن يحاول استغلال عواطفنا بالاستنفار المغرض الهدام.. لان هذا الوتـر السريـع الاحساس والاستجابـة الملحوظ في عواطفنا هو الوتر الذي يضرب عليـه الخصوم لتشتيت وحدتنا اما باسم الديـن كنشر الخرافات والبدع ووسائل الالحاد والتيارات الفلسفية الجاحدة واما باسم النزعات السياسية والتفرقـة الايديولوجيـة في المذاهـب الاقتصاديـة باسم الاشتراكية الماركسية او الشيوعية او اللينية التي نراها الآن تلفظ انفسها الاخيـرة ، وامـا باسم اللهجات القبائلية والبربرية المشوهـة للاصـول العربيـة في المشرق والمغـرب ...

وللوقوف في وجه هذا الغزو الذي يحـاول دائما استغلالنا عاطفيا لا بد ون نواصل المسير في طريق اكثر وعيا ، واجدى تفتحا ، واعمق تحليلا ، وافهم دلالة انطلاقا من الصحوة الاسلامية المعاصرة، لان امر العرب والمسلمين لا يصلح الا بما صلح بـه اوله وهو الرجوع الى النبع الاسلامي الصافي القائم على اسس منهجية متطورة وباسلوب علمي واقعـي مقنع من اجل صقل وتهذيب عواطفنا ...

عاشرا : العاطفة العربية الحالية وأثـر الصحـوة الاسلاميـة فـي صقلهـا :

وما دمنا نتحدث هنا في هذا الموضوع عـن « العاطفة العربية » من حيث سلبياتها وايجابياتها ، ثم عن اثر الصحوة الاسلامية المعاصرة في صقـل هذه العاطفة لتصبح ايجابية اكثر مما هي سلبية ... نشير الى فقرة قصيرة من خطاب جلالة الملك الذي القاه امام المجلس العلمي بخصوص منهجية الوعظ

والارشاد اذ يقول جلالته : « اناشدكم الله دائمـا ان تحاربوا السلبي بالايجابي ، لان السلبي يأتيه وقـت ينضب فيه الانبوب ، أما الايجابي فان منهله دائمـا معطاء » (دعوة الحق ـ عدد 231 ص : 9) . ثـم انظر كذلك ما جاء في افتتاحيات الاعـداد : 231 ـ 232 ـ 233 ـ 235 ـ 236 حول الفكر الاسلامـي وما يحاك ضده ونحن نتحدث عن (العاطفة العربية) واثر الصحوة الاسلامية في صقلها هو ان معركتنـا فعلا هي معركة فكرية ، تتطلب منا سلاحا ربما اقوى من سلاح الحديد والنار ، وذلك على اساس اننا قد استطعنا ان نطرد الاستعمار الظاهر الذي كان جاثما امامنا ، وعلينا الآن ان نستعد اكثر لطرد نوع آخـر من الاستعمار الخفي المتمثل في الغزو الفكري الذي يحاربنا به بمختلف الاساليب والتيارات والتخطيطات والمذاهب كما نبهنا الى ذلك الاسلام في قوله تعالى: « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخريـن من دونهـم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم » . والشاهد عندنـا اساسا في العدو الذي لا يعلمه الكثير منا بسبب اساليبـه النفاقية ومراوغاته السياسية ، وتياراته الفكريـة الملحدة الغازية . ومحاربة هذا العدو اذن محاربـة فكرية يجب أن تقدم على اسس وضوابط وقواعـد واساليب في مستوى أساليب الخصم او اقـوى واجـــدى ...

واول شيء يجب القيام به هو ان نتسلح بالعلم والفكر البناء حسب تعاليـم الاسلام الصافيـة ، وانطلاقا من صحوته الاصلاحية الشاملة حتى يقتنع شبابنا الضائع التائه المأخوذ ببريق الحضارة الغربية الزائفة بأن ما يستورد من الغرب لايخـدم اصالتـه وشخصيته وحضارته ومثله وبالتالي لا ينبغـي لـه كشباب واع مثقف ان تخدعه عواطفه الظامئـة الى التفتح العلمي والرقي المادي فينساق وراء هـذه التيارات ، بل عليه ان يوظف عواطفه وميولاته ورغباته توظيفا يتسم بالعقلانية وتمحيص الامـور قبـل ان ينجرف عاطفيا وراء صيحة او فكرة او نظرية غريبـة مسمومة . وخصوصا ونحن نعلم ان الاستجابـات العاطفية التهورية لدى الشباب اكثر اندفاعا مـن عاطفة الكبار ... وهذا امر طبيعي نظـرا لفـارق السن وفارق الخبرة والتجربة التي تكتسب تدريجيا عبر مراحل الفكر الانساني ، حيث يلاحظ ان ما يراه شباب اليوم مفيدا من الآراء والافكار والايديولوجيات المستوردة ، سوف يراه غدا غير مفيد ، لان الحنكة وطول الخبرة ومعاناة الفكر بالتحليل والتعليل وتقدمه بتقدم مراحل وعيه وفكره أكد له خطأ ما ذهب اليـه خلال مراحله ، شبابه وفكره الاولان وبالتالي تـراه يعيد النظر في الكثير من قناعاته الفكرية الاولـى - حيث يكتشف تلقائيا وبدافع من التوعيـة وتعاليـم الصحوة الاسلامية الفعالة ـ أنـه كان اندفاعيـا اعتباطيا اكثر مما كان عقلانيا منطقيا موضوعيا ، ومن هنا كان لزاما علينا ـ نحن معشر العرب والمسلمين وخاصة الشباب ـ أن نوظف عواطفنا توظيفا يقـوده الفكر والعقل اكثر مما يقوده الهـوى والعواطـف الاندفـاعيـــــة ...

والسؤال الذي ينبغي ان يطرح ليجاب عنه في اطار هذا النقد الذاتي لمجتمعنا العربي بخصـوص ايجابيات وسلبيات العاطفة عند العرب هو : كيـف ينبغي ان نوظف عواطفنا توظيفا يتلاءم وهذا العصر ؟

حادي عشر : كيف ينبغي ان نوظف عواطفنا ؟

اننا لا ننكر ان للعاطفة وظيفة سلوكية تعبر عن رغبة نفسية في تحقيق ما تريد تحقيقه ، كما لا ننكر بأن كل كائن حي انسانا كان أو حيوانا هو حي بوجود العاطفة فيه ، وبانعدامها يصبح جمـادا لا يحس ، وبعبارة اوضح فاننا لا نريـد أن نجـرد الانسان من العاطفة وبالاخص الانسان العربي المسلم الموصوف بالانسانية والتعاطف والتسامح والتعامل السـوي المستقيــــم ...

ولكن ، وفي مقابل هذا يجب ان نعلم ان للعاطفة سلاحا ذا حدين بالنسبة لوظيفتها ، اى ان الوظيفـة العاطفية لا تكون ايجابية اذا تحكمت فيها الاهـواء والنفس الامارة بالسوء والجهل والاندفاع والتبعية المجهولة العواقب دون مراقبة ضمير ، ودون عرضها على ميزان العقل ، وخاصة اذا كان الامـر يتعلـق بالاندفاع العاطفي الذي يضر بالصالح العام فى المواقف الدولية ، والمعاملات الشعوبية المتبادلة ، والقرارات السياسية الحساسة ، اما التيارات العاطفية التـي تهم حدود الفرد وحياته الشخصيـة والتي قد لا يتعدى اثرها لغيره ، والتي يقال عنها انها ليست في ملك يد المعني بالامر بل هي غالبا ما تكون خارجة عن ارادته ولا يستطيع التحكم فيها ـ فنحن لا نتحدث عنها هنا الا من بـاب الشمـول والعمـوم ...

وبخصوص الاجابة على السؤال المطروح الخاص بكيفية توظيف عواطفنا العربية في المجالات الدولية والسياسية والاجتماعية والدينية والحياتية، وفي المواقف الحرجة الحساسة والمصيرية العامة نقول انه من الملاحظ ان العرب قد قطعوا اشواطا لا يمكن ان ينكر في مضمار التفتح والبناء والتعمير اذا ما قيس بالامس ، ولكن من المؤكد أيضا ان غيرهم قطعوا اشواطا اكثر بعدا ، ولكي نلحق بالركب ونساير التطور علينا ان نتزحزح قليلا من الاندفاع العاطفي ونقلص مجاله بالالتجاء الى لغة العقل والعلم والفكر في محافلنا ومواقفنا وسلوكنا ومعاملاتنا وقراراتنا . وبذلك نوظف عواطفنا توظيفا يتلاءم مع العقل والمنطق والمصلحة العامة المشتركة انطلاقا من الواقع الحضاري العلمي التقدمي ، التكنولوجي المعاش ، لا انطلاقا من عالم المثل والخيالات والرومانسيات و لضعف العاطفي التبعي ...

وبصراحة اكثر فنقول ان اعمالنا وتصرفاتنا وتخطيطاتنا ومؤتمراتنا ما يزال يهيمن عليها طابع « التهريج » وطابع « الشعارات » والديماغوجيات والاندفاعات والابواق الصاخبة حتى اصبح خصومنا ينعتوننا باننا نقول اكثر مما نفعل ، لاننا نغلب طابع التهريج على طابع « الصمت » ، ويا من احوجنا الى العمل في صمت دون اندفاع عاطفي ... !! ؟؟

فنحن عاطفيون اكثر من اللازم ... عاطفيون في فنوننا وآدابنا .. عاطفيون في موسيقانا وغنائنا .. عاطفيون في افلامنا ومسرحياتنا ومسلسلاتنا ... عاطفيون في عاداتنا واعرافنا وتقاليدنا ..
عاطفيون في طقوسنا .. عاطفيون في افراحنا واحزاننا .. عاطفيون في تشييعنا واستقبالاتنا ... عاطفيون في بكائنا وضحكنا وحبنا وكرهنا ... عاطفيون في مؤتمراتنا ومحافلنا ومناسباتنا ... وذلك اكثر من غيرنا . وهذا ضعف فينا ينبغي تفاديه بتوظيف العقل واعمال الفكر ، وتهذيب عواطفنا وصقلها بتحصيل العلم ، وتنقية العقيدة من الشوائب والخرافات والبدع وبالعمل في « صمت » ، وبهذا نسد الباب في وجه من يستغل عواطفنا وتبعيتنا قصد تمزيق شملنا ، وتشتيت صفنا ...

تلكم كانت – اخي القارىء الكريم – هي رؤيتنا التحليلية بخصوص « العاطفة العربية » وكيف ينبغي توظيفها توظيفا ايجابيا يحكمه العقل والمنطق وبرودة الدم ونفي الذات خدمة للصالح العام ، واهتماما بامور المسلمين اكثر مما يحكمه التهور المدفوع بدافع الذاتية والتبعية والايديولوجيات المستوردة .

الناظور – ازغنان : أحمد بودهان



في تاريخ تازة

للدكتور عبد الهادي التازي

لقد اشتهر في التاريخ ان امبراطورية الخليفة هارون الرشيد كانت تمتد شرقا وغربا بحيث يمكن القول، باصطلاح العصر الحديث، ان الشمس لا تغرب على راية « العباسيين » !.

وقد حدث أن اصيبت ارض العراق بجفاف توالى وطال، وظلت البلاد معه تعاني المتاعب والمصاعب.

وذات يوم ظهرت سحابة كثيفة في سماء بغداد، وفرح الناس وابتهجوا وصعد الخليفة هارون الرشيد الى اعلى القصر ليتمتع بمنظر المطر يسقي الارض بعد طول غياب، ولكنه ما لبث ان رأى السحابة تمضي في طريقها من دون ما ان تتفجر على سماء دجلة، وحينئذ غضب الخليفة! وتوجه الى السحابة يخاطبها ساخرا:

« ايتها السحابة، اذهبي أنى شئت فان خراجك راجع الي ! » .

يعني انه مهما يكن المكان الذي ستنتهي اليه فانه تابع له وراجع اليه، ولا بد ان يصله نصيبه من تلك السحابة اما محاصيل واما ضرائب ! .

تعمدت أن اذكر بهذه القصة لاذكر في نفس الوقت ان هارون الرشيد عندما كان يقول ذلك للسحابة، كان يشعر في قرارة نفسه بحسرة وأسى لانه كان يعلم ان هناك أمة واحدة من امم الدنيا بقيت خارجة عن نطاق حكمه ومنطقة نفوذه، ولم تكن هذه الامة غير دولة المغرب الاقصى التي استطاعت أن توطد لها حكما في هذه الديار بعيدا عن هيمنة بغداد !

ومن اجل هذا لا نستبعد المؤامرة الرخيصة التي أوعز بها البرامكة للخليفة هارون الرشيد، تلك المؤامرة التي استهدفت حياة الامام ادريس الاكبر، لا لشيء الا لانه عقد العزم على ارضاء سكان الديار المغربية الذين كانوا يرغبون في وضع اللبنات الاولى لدولة مستقلة ...

وبالرغم مما اظهره الادارسة من صمود وتحدي فانهم اصبحوا هدفا لاطماع الفاطميين في القيروان والمروانيين في قرطبة .

وبهذا نفسر وجود ما يسمى بالحلف بين قادة تازة وقادة القيروان في أواخر أيام الدولة الادريسية.

اقول ما سمي « حلفا »، ولا اقول تحالفا، لاننا جميعا نعلم أن نفوذ الفاطميين على ذلك العهد كان اقوى بكثير من نفوذ مكناسة، ولذلك فانه اذ كان هناك « حلف » فهو حلف ضعيف لقوي، واتفاقية متسلط على متسلط عليه، او بالتعبير الذي استعمله الغرب : « الاتفاقيات السبعية » .

والا فما كنا نتصور اطلاقا أن (تازة) التي صحبت ركب الامام ادريس — وهو من اعلام السنة — حتى مشارف تلمسان لتفتح ولتبني ولتشيد ، تتراجع بعد مدة قليلة لتحالف الفاطميين الشيعة ، والا فما كنا نتصور اطلاقا ان تازة عاصمة داود بن ادريس ... التي كانت وراءه ايضا في زحفه على خصومه السياسيين بفاس ، ما كنا نتصور أنها تنسى صحبة اهل السنة !! وان الذي يدل دلالة قوية وواضحة على ما نقول هو ان قادة تازة ، لما أتيحت لهم الفرصة للافلات من قبضة الفاطميين ... استقلوا عن الحكم كما كانوا يؤملون ، او حالفوا الامويين في الاندلس ! اذ لم يعد في استطاعتهم ان يحافظوا على ذلك الحياد الذي كانوا ينشدونه !

ومن يدري لعل تحرك المرابطين من صحراء المغرب كان بدافع جعل حد لتلك التدخلات الخارجية ، سواء أكان ماتاها من الشرق او من الشمال ، لعل تحركهم من صحراء المغرب كان بدافع الرغبة فى العودة الى الشعار الذي رفعه ال ادريس.. « المغرب للمغاربة » .

لا اقصد بهذا الكلام ان المغرب باستقلاله عن الخلافة في المشرق وبمقاومته لتبعية الفاطميين في القيروان ، وللمروانيين في الاندلس ، كان يترجم عن روح انانية او انفصالية عن العالم الاسلامي ! أبدا ... فان المغرب منذ كان وهو يعتبر نفسه من صميم ذلك العالم واليه ينتسب ، ولكن المغرب كان يعرف ان تلك التبعية ستلحق به ضررا فادحا ، نظرا من جهة لبعد الادارة المركزية ، ومن جهة اخرى فقد اصبحت اركان الامبراطورية في المشرق تنهار باستمرار .

فبقاء المغرب على هذا الوضع الذي اختاره لنفسه هو الذي مكنه من الحفاظ على اللغة العربية صافية الاديم ، والا لكان اليوم على نحو ما نسمع عن بعض البلاد النائية في آسيا مثلا ممن تعتنق الاسلام ولكنها لا تعرف شيئا عن لغة القرءان .

لقد تحرك المرابطون من صحراء المغرب ... واتجهوا نحو تازة لانهم يعرفون انها البوغاز البري الوحيد الذي سيوقف زحف الطامعين في التسلط على البلاد ...

ان المرابطين قاموا ، كما نعلم جميعا ، على مبدأ أهل السنة .. ولذلك فانهم لا يحرصون فقط على وحدة سياسية للتراب ، ولكن على وحدة مذهبية كذلك !

وحيث ان موقف تازة من الفاطميين كان على ما علمنا اي ان حلفهم انما كان موقوتا وبدافع مصلحة آنية ، فقد وضعت المدينة يدها في يد المرابطين لتستانف المسيرة التي دشنتها مع الامام ادريس ومع ابنه الامام داود بن ادريس ...

واذا كان الزمن قد عفى على معظم آثار المرابطين في تازة فانه لم يستطع ان يقضي على آثار الموحدين التي ما تزال فيها شامخة ...

لقد اصبحت تازة عاصمة بالفعل للموحدين ، ان لم تكن طيلة السنة فهي على الاقل كذلك ، في بعض الفترات من حياتها ...

ليس فقط لان تازة ذات مناخ معتدل وهواء عليل ولكن لموقعها الستراتيجي الهام باعتبارها الترس ، باعتبارها المعقل ، باعتبارها البرج الذي يضبط صلة الشرق بالغرب والجنوب بالشمال .

ولعلي لست بحاجة الى ان اؤكد على الاسباب التي كانت وراء اهتمام المملكة المغربية وخاصة الدولة الموحدية بهذه المدينة .

فان الامر كان يتعلق بتصميم الدولة على القضاء على الحركات الانفصالية التي ظهرت في باقي الاطراف الشرقية للمغرب الكبير ...

ولقد كان فى الامكان ان تبقى اجزاء الامبراطورية الموحدية كما كانت عليه في البداية ، لولا الحادثة التي قصمت ظهر الناصر الموحدي في الاندلس واعني بها موقعة العقاب سنة 609 هـ — 1209 م التي لم يكن الناصر يخامره شك في كسبها بعد ان اهتزت جميع بلاد الفرنج لجوازه للاندلس حيث سمعنا ببعثة لملك جوهن ملك انجلترا الذي عرض اسلام بلاده على الخليفة الناصر !

فعلى اثر هذه الوقعة ظهرت الحركات الانفصالية في اقطار الشمال الافريقي الذي كان الى الامس القريب يأتمر مراكش وينتهي بنهي مراكش !!

ظهرت حركة انشقاق في تونس عام 625 هـ ـ 1228 م حيث رأينا نظاما يقوم تحت اسم الدولـة الحفصية ... ثم رأينا حكما آخر يظهر في الجزائر تحت اسم دولة بني عبد الواد ...

لن يكون حديثي اليوم عما احدثه ذلك الانفصال من نكسات في شتى ميادين الحياة ، ولكني اليـوم بصدد اختصار القول بان العناصر الاجنبية والميليشيات المسيحية من شتى الجهات ، كانت تشجعه ، حيث انها وجدت في ذلك الانفصال الثغرة التـي كانـوا يصلون بواسطتها الى اشغال المسلمين هنا وهناك ، عـن مساعـدة اخوانهـم بالانـدلس ...

واما في اعلام اشخاص اجانب عن البلاد ، واما في تواريخ .. وكلها شاهدة على ان هـذه الاقطـار المفككة اصبحت ادوات في يد الاجنبي يصرفها كما يشاء وكيف يشاء ، وفي الوقت الذي يشاء !

انني لم اعد اكترث بما يقوله المؤرخون القدامى عن يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان بعد ان ادركت واقتنعت ـ وستدركون وتقتنعون مثلي ـ بان هناك عناصر خارجيـة كانـت وراء تصلـب ذلك ومـوقـف هـذا ..

فبعد ذلك الصدام الذي حدث ايام الخليفـة الموحدي أبي الحسن علي بن ادريس الملقب بالسعيد في صفر 646 ـ يونيه 1228 حيث سطا بنو عبـد الواد على مصحف عثمان بعد مصرع الخليفة الذي دفن على مقربة من ضريح أبي مدين الغوث ، دعونا .. نسمع عن تلك الاحتدامات والاصطدامات الجديـدة التي كانت المنطقة الشرقية مسرحا لها في الفترات الاولى من عهـد بنـي مريـن ...

* * *

وهنا ... سنرى الاسباب واضحة اكثر فـي الالتفات الى هذه المدينة العظيمة (تـازة) التـي فرضت نفسها فرضا على كل الواردين والصادرين من المشرق والمغـرب ...

لقد توجه اليها بنو مرين بنفس العناية والحماس الذي توجهوا به الى عاصمتهم فاس ، بل انهم اتخذوا من تازة مدرسة لفلذات اكبادهم وقاعدة للامراء وكبار رجـال الدولـة ...

لقد بلغت تازة في العهد المريني ما لم تبلغـه معظم المدن في المغرب الاقصى ... لنتتبع احـد الرحالة المغاربة المشهورين : ابن بطوطة وهـو في طريق عودته الى بلاده بعد زهاء ربع قرن من الغياب ، يحكي سطرا واحدا عن تازة ، ولكنه كان في نظري ذا دلاله واضحة على مركز تازة في الدولة ، وعلى انها لا تقل عن اية عاصمة اخرى تستقطب الاخبار وتجتمع عندهـا عيـون الانبـاء ...

ان ابن بطوطة ، كما تعلمون ، عند عبـوره على تازة فضل ان لا يختار طريقه من تلمسان عبر واحـة فجيج و (المنكوب) ، ولا كذلك عبر (وجدة) التي كانت تعاني تلك الايام من محنة الحروب التي كانـت تصدم بين بني مرين وبني عمهم بني عبد الواد ! ولكنه فضل ان ياخذ طريق الشمال ، وهكـذا اتجـه من تلمسان الى ندرومة وسلك الطريق الذي يسامـت الساحل حتى وصل الى (ازغنغن) جنوب ما نسميه اليـوم بالناضـور ...

ومن هنا نزل الى تـازة : قال ابن بطوطـة : « ووصلت الى مدينة تازا وبها تعرفت خبر مـوت والدتـي بالوبـاء » .

كانت هذه الجملة عندي كافية لمعرفة الحركة والروجان الذي تعيشه المدينة من حيث استقطابها لاخبار الناس بواسطة المجاهدين الذين تقاطـروا عليها في طريقهم الى المغرب الشرقي ، كانت تلـك العبارة كافية من حيث دلالتها على ان الدولة كانـت تقوم بجرد لاحصاء سائر الشهداء الذين راحوا ضحية الوباء العام الذي غزا المغرب عن طريـق البحـر المتوسط عام 749 هـ ـ 1348 م ، هـذا خبر قـد نمر عليه مرورا .. ولكنه كمـا نـرى ذو دلالـة رفيعـة قويـة :

ولم تكن المدينة (محطة اخبار واعلام) فقط ، ولكنها مركز اشعاع ثقافي وعلمي وحضاري . وفي الحوالات الوقفية انعكاس لاخبار تـازة ونشاطهـا العلمي والثقافي ، في المعامل والمصانع التي كانت تحتضنها من دباغة وصباغة ، وسبـك النحـاس والزجاج والورق ، ونحن نعلم عن المثل المغربـي السائر الذي يضرب (بصابون تازة !) والذي يعبـر عن جانب من جوانب اهتمامات المدينة ، بمعنـى صناعة الصابون التي تعتبـر من ابـرز الـدلالات

الحضارية ... كراسي العلم – الخزانات العلمية ، المدارس الطلابية ، احاديث الناس بعضهم بعضـــا كانت تعكس هي الاخرى درجة ثقافة الناس ..

لقد كانت تازة بذلك في صدر القواعد الثقافية الكبرى للمغرب مثل فاس وسبتة ومـــراكش وسلا ومكناس ... بل كما رايناه مثلا بالنسبة للقاضـــي عياض الذي اضطهده الموحدون ... والذي وجدنا خزانة المسجد الاعظم بتـــازة تنشا برسم حفــظ كتابــــه « الشفــــا » .. !

هذه تازة التي اصبحنا نرى عددا من رجــــالات العلم والقلم ينتسبون اليها ... حيــث اصبحـــوا يكونون مع فاس جبهة واحدة ، ان صح التعبيـــر ، لمنافسة علمـــاء المشـــرق ...

وهل سمعنا بشخصية عسكرية مغربية لعبــت دور دوليا في تاريخ العصر الوسيط وتبوات منصب رئيس دار الصناعة الحربية بالاسكندرية ؟

لقد كانت هذه الشخصية المشار اليها هـــي الرايس ابراهيم التازي الذي يحكي عنه تاريخ مصر: « انه استقبل من لدن السلطــــان الملـــك الاشرف شعبان 767 – 1368 وساله سلطان مصـــر هـــل ما ذا كان يستطيـــع فتـــح قبـــرص ؟ ..

هذا هو ابراهيم التازي الذي خلص مصر مـــن الاحتلال واحتفلت به الاسكندرية في يوم مشهود من تاريخ مصر .. لقد قالت عنه مخطوطة (الالمـــام) المحفوظـــة بدار الكتـــب المصريـــة :

« وفي يوم الخميس الرابع والعشرين مـــن شعبان سنة تسع وستين وسبعمائـــة (14 بريــــل 1368) قدم الرايس ابراهيم التـــازي من جـــزر الافرنج (قبرس) الى الاسكندرية بأسارى النصارى ... فارتجت لقدومه وماجت باهلها ساعـــة وروده فخرج أهلها منها الى موضع منارتها ... والمسلمون بالســاحل يضجون بالتكبير للعلي القدير ولم تبـــق مخدرة الا خرجت من خدرها ولا مصونة الا برزت من كنها ... وكان وصول التازي الى لمينة ضحى نهاره فزغرغت له الاحرار والجواري فدخل الاسكندرية على فرس عربية على راسه طرطور يقال له بلغة الافرنـــج كسترا (Castora) وعلى بدنه قسطون (Veston) محتزم عليه بحياصة جلد معلق بها خنجر مجوهر . وكان من خلف فـــرس الرايس المذكـــور أسارى الفرنـــــج ... »

وهكذا فان الرايس ابراهيم لم يكن الا مغربيـــا ينتسب الى : الموقع الذي كان يعرف في القديـــم باسم (الرباط) ... ان الرباط اذا أطلق بالنسبـــة للمؤرخين كان لا يعني غير تازة ، وليس ما يسمـــى رباط الفتح ... لنقرا في رحلة ابن قكون هذا البيت:

وحل رشا لرباط رشا رباطي
وتيمني بطـــرف بابلـــــي

وهل سمعنا بشخصية دبلوماسية ضربت المثل في علمها وفي حصافـــة رأيها وفي اناقتهـــا وفـــي استقطابها لصفات الخير والنبل اكثر مما سمعنا عن ابراهيم التازي الذي قال عنه المقري في نفح الطيب: « لقد اجتمع اليه الطلبة والعلماء لما ورد سفيرا على الاندلس من قبل السلطان ابي الحسن واخذ النـــاس عنه في غرناطة وحكوا عنه انه كان تام السراوة حسن العهد مليح المجلس ، انيق المحاضرة ، كريم الطبع ، صحيح المذهب ... ثم هل سمعنا بشخصية صوفية حلقت في سماء المعرفة كشخصية ابراهيم التازي الذي تنسب اليه الصلاة التازيـــة ...

ولنترك استعراض الشخصيـــات لانه يطـــول ويصول ويجول . ولنقرا افادة ابن الوزان المعروف بليون الافريقي الذي اشاد اشادة كبرى بعدد سكان المدينة وبمكانتها في الحضارة والاصالة . وتحدث عن جامعها الذي قال عنه : انه اكبر من جامع فاس ! وان بالمدينة طائفة من المدارس والفنادق والحمامات الكثيرة .. وقد وصف اهلها بالشجاعة والشهامـــة وكرم النفس ... وبما ان ليون الافريقي كان يقـــدم تازة للايطاليين فانه لم يفته ان يشيدبعنبها المتنوع الالوان : الابيض والاحمر والاسود الذي تعصر منـــه الخمـــور المختلفـــة الاشكـــال !

وقد قرات عن تازة في مخطوطة نادرة يوجـــد اصلها بخزانة جامعة القرويين وتوجد نسخة منهـــا بالخزانــــة الحسنيـــــة .

ويتعلق الامر بمذكرات الوزير الاسحاقي التي كنت نشرت منها الجانب الخاص بطرابلس (ليبيا) .. لقد تناولت هذه المذكرات رحلة الاميرة لالة خناثـــة زوجة السلطان مولاي اسماعيل وأم السلطان مولاي

عبد الله وجدة ولي العهد سيدي محمد بن عبد الله : رحلتها الى الديـار المشرقيـة والحجازيـة .

ويجب ان نعرف قبل شيء ان هذا الوزير لم يمر بمدينة او قرية دون أن يعطي عنها انطباعه مهما كان ذلك الانطباع حتى ولو اغضب اصحاب تلك القرية او تلـك المدينـة ...

لنستمع اليه مثلا يقول عن تـازة :

« ... وزرناها فاذا هي مدينـة آخذة من الحضارة بطرف ، وحصن حصين من المعاقل التي تعقل بها أثر الحسن القديم ، واذا بها جامع كأحسن ما انت راء من الجوامع سعة وحصانة وبناء ، متقنا محكم الشكل ، ولها صحن واسع بهـي المنظـر ، ومقصورة فيها عمل عجيب بتخريم الجبص وتنميقه وتقربصه في غاية ما يكون من الاتقـان والاحسان واحكام الصنعة والامعان وتلاحقه مدرسة عجيبـة مكتوب على بابها (مما لم يبق له اثر اليوم !) .

لعمرك ما مثلي بشرق ومغـرب
يفوق المباني حسن منظري الحسن
بناني لدرس العلم مبتغيـا بـه
ثوابا من الله الامير ابي الحسن!

ورايت (يقول الاسحاقي) به الثريا العجيبـة التي يضرب بها المثل في قلة النظير ، ويذكر الناس انها لا شبيه لها في الثريات ، فاذا هي عنقود عظيم مرصع بمراكز القناديل ترصيعا محكم الصنعـة في غاية الضخامة ، متماسك في الهـواء بسلسلـة من النحاس ، يتعجـب الناظـر من هيئـة الثريـا وتماسكها ، بهـا مكتـوب :

يا ناظرا في جمالي حقق النظرا
ومتع الطرف في حسني الذي بهرا
انا الثريا التي تازا بها افتخرت
على البلاد فما مثلي الزمان يرى!!

وبعد هذا يتحدث الاسحاقي عن الخزانة العلمية التي كانت بقبلي المسجد الاعظم على يسار المحراب من المدينة المذكورة والتي انشئت برسم اذاعة كتاب الشفا للقاضي عياض على ما سلفت الاشارة اليـه . ويفيدنا انه كان منقوشا على هذه الخزانـة هـذه الابيات الشعرية التي لم نجد لها أثرا كذلك فيمـا تبقى من معالم وملامح ، وهذه الابيات هـي :

لي منزل بين الخزائن شامـخ
قد خص من بيت الالاه بمنـزل

حفظا لمجموع الشفا انشئت عن
امر الخليفة فـارس المتوكـل

في عام سبع بعد خمسين انقضت
ومئين سبـع في ربيـع الاول

وبالمسجد الجامع من المدينة المذكورة منبر عجيب ، حسن المنظر محكم الصنعة ، رصع بالعـاج والابنوس ترصيعا غريب الصنعة ، والكل ، يقـول الاسحاقي ، من عمل الملوك بني مرين ...

* * *

لكن قبل ان استرسل في استعراض حضـارة ومعالم تازة ، هيا بنا الى الساحة الاخرى ساحـة النضال ... التي كانت تازة تبدو فيها عنيفة قويـة وهي تدافع عن هويتها الاسلامية ، هل ينسى التاريخ ان تازة هي التي انتبهت اول من انتبه للخطر الذي كان يهدد العالم الاسلامي قبل أربعة قرون من انشاء الكيان الصهيوني اليوم ، وماذا تعني حادثة ابن مشعل الذي كان يعتزم انشاء كيانا يهوديا في الاقليم ؟ !

سوف لا استرسل في حديثي عن هذه المحاولة التي اقبرها السلطان مولاي رشيد رحمه الله ، فان قصدي كان هو اثارة الانتباه الى دور هذه المدينـة الصامدة في مقاومة الدخلاء ، دورها في الحفـاظ على الكيـان المغربـي .

ان تازة لا تعد فقط اسما لمدينة بل علما على رباط جهاد تحطمت على ابوابه سائـر المناورات ، علما لمركز علم قوي ساهم في صنع رجال الفكـر ، رمزا لمدرسة صنعت السياسيين والدبلوماسييـن ، علما لتاريخ حافل بالمواقف الشريفة التي اتخذتهـا في سبيل الحفاظ على وحدة المغرب ليس فقـط ، وحدة ترابه الذي نمشي عليه ولكن وحـدة ترابـه الروحي المتجلي في وحدة المذهب والعقيدة ...

تلك هي تازة ، وان على ابنائها اليوم ان يقوموا بكتابة تاريخها في شتى الميادين ، ان عليهم وحدهم تقع تبعة التعريف بهذه الماسة التي نسميها تازة ..!

د. عبد الهادي التـازي

أقدم مسجد عتيق
بمنطقة رباط الفتح

للدكتور عثمان عثمان إسماعيل

حديث اليوم يدور حول بعض اكتشافات الاثرية بالمملكة المغربية ، ويتناول على الخصوص اكتشافنا لاقدم مسجد عتيق عرف حتى اليوم بمنطقة الرباط .

وهكذا يلزمنا الآن التعرف على مناطق العمران التاريخية بالمنطقة موضوع الحديث ، فحول مصب ابي الرقراق في البحر المحيط تقع مدينة سلا وآثارها على يمين المصب او الى الشرق منه ، وعلى يسار المصب مبتدئين من الجنوب نجد اطلال مدينة شالة الاثرية فمدينة رباط الفتح ثم قصبة المهدية المعروفة اليوم بقصبة الوداية .

ونستعرض الان بايجاز اهم الدراسات الاجنبية والعربية التي تناولت تاريخ وآثار المنطقة .

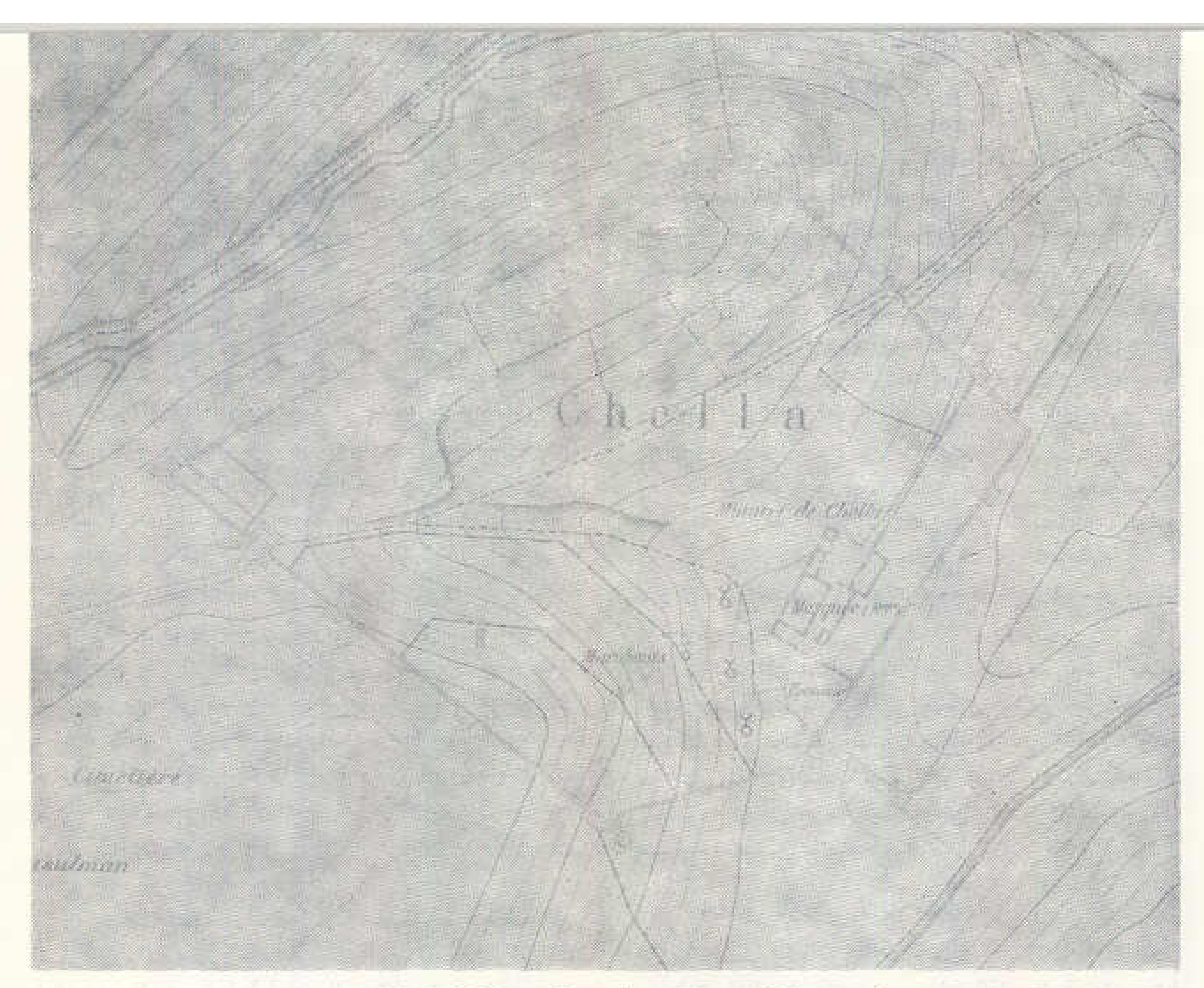
اهم الدراسات المباشرة في الموضوع :

واهم الدراسات المباشرة في الموضوع كتاب جاك كاييه J. Gaille عن مدينة الرباط La Ville de Rabat في ثلاثة أجزاء ، وكتاب البعثة العلمية الفرنسية عن الرباط وضواحيها Rabat et sa Région في اربعة أجزاء وتقرير الملازم الفرنسي روزيط Lieutenant Rozet عن شالة ، وكتاب ليفي بروفنصال ، وهنري باسيه حول شالة الذي نشرته مجلة الهسبريس تحت عنوان Chella une Nécropole Mérinide وهو اهم ما كتب عن شالة قبل أبحاثنا . وهناك كتاب هنري تيراس H. Terrasse Rabat à travers les Ages وكتاب جاك كاييه وجاك اينو حول مسجد حسان La Mosquée de Hassan à Rabat واخيرا بعض المقالات القصيرة بالصحف والمجلات المغربية لجول بوريلي J. Borely حول آثار شالة والرباط .

كذلك توجد دراسات غير مباشرة ولا بد من الرجوع اليها ، مثل كتاب هنري تيراس المعروف L'Art Hispano - Mauresque ثم كتاب هنري تيراس وهنري باسيه حول مساجد وحصون لموحدين Sanctuaires et Forteresses Almohades ويأتي بعده كتاب جورج مارسيه G. Marçais عن العمارة الاسلامية الغربية l'Architecture Musulmane d'Occident كما وضعت مؤلفات عربية مغربية مباشرة على الخصوص في الموضوع نشرها مؤلفان مغربيان من المنطقة بالذات. فقد الف محمد بوجندار كتاب مقدمة الفتح في تاريخ رباط الفتح ، وكتاب شالة وآثارها ، وكتاب عن قصبة الرباط الاثرية . كما الف السيد محمد بن علي الدكالي كتبا لا زال معظمها مخطوطا وهي الدرة اليتيمة و لاتحاف الوجيز وادواح البستان ، وكثيرا ما نقل عنها معاصره بوجندار . وبعد دراستها المباشرة وابحاثنا الميدانية بالمنطقة تمكنا من وضع ثلاثة كتب



مواقــع مــدن وعمــران المنطقــة حــول مصــب نهــر أبــي رقــراق في المحيــط



اسوار شالة الاسلاميـــة وموقعهـــا الطبوغرافـــي

حول تاريخ شالة وآثار وفنون المنطقة وهي : تاريخ شالة الاسلامية من الفتح حتى نهاية عصر المرينيين ، وكتاب حفائر شالـة الاسلاميـــة 1959 – 1960 م ودراسات جديدة في الفنون الاسلاميـــة والنقوش العربية بالمغرب الاقصى .

محاولات تحقيق اقدم مسجد بالمنطقة :

وننتقل الآن الى عـــرض ومناقشة محـــاولات تحقيق اقدم مسجد عتيق بالمنطقة . ويرى كايـــه الذي تخصص في دراسة تاريخ وآثار المنطقـــة ان اقدم مسجد عتيق بمنطقة الرباط هو مسجد قصبة المهدية الذي اسسه عبد المؤمن بن علي سنة 540 للهجرة . ولكن كايه الذي تحول اخيرا الى الاهتمام بدراسة التاريخ والآثار المغربية لم يكن يعرف مـن العربية غير اسمها ، فرجع الى المصادر المترجمـة وحدها واستعان على قراءة النصوص العربية ببعض القراء محدودي الثقافة ، الامر الـــذي اوقعـــه في اخطاء تاريخية خطيرة ادت الى اخطـــاء في دراسة الآثار جسيمة ، فضلا عن انه لم يحاول مطلقا تحقيق اي مشكلة تاريخية تتعلق بآثار شالـــة ذات الـــوزن الخطير على طول تاريخ الاسلام بالمنطقـــة ، فهـــو يصرح بوضوح في كتابه عن مدينة الربـــاط بقولـــه (سوف لا نتعرض لشالة لانها كانت موضوع دراسة رئيسية لهنري باسيه وليفـــي بروفنســـال وان اي بحث بعدهما سوف لا يأتي ابدا بجديد) وهكذا نرى ان كايه يغلق باب البحث امام المتخصصين مكتفيا بدراسة باسيه وبروفنسال التي عنينا بنقد ما اكتنفها من نقص وتقويم ما جاء بهـــا من اخطـــاء .

والحقيقة ان هنري باسيه وليفـــي بروفنسال قاما بوضع اول بحث كبير مباشر في منطقة شالـــة الاثرية تعرضا فيه لتاريخ المنطقة ومبانيها الاثريـــة وما تبقى بها من فنون زخرفية ونقوش عربية . وقد توصل الباحثان الكبيران الى ان آثار شالة الاسلامية

تشتمل على مسجدين ، مسجد اعلى حديث نسباه الى ابي الحسن المريني ، ثم مسجد آخر في ركن الخلوة أسماه بالمسجد العتيق ونسباه الى ابي يوسف يعقوب المريني المؤسس الحقيقي للدولة المرينية . وعلى الرغم مما تتميز به منهجية العالمين وما توفرا عليه من امكانيات في ذلك العصر فقد صرحا بكل امانة انهما (نظرا للصفة المقدسة التي تتمتع بها هذه المنطقة وآثارها الدينية فانه لم يسمح لهما بعمل أي حفائر بل انهما لم يستطيعا مجرد عمل مجسمات في الارض) . ولا شك ان تحقيق مواقع الآثار وتاريخها ودراستها دراسة صحيحة لا يستوي دون عمل تنقيبات تؤدي الى كشوف اقرب ما تكون الى اليقين ، خاصة عند فقر النصوص واختلاف الروايات .

وقد راى بوجندار المؤرخ الرباطي ان المسجد الاعلى من بناء ابي الحسن المريني الذي قام كذلك ببناء صومعة في مسجد جده يعقوب . فهناك اذن مسجدان في نظر بوجندار وان صومعة مسجد يعقوب لا ترجع الى عصر ملك واحد . وعلى الرغم من ان بوجندار كان مؤرخا من قلب المنطقة غير ان دراسة الآثار ومنهجيتها لم تكن توفرت بعد للمسلمين في ذلك التاريخ .

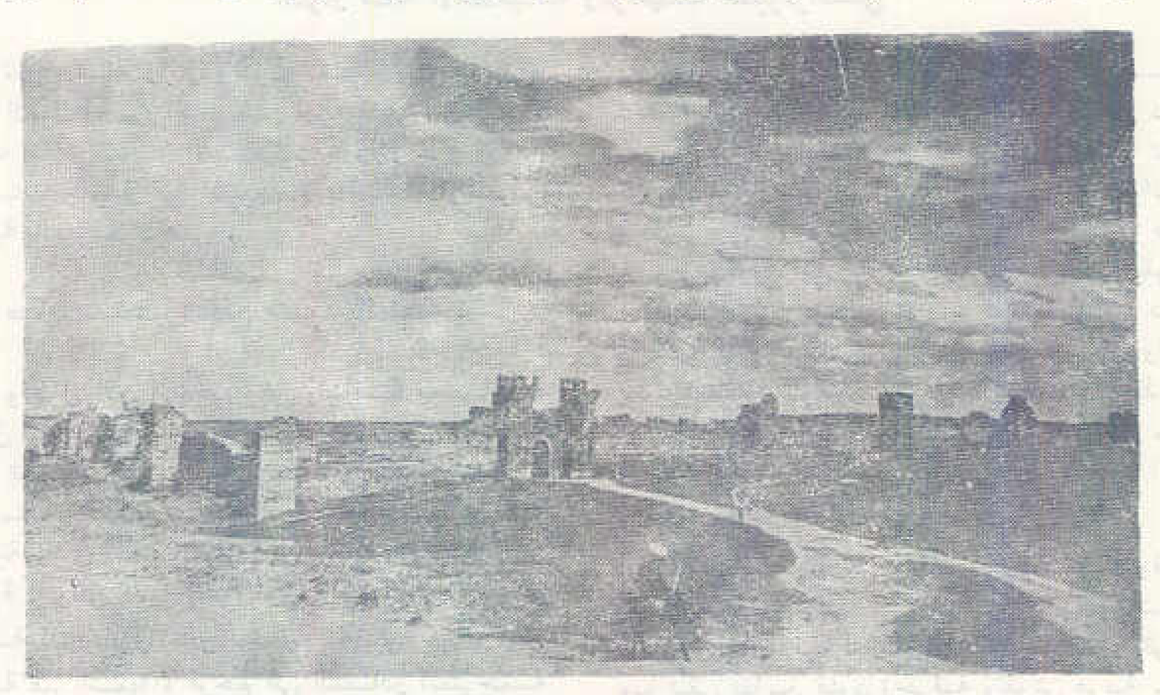
وعندما بدانا دراسة آثار المنطقة قمنا بجمع كل اشارة ورواية ونص جاء به المؤرخون قصدا او عرضا كما حصرنا جميع انطباعات الرحالة والجغرافيين العرب والاجانب منذ بداية الفتح الاسلامي وحتى تاريخ تصدينا للبحث ، كما تبادلنا اللقاءات والكتابات مع عدد كبير من المتخصصين العرب والاجانب الذين يهمهم تاريخ وآثار المنطقة . وقد أوصلنا هذا كله الى وضع ترتيب تاريخي لجميع النصوص والاراء ثم نقدها ومقابلتها الامر الذي ادى الى الوقوف على مدى التضارب الكبير في اقوال المؤرخين والرحالة والجغرافيين من حيث تاريخ المباني وترتيبها ترتيبا زمنيا .

وهذا هو جورج مارسيه يعتذر لنا (بخطاب خطي أرسله من الجزائر) عن عدم استطاعته وضع ترتيب تاريخي لمنشئات خلوة شالة التاريخية وانه لا زال من الصعب وضع ترتيب تاريخي لمجموع تلك الآثار .

ولقد كان هذا دافعا كافيا لمبادرتنا بعمل حفائر اثرية علمية منظمة في عين المكان لوضع حد للخلاف بين الآراء ولتحقيق وضع ترتيب تاريخي للآثار ، وهو ما ادى بنا الى كشف عدد كبير من الآثار الاسلامية المتنوعة داخل حرمة شالة وعلى رأسها اكتشاف اول مسجد عتيق بالمنطقة .

حقائق تاريخية لا بد منها :

ويحسن بنا اولا الالمام ببعض الحقائق التاريخية وتحقيق نتائجها حتى يتيسر لنا القاء نظرة جديدة



منظر عام لعمارة اسوار شالة المرينية

قبر ابي الكمال تميم أمير شالة وولده المكتشف بشالة عام 1960

على مفهوم تلك الآثار . وسوف نبدأ بايجاز بالنظر في عصر الادارسة وهو العصر الذي بدأ فيه حقيقة صوغ العمارة الاسلامية المغربية بعد استقرار الاسلام الحقيقي في هذه الديار . ويذكر صاحب روض القرطاس بأن المولى ادريس الاكبر رضي الله عنه بعد مبايعته بزرهون قام في سنة 172 هجرية بفتح شالة ، ثم تأتي قصة تقسيم ملك الادارسة بعد وفاة المولى ادريس الاصغر ، وفي حياة الامام محمد بمشورة جدته كنزة سنة 213 هجرية . وقد حققنا سابقا هذا الموضوع وناقشنا اخبار ذلك التقسيم ومواطن الامارات الادريسية المنطوية تحت سلطان الامام الاكبر محمد بن ادريس الثاني المتمركز في فاس . وتذكر الروايات التاريخية ان عيسى بن ادريس الثاني صاحب شالة قام بثورة على أخيه الاكبر صاحب فاس وسلطان المغرب كله . وعندما طلب الامام محمد من اخيه القاسم صاحب طنجة النهوض الى شالة اعتذر القاسم ، فطلب الامام محمد من اخيه عمر ان يتوجه الى عيسى الثائر بشالة فطلب عمر المدد وامده الامام الاكبر ، وبهذا استولى عمر بن ادريس الثاني على شالة حتى وفاته عام 220 هجرية. ويتبين لنا من تلك اللمحة قوة شالة الاسلامية وخطورتها خلال نصف قرن على الاقل حتى الآن ، بالنسبة للمغرب كله .

ونتساءل الآن هل يستقيم وضع شالة على هذا النحو من القوة والاهمية بدون مسجد جامع للمسلمين ؟ وليس ذلك فحسب بل ان النصوص التاريخية تفيدنا ان موسى بن ابي العافية أجلى الادارسة من مراكزهم بشالة واصيلا سنة 317 هـ ويتبين لنا من ذلك ان شالة ظلت بعد الادارسة قرنا آخر بعد وفاة الامام عمر بن ادريس الثاني ، فهل كانت شالة خلال ذلك التاريخ ايضا بدون مسجد جامع للمسلمين ؟

وننتقل الآن الى العصر الزناتي الممتد بين عصري الادارسة والمرابطين والذي دار حول محاوره الثلاثة المعروفة : ابناء ابي العافية المكناسي ، والمغراويين ، وبني يفرن . وقد تمركز بنو يفرن أثناء نزاعهم مع المغراويين منذ سنة 381 هجرية في شالة . ثم عرفت شالة عصرها الذهبي في حياة ابي الكمال تميم اليفراني امير شالة وصاحب مملكتها الذي غزا فاس نفسها سنة 424 وسيطر على المغرب كله مدة خمس سنوات او سبع حسب روايات المؤرخين . وبعد عودة حمامة بن المعز المغراوي الى فاس رجع ابو الكمال الى قاعدة مملكته بشالة حيث توفي عام 446 هجرية ودفن بها ، كما دفن الى جوار قبره بشالة ولده الامير محمد عام 462 هجرية وهو نفس العام الذي تم فيه للمرابطين الفتح النهائي لفاس والقضاء على مقاومة فروع زناتة الثلاثة التي جمعت بينها وحدة المصير وصراع المنافس المشترك من صنهاجة الملثمين .

ونتساءل الآن مرة اخرى ، هل كانت مملكة شالة دون مسجد جامع للمسلمين في عصرها الذهبي خلال الفترة الزناتية التي استمرت ما يقرب من قرن من الزمان وخصوصا على عهد ابي الكمال تميم أمير شالة وصاحب مملكتها ؟ .

(يتبع)

الإمامة ورسالة المسجد

للأستاذ عبد العزيز بغداد

-2-

ان الموضوع الذي تتحفز الآن لقراءته والاطلاع على بعض محتوياته، يعتبر تكملة لموضوع سابق كان الحديث فيه عن رسالة المسجد، وقد رأيت ان اتبعه بهذه التكملة عن ائمة المساجد نظرا للوحدة الموضوعية بين السابق واللاحق .

تاتي اهمية الحدث عن ائمة المساجد اليوم من ان الكثير من الباحثين والدارسين في عالم الشريعة الاسلامية والحضارة ، يرون ضرورة اعادة النظر في شؤون المسجد بصفة عامة حتى يواكب شؤون الدعوة الاسلامية ، وبشكل خاص تجب اعادة النظر في أئمة المساجد من اجل تكوينهم تكوينا يتلاءم مع رسالتهم الجليلة والخطيرة في نفس الوقت .

فغير خاف ان قضية التكوين اليوم اصبحت ملحة اكثر من اى وقت مضى في جميع المجالات . وحينما يتعلق الامر بالامامة يبدو اشد اهمية ، وذلك من اجل المجابهة ، مجابهة التحديات الكبرى الناتجة عن سرعة التغير في العلوم والتكنولوجية وفي السلوك البشري واثر ذلك على العقائد والافكار .

اننا نعلم ان اهمية الدين في حياة الافراد والمجتمع اهمية بالغة ، وان الدين من اهم العوامل لمقاومة الوان الظلم والتمييز العنصري والطائفي . وكل هذا يحمل على وجوب اعتبار ائمة المساجد هم الاداة الرئيسية لتحقيق هذه الغاية ، وذلك لما لهم عند جميع المومنين من اعتبار ، فالامام هو الموجه والمرشد والقائد المصلح ، وهو المعلم والمربي سواء في الحي أو في البلد الذي يعيش فيه .

وهذا يقود الى الاعتقاد بانه يجب ان يتصف امام المسجد بصفات ومزايا محددة وواضحة ، خاصة وانه انقضى وولى ذلك الزمن الذي كان ينظر فيه الى ان امامة المسجد هي عمل من لا عمل له . فقد اصبح من الموثوق به ان امام المسجد صاحب رسالة وعمل جليل ، ياتي فوق كل الوظائف باعتباره صاحب رسالة ورجل دعوة ومثالا وقدوة .

كل هذه العوامل حتمت ان يخضع ائمة المساجد - علاوة على مواصفاتهم الخاصة - الاعداد والتدريب والتكوين ، ليتمكنوا من القيام بوظائف المسجد المتعددة والشاملة .

والذي يزيد القضية حتمية ما يلاحظ اليوم من هذا الانفجار المعرفي الشامل لانواع المعرفة والمتعلق بكل جوانب الحياة ومتطلباتها . ولا بد ان يكون ائمة المساجد على علم ببعض ذلك ، لان العامة مستعدون ليمطروا ائمتهم بكثير من التساؤلات عن بعض القضايا الحياتية وعن رأي الدين فيها ، ولن يستطيع هؤلاء الائمة ان يكونوا في مستوى هذه التساؤلات الا بالاتصال الدائم بالمعرفة وبالانفجار

الثقافي . وبهذا الاعتبار تقفز وظائف المسجد لتكون حقا في طليعة وظائف المؤسسات التربوية والتثقيفية والاجتماعية .

ومن المؤسف حقا انه يوجد ما يؤكد انه ليس في العالم العربي والاسلامي معهد واحد ذو اهمية يعمل لاعداد ائمة المساجد ، او مؤسسة او كلية تتضمن ادارة لتدريس ائمة المساجد .

ان هذه وضعية مؤسفة لا تشرف العالم الاسلامي ، ولا تفتا تحد من انطلاقة الدعوة الاسلامية، ولذلك يقترح ان يكون هناك تخطيط شامل وعاجل لاعداد جيل من ائمة المساجد اعدادا عقديا وخلقيا وعلميا ومسلكيا ، بقدر يجعلهم مزودين بالقدرات والامكانات المعرفية ، وذلك من اجل تمكينهم من ممارسة وظائف المسجد المتعددة في المجتمع ، وهذا امر تتطلبه الصحوة الاسلامية وتتطلبه اساليب الدعوة التي يجب ان تكون في حجم ما يوجه الى الاسلام من طعون وسهام .

اننا في اشد الحاجة الى ائمة يتمكنون من حمل لواء التصدي للتحديات التي تقوم في وجه العالم الاسلامي .

ان الدعوة الاسلامية اليوم تفترض ان يكون امام المسجد اول المساهمين في ايقاظ شعور الناس وتنبيههم الى ما في نصوص الشريعة واحكامها من سمو واهمية ، والى ما في الاسلام من اخلاق وحكم .

ونحن نعلم ان اعداد ائمة المساجد عملية ليست هينة ، بل انها تتضمن عدة شروط نجملها فيما يلي :

— اجراء التحليل الوظيفي لائمة المساجد كما وردت في النصوص الاسلامية وكما حلل ذلك فقهاء المسلمين .

— تحديد الخصائص والصفات او القدرات والاستعدادات التي تقابل ذلك التحليل الوظيفي تحليلا اجرائيا .

— تحديد متطلبات تلك الاستعدادات والقدرات لتصبح صفات ثابتة في شخصية الامام اثناء فترة التكوين وبعده .

— التفكير في المناهج المناسبة بمفهومها التربوي الحديث في ضوء ما وصلت اليه الدراسات التربوية الحديثة بخصوص المناهج ، ومراعاة المواد الدراسية والثقافية والمهنية اللازمة .

— ادخال حياة الائمة الاجتماعية في الاعتبار ، اي اخضاع ذلك الاعتبار للوظيفة العمومية .

ويبدو انه قبل الاقدام على عملية اعداد ائمة المساجد ينبغي ان تسبقها عملية اولى تتعلق بالتدريب تعلقا وثيقا وتتمثل في :

1 ــ القيام بعمل مسح ميداني لائمة المساجد الحاليين للتعرف على اوضاعهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وعلى قدراتهم وامكاناتهم في التتبع والتعلم ومواصلة كسب المعرفة وتطويرها .

2 ــ القيام بعمل مسح ميداني يوضح اهم المشكلات التي يواجهها ائمة المساجد في بيئاتهم ، وذلك من اجل دراستها والعمل على ايجاد الحلول المناسبة لها .

3 ــ تحديد الحاجات التي يشعر بها ائمة المساجد في حياتهم اثناء عملهم لبحثها ودراسة طرق تلبيتها .

4 ــ البحث عن افضل الاوقات والامكنة والاساليب المناسبة لتدريب ائمة المساجد اثناء العمل وتامين الحوافز المتعددة لعملهم على الايمان بضرورة تدريبهم .

ولا شك ان هذه العملية اساسية وضرورية يجب ان تسير جنبا الى جنب مع كل التخطيطات التي تخططها الدولة للبلاد ، واذا كانت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في بلادنا تشعر بالمهمة الملقاة على عاتقها ــ وهذا شيء ملاحظ ــ فانها يجب ان يزداد ايمانها باهمية هذا العمل وتنفيذه ، لان ذلك يحقق بعض غايات الدعوة الاسلامية .

ولا نريد ان ندخل في التفصيل العملي لبرامج اعداد ائمة المساجد ، ولكن نحب ان نقتبس بعض التوضيحات في البرنامج العام ، وقد اقترحها

الدكتور محب الدين ابو صالح .. مدير التعليم بحلب ، وهي كالتالي :

1) حضور الدروس النظامية النظرية خلال ايام الدراسة وفق جدول الحصص الذي تنظمه الادارة المسؤولة عن اعداد ائمة المساجد .

2) القيام بالتدريبات العملية طبقاً للنظام الذي تخصصه الادارة المسؤولة ، سواء تعلقت التدريبات العملية بالقاء دروس ام اعداد بحوث ام اسعاف مريض أم تحضير وسيلة معينة ام غير ذلك .

3) الاستفادة من المكتبة ، وذلك بزيارتها وتكوين المهارات اللازمة لمعرفة المصادر والمراجع والقواميس والموسوعات العلمية واساليب استعمالها وزيارة المكتبات العامة الموجودة في المحيط والاستفادة من اساليب تنظيمها .

4) القيام برحلات علمية هادفة للاطلاع على محتوياتها البيئية للاستفادة منها اثناء العمل .

5) القيام بنشاطات اجتماعية وممارسات رياضية وتدريبات عسكرية .

6) اقامة ندوات او محاضرات والمشاركة في المناقشات والمتدخلات وذلك لتكوين المهارات اللازمة لشخصية امام المسجد المرجو لتنظيم الاستجوابات والحسم في التدخلات .

7) اصدار مجلات سنوية و نصف سنوية او شهرية ، وذلك من اجل التدرب على نشر الافكار والحث على التعامل مع الفكر المكتوب .

ونريد ان نلاحظ ان هذه الانشطة حينما تتم على الوجه المطلوب ، فانها ستهيء جيلا من الائمة يكفون الناس في أمور دينهم وفي كثير من امور دنياهم ، ويكونون وسيلة مهمة من وسائل تطوير المجتمع وتوعيته ودعوته لسلوك احسن السبل.

ومن المفيد جدا ان يعتمد اعداد ائمة المساجد على عدة اساليب ، منها تنظيم مؤتمرات ، تسمى : « مؤتمرات ائمة المساجد » لان المؤتمرات ذات نتائج تربوية وثقافية جيدة ، فبواسطتها يتم التوصل الى الاتفاق حول حلول بعض المشاكل ، ثم ان المؤتمر يعمل على تنمية تفكير الافراد والجماعات ويشعر المشاركين ان غيرهم يشاركهم التفكير في همومهم وقضاياهم ، كما يفيد في تنمية القدرة التحليلية وفن السؤال لديهم والابتعاد عن اتخاذ قرارات واحكام قائمة على الارتجال والانفعال .

وحينما تنظم مؤتمرات لائمة المساجد في بلادنا فانها ستكون فرصة تتيح امام هؤلاء الائمة ان يتعلموا فن المناقشة الفعالة التي تنمي لديهم الجوانب المعرفية والمهارات المتصلة بالموضوعات والمشكلات المطروحة في المؤتمر .

وتكاد الكلمة تتفق على ان اهم ما يجب ان تتسم به التداريب ، هو التركيز على الجانب التطبيقي ، ومن ثم فان تدريب ائمة المساجد يجب ان يركز على الجوانب العملية ، والتدريب العملي بالنسبة لهذا الموضوع يعني القيام بعمل معين يصاحبه مشروع مجسم ، وربما تصاحبه ايضاحات سمعية او بصرية أو سمعية – بصرية ، وبعبارة اوضح يمكن ان يتم هذا العمل بواسطة درس نظري يتلوه درس عملي ، وللتمثيل لذلك يمكن ان يكون الموضوع هو خطبة الجمعة واهدافها .

فبعد الدرس النظري ينبغي أن يعقبه مشهد عملي يستمع خلاله المتدربون لخطبة الجمعة في اطارها الطبيعي ، وبعد ذلك ينظم حوار ومناقشات تتبع الموضوع من جميع جوانبه ، ثم يفسح المجال امام تدريبات اخرى يتقن خلالها المتدربون بعض المبادىء التي لا بد من توافرها .

وقد سبقت خلال الفقرات السابقة الاشارة الى قضية المكتبة المسجدية ومدى الفائدة من تدريب ائمة المساجد على التعامل معها . والهدف البعيد والغاية المتوخاة من تدريب ائمة المساجد على فن المكتبات هو ان يعود للمكتبات في المساجد شانها السابق ، ذلك ان هذه المكتبات تتضمن امهات الكتب الدينية المتخصصة وكذلك الكتب الثقافية والعلمية .

ان هذه الكتب توضع تحت تصرف امام المسجد للعمل على تنمية خبراته وتوسيعها ولتثقيف الافراد

الذين يؤمون المسجد ، وبواسطة الاعداد والتكوين سيعرف امام المسجد كيف يوجه كل فئة الى نوع الكتب التي تحتاج للاستفادة منها والتي تناسب ميولها واتجاهاتها وحاجاتها .

وقد يقال ان مثل هذه المكتبات لا يمكن الحاقها بكل المساجد الجامعة ، وفي هذه الحال يقترح ان يعوض ذلك بما يسمى : المكتبات المتنقلة التي يمكنها الوصول الى الامكنة التي يعسر اقامة مكتبات فيها .

وكي نحاول الاقتراب من الاساليب الصحيحة المناسبة لظروف الدعوة الاسلامية السليمة فانه تتميما لما سلف يتحتم أن تحتضن تداريب أئمة المساجد واعدادهم ان يحتضن ذلك ما يلي :

1) توافر الشروط اللازمة والضرورية من الاخلاص والخبرة الكافية في الذين يقومون على التخطيط لمشاريع تدريب ائمة المساجد ، لانه بدون ذلك تفقد العملية كثيرا من المعطيات وتضيع الجهود ويصاب العمل بالغبن والضياع .

2) الاعتماد على المعايير والمقاييس العلمية الدقيقة عند اختيار او ترشيح من سيجري عليهم التدريب من ائمة المساجد الممارسين او المشاركين لاول مرة .

3) مدى قناعة من يستهدف تدريبهم باهمية ذلك في حياتهم العملية ، ومدى قدرة الحوافز الداخلية والخارجية والمادية والمعنوية المسخرة لافراد التدريب .

وكما يبدو فان هذه اعتبارات اساسية هي بمثابة تخطيط ضروري البدء به قبل الاقدام على هذه العملية الدقيقة والمهمة في سبيل الاعلاء من شأن الدعوة الاسلامية .

وكمقترح في هذا الشان يمكن القول بأنه من الضروري انشاء مركز علمي متخصص يطلق عليه اسم : « مركز اعداد ائمة المساجد » ويجوز أن يكون مثل هذا المركز ملحقا ببعض المعاهد العليا مثل دار الحديث الحسنية او كلية اصول الدين او كلية الدراسات العربية ، وتتعاون على تسييره بعض الوزارات كوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ووزارة التربية الوطنية ووزارة الثقافة .

ان هذا العمل من شانه أن يمنح هذه المراكز شيئا من القوة ويطبعها بطابع العلمية والتخصص ، ثم انه سيخفف من الاعباء التي ستكون اعباء ثقيلة لو اعتمدت هذه المراكز على جهود خاصة ومستقلة عن المعاهد والكليات التي سبقت الاشارة اليها .

ولا يجوز أن ننسى ان دور المجالس العلمية في هذا المضمار دور رائد وجبار فعليها المعول في كثير من القضايا ومنهم جلة المخططين لهذه العملية والساهرين على تنفيذها والوصول بها الى مشارف النجاح .

وبعد فان اندفاعنا للحديث عن المسجد ، هو في الواقع بمثابة التفريج عن هم يشغل بال المسلمين الذين يبحثون اليوم عن الخلاص وعن يومهم الذي يريدونه مشرقا وضاء كما كان منذ قرون خلت .

واننا لنعترف ان عودة المسجد الى القيام بدوره الحضاري والانساني تعد قفزة هائلة في مجال الدعوة الاسلامية ، لذلك فان البداية السليمة في مجال التوعية وفي مجال الدعوة لعبور التخلف ، ينبغي ان تبدأ من المسجد ، وان يكون هو محور التغيير في حياة المسلمين ، وهذا واضح لعدة اعتبارات :

ان للمسجد مكانة روحية عظيمة في نفوس المسلمين، فهو المكان الذي يحجون اليه في اليوم خمس مرات لعبادة الله سبحانه وتعالى .

وقد امتلأت آيات القرءان الكريم وفاضت احاديث الرسول الكريم بذكر المسجد والتنبيه الى عظمته . فقد قال تعالى :

« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله ، فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين » سورة التوبة.

ونقرأ في محكم آياته قوله ايضا :

« وان المساجد لله ، فلا تدعو مع الله الها احدا » .

وفي الحديث الشريف تعظيم لمكانة المسجد ووعد لبانيه بالجزاء الاكبر ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من بنى لله مسجدا يذكر فيه اسمه ، بنى الله له بيتا في الجنة » .

الى غير ذلك من الدرر التي قيلت في المسجد والتي تعتبر في مجموعها دلائل مشرقة وآيات ساطعة على أن المسجد عنصر اساسي في حياة المسلمين ، فيه وبواسطة انشطته الدينية والثقافية يمكن الرفع من شان العقيدة الاسلامية ، وبواسطته يمكن خلق الحافز الديني والوطني لدى جمهور المسلمين .

والذي يشجع على ذلك هو ان المسجد يعد مؤسسة منتشرة على امتداد الاراضي العربية والاسلامية ، اذ نجده قائما ومنتصبا في القرى والمدن ، وقد كان الامر كذلك ، لان اول اعمال الرسول في المدينة – بعد ان تركزت العقيدة – هو بناء المسجد .

وقد عمل هذا – بشكل أو بآخر – في نفوس المسلمين ، ونفخ فيهم الروح ، فما يزال المسلمون يتسابقون ويتنافسون في بناء المساجد وتعميرها واصلاحها والتبرع بالاراضي لتبنى عليها المساجد .

ولسنا نفتقد الاهتمام الآن ببناء المساجد والتحري من اجل ذلك ، اننا نجد المساجد اليوم تبنى في الطبقات الاولى من العمارات ذات الطبقات العديدة رغبة في تقريب هذه المؤسسة من جميع انواع السكنيات من اجل ضمان صلاة الجماعة التي تعد ذات مدلول اسلامي كبير .

اذن اتضح لدينا الآن مدى ضخامة الدور الذي يمكن ان يلعبه المسجد في حياة المسلمين ، وفي قدرة المسجد ان يكون حجر الزاوية واساس التوجيه في العمل الاجتماعي السليم ، لانه يستطيع ان يغرس في نفوس الناس ان « خيرهم انفعهم للناس » .

لقد بحث العلماء عن مؤسسة اخرى يمكن ان تكو نمثل المسجد في عطائه التربوي فلم يجدوا له مثيلا . فليست هناك مؤسسة تستطيع ان تنفذ الى نفوس الشباب وتخالط مشاعرهم وتوجههم نحو الخير كما هو المسجد .

فالمدرسة وان كانت تشارك المسجد في توجيه الشباب وفي تربيته وتعليمه ، الا ان الفروق بين الاثنين شاسعة ، وعلى راس هذه الفروق ان رواد المسجد يجيئون اليه متعبدين راجين رحمة الله تعالى ومغفرته ، وهم لذلك يكونون اشد حرصا والتماسا لكل كلمة او دعاء يتردد في المسجد ، ولا كذلك طلاب وتلاميذ المدرسة في اغلب الاحيان .

من أجل هذا جميعه وفي اطار الدعوة الاسلامية وفق الاسلوب الجديد ينادي الغيورون باعلى صوتهم بأن تعود الى حياة المسلمين حضارة المسجد ، ولن يتم ذلك الا بالتخطيط لتحقيق آمال المسلمين في رسالة المسجد .

ان المسلمين في جميع بقاع العالم يحسون – منذ قرون – انهم حرموا حضارة المسجد ، لقد أحسوا بذلك منذ اخذ منبر الجمعة تنبعث منه خطب باردة توارثتها القرون .

ومعنى هذا أن الكل ينتظر ان تاتي الدراسات الجادة التي يمكن على ضوئها ان تزدهر حياة المسجد متمشية مع الروح الاسلامية الخالدة ومستجيبة لمتطلبات الحياة المتطورة وفق ذلك التصور الواضح الذي يستطيع ان يفسح المجال امام توسيع وظيفة المسجد وتوثيق صلته بالمجتمع .

عبد العزيز بغداد

من اعلام تطوان :

أبو عبد الله الفرطاخ
العالم المحدث
-2-

للأستاذ سعيد أعراب

اشرت في صدر (25) هـذا البحث الى ان المترجم كرس حياته للتدريس والتعليم ، وكانت دروسه عبارة عن املاءات يحضرها في أوقات خاصة، وتأخذ منه كل الجهد ؛ وكانت له مكتبة عامرة تضم امهات لدواوين في التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، واللغة ، والادب ، والتاريخ ، والسير ؛ يعتكف فيها ليل نهار ، يقرا ويكتب ، ويبحث وينقب، مما سهل عليه اسلوب التاليف ، وطبع كتاباته بالعمق والشمولية ؛ اذن فلا بدع ان نجده يؤلف في مختلف العلوم والفنون ، واكثر تآليفه منظومات وأراجيز ، وربما كان النظم اسهل من النثر . ومن مؤلفاته في هذا الصدد :

1 ـ ارجوزة في التوحيد ، اسماها « ياقوتة العقائد » ، وقد افتتحها بقوله :

قال محمد بفرطاخ عرف
من لا يزال بالذنوب يتصف

الحمد لله الغني الصمد
المبتدي كل الورى بالمدد

وبعد فالتوحيد دين الله
وهو طريق الحق للا واه

اتى به الرسول حين الجهل عم
والاندثار بالاصول قد الم

وهي مطبوعة بأيدي الناس .

2 ـ وله عليها شرح سماه « درر المقاصد ، على ياقوتة العقائد »، وهو شرح مختصر ، لخص فيهما كتبه شيوخه في هذا الفن ، كأبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني ، ويرمز اليه بحرف (ك) ، وابي العباس احمد بن الخياط ، ويرمز اليه بحرف (خ) ، ومحمد ـ فتحا ـ القادري ، ويرمز اليه بـ (ق) ، واعتمد كثيرا على ابي عبد الله السنوسي في شرحه على أم البراهين ويشير اليه بصورة (س) ، والشيخ الطيب بن كيران على المرشد المعين ؛ ويشير اليه بـ (ط) ، وابي عبد الله جسوس في شرحه على توحيد الرسالة ، ويشير اليه بـ (جس)، وابراهيم الباجوري ، ويشير اليه بـ (بج) والدسوقي في حاشيته على شرح ام البراهين ، ويشير اليه بـ (د) ، ومحمد الطالب بن لحاج على ميارة الصغير، ويشير اليه بـ (مطلح) الى غير ذلك من المصادر التي صرح فيها بأسماء أصحابها (26) .

---

(25) انظر العدد (237) ص : 39 ـ 36 من هذه المجلة .

(26) وعندي من هذا الشرح بعض كراريس ، انتسختها من اصل المؤلف .

3 ـ منظومة ضمنها فوائد تنفع قارىء صحيح البخاري ؛ وقد أسماها : « اتحاف قارىء البخاري » تقع في 116 بيتا ، وتحتوي على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمـــة .

اشار في المقدمة الى ان علم الحديث أشرف العلوم ، وذكر ما يتعلق بكتاب الصحيح ومؤلفـه ، وتاريخ مولده ووفاته ، ومدة حياته :

وبعد فالحديث اشرف العلوم
وخيرها على الخصوص والعموم
قد الفت في علمه تآليـف
وصنفت في جمعه تصانيـف
اجلها كتاب من فاق الـورى
حفظا وفضلا عم ارجاء الثرى . . .

وتحدث في المبحث الاول عن بعض ما احتوى عليه كتاب الصحيح مما ينبغي معرفتـه على وجـه الاجمـــال :

وهذه فائدة مثل العـروس
ودرة لحسنها تحكي الشموس
تضمنت ما تنبغي معرفتـه
لكل من درس الصحيح همته . .

وفصل في المبحث الثاني ما اجمل القول فيه قبـــل :

وهاك تفصيل الذي اجملتـه
قبيله طبق الـذي سطرتـه
فعد ما فيه من الكتب مائـه
وزيد شيء قاله بعض الفئـه
ابوابه على اختلاف في الاصول
ثلاث آلاف بحفظها تصـول
واربع المئين مع خمسينـا
حرره أولو النهى يقينـا
وعدد الحديث بالمكـرر
وغيره من سائر المسطـر
تسعة آلاف كذا واثنـان
مع الثمانين فخذ بيانـي

وعده بـلا معلـق بـــدا
ولا منابـع ولا شواهـــدا
سبع الوف مع ثلاثمائـــة
ثمت تسعون من بعد سبعـة

وخص المبحث الثالث للحديث عن بعـض مصطلحات اهـل هذا الفـن :

واعلم بأنهم اذا مـا اطلقـوا
لفظ الصحيح ليس قط يطلق
الا على ذا الجامع المشهـور
بجامع البخاري المشكـور
او الصحيحين اضفهما لـذا
مع صحيح مسلـم وحبـذا
او الصحاح مجمعا فالستـة
هذان اي والسنن الاربعـة

ونبه في الخاتمـة على اسم المنظومـة واسم ناظمهـــا :

سميتها (تحفة قارى الصحيح)
بضبط ما ينفع بالنص الصريـح
ناظمها الراجي عظيـم الفضـل
فرطاخ تطوان كثير الجهـل
ومعدن القصور والتقصيـر
اذ ليس حقا من ذوي التحرير . . .

وهي مطبوعة لكنها نادرة الوجود (27) ، ولـذا عرفـت بهـا .

4 ـ وله حاشية على شرح الترموسي لالفيـة السيوطي في مصطلح الحديث .

5 ـ وحاشية على صحيح البخاري ـ وهمـا خلاصة دروسه بجامع للا فريجة .

6 ـ تاليف في ضوابط القضاء ، دونه أيـام قضائه بالناحية الريفية من منطقة الشمال .

---

(27) طبعـت بتطـوان سنـة (1943) .

7 ـ ولـه كنـاش ضخـم ضـم مختلـف فتـاواه .

8 ـ تاليـف فـي غسـل الميـت .
9 ـ تاليـف فـي ليلـة القـدر .
10 ـ تاليـف فـي زكـاة الفطـر .
11 ـ خطـب منبريـة من انشائـه .
12 ـ رحلة الـى فـاس عـام 1369 هـ .
13 ـ كتابة على آية « وان تعـدوا نعمة الله لا تحصـوهـا » .

14 ـ ديوان شعر ضمنه ما قالـه في مـدح الرسول ـ عليه السلام ـ وفي مـدح اشياخـه ، وبعض رجال العلم واهل الفضل . . . وهو 47 قصيدة من القصائد الطوال ينيف بعضها على ثلاثمائة بيت ، مع مقطعات قالها في بعض المناسبات ، وقد وقفت على هذا الديوان بخط ناظمها ، وقدم لـه بكلمـة قصيـرة ، قـال فيهـا :

« هذا كناش اتخذناه لنسخ ما من الله تعالى به علينا من القصائد في مدح الرسول صلى الله عليـه وسلم ومدح شيوخنا رضوان الله عليهم . . . » (28).

1 ـ وقد صدره بقصيدة في المولد النبوي ، وهي نونية ، افتتحهـا بقولـه :

امحمد يـا فاتـح الاكـوان
يا منبع الاسرار والعرفـان
يا معدن (29) الجود الذي عم الورى
ومداد نقطة سائـر الاعيـان
انت المراد من الخلائق كلهـم
انت المقرب صفـوة الرحمـان
انت العظيم القدر والباب الذي
منه الدخول لحضرة الديان . . .

وهي ثمانية وثلاثمائة بيت (308) ، تتخلل كل مجموعة منها لازمة ، ويسميها الناظم « بالحربة » :

مولاي صل على الحبيـب محمد
اصل الوجود وفاتـح الاكـوان
وعلى جميع الآل والصحب الرضى
والتابعين وكـل ذي ايمـان
وارحم الهي جمعنا بمديحـه
وانشر علينا حلة الرضـوان
وامنن علينا يا كريم بعطفـة
وتول امر عبيدك الجيران (30)

وكان ـ رحمه الله ـ ينشدها كل ليلة المولـد ـ واقفا بصوت جهوري ـ في تذليل وخشوع ، وهو يعاني من داء الفتق ، والعرق يتصبب من جبينـه ، نفعه الله بصالح نيتـه .

2 ـ وتليها في الترتيب قصيـدة عينيـة ، يتشوق فيها الى مدينة الرسول ، مهبط الوحـي ، يقـول في مطلعهـا :

بمحمد قلبي غـدا يتولـع
وبمدحه اضحى لساني يصدع . . .

وختمهـا بهـذا التـوسل :

امحمد ارجو بفضلك عـودة
فالقلب من حر الجوى يتوجـع
امحمد ابغي الاياب لطيبـة
لارى ضريحك فالفؤاد مروع . . (31)

3 ـ وقال من قصيدة في أزمـة اصابتـه ، فـرج الله عنـه سريعـا :

كـم ليلـة قـد بتهـا
في الهم والضيق الشديـد
قد جاءني في صبحهـا
فـرج مـولاي المجيـد
فعـاد همـي بالفـرح
والضيق باليسر المديـد

---

(28) انظـر الديـوان ورقـة 4 ـ (أ) .
(29) كذا في الاصل ، ولعل الانسب (يا مادة) .
(30) انظـر الديـوان ورقـة 4 ـ (أ ـ ب) .
(31) انظر الورقة 10 (ب) ـ 11 (أ) .

تمـم الهــي مقصــــدي
فانت ذو الوصف الحميـد
وامنن بشكـري النعـــم
فالفضل بالشكر يزيـد (32)

4 ـ وله عدة قصائد في مدح شيخه محمد بن جعفر الكتاني ، منها قوله فيه ـ حينما كان مجاور بالمدينـة المنـورة :

أرى منك الدموع لها انسجـام
ونار الشوق لاح لها اضطـرام
ولبك طاش مـن عشق ووجـد
وقلبك قد تخلله الغـــرام
أمن شط الديار ديار ليلـى
علاك لوجد ـ دابا ـ والهيام (33)

5 ـ وقال من قصيدة يمدح بها شيخه ابـا العباس احمد بن الخياط :

مآثر اهل الله اربت على القطـر
ومجدهم يعلو سناه سنا البـدر
وفضلهم كالشمس عم ضيـاؤه
جميع السهول والنجود مع الغور
وجودهم كالبحر لا زال فائضـا
يمد بأمواج المواهب والخير .. (34)

6 ـ ونظم قصيدة مطولة (35) في مدح ابـي العباس احمد بن محمد شتوان ـ دفين (36) قبيلة بني بدر ، واستطرد للحديث عن اسلافه لذين توطنـوا هـذه القبيلـة :

هذا ضريـح العارف الربانـي
بحر العلوم ومعـدن العرفـان
هذا ضريح المرتضى البدر السني
كنـز المكارم منبـع الاحسان
هذا ضريح الفرد العلم الـذي
اسراره سطعت بذي الازمـان

* * *

وغدت بنو بـدر تفاخر غيرهـا
ببدورها وشيوخها الاعيـان
كالعالم المشهور ينبوع النـدى
كنز المعالي واليها السرحانـي
والعالم الفرطـاخ لاح ضيـاؤه
بمسعيد كهف العلى النوراني (37)

7 ـ وقال يهنىء أبا عبد الله الزمزمي ابـن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني ، بمناسبة زفـاف كريمته الى بيت زوجها العالم الاديب محمد ـ فتحا ـ الحـرق السـلاوي :

بدر بافق سلا الغراء قد سطعت
انوره (38) ام بدور سعدها سطعت
ام ذاك نور قـران لاح منتشرا
يوحي بيمن واسعد (39) به قرنت
فشنف السمع ان السمع يعشق ما
يحيي الرميم وان شمس الصبا افلت (40)

8 ـ ومن قصيدة لـه يصـح ان نعنونهـا بـ (نجـوى) :

احبة قلبي انتم السؤل والمنـى
فان انتم عني رضيتم فيا سعدي
شهودكم ذخيري وانسي وراحتي
وذكراكم احلى ـ بقلبي ـ من الشهد

---

(32) انظـر الورقـة 12 ـ (أ) .
(33) الورقـة 12 (ب) .
(34) الورقـة 64 ـ (ب) .
(35) ابتدا نظمها سنة (1364 هـ) ـ عنـد زيارته ضريح الشيخ احمد شتوان واتمها في زيارتـه الثانية سنـة (1365 هـ) .

(37) انظـر الديـوان ورقـة 55 ـ (أ) .
(38) في الاصل (انوارها) ـ ولعل الانسب مـا اثبتـه .
(39) في الاصل (وخيرات) ـ والانسب ما اثبته .
(40) انظـر الديوان ورقـة 71 ـ (أ ب) .

واشرف احوالي وابهى مراسمي
وقوفي بباب فضلكم موقف العبد

* * *

الهي لئن كانت ذنوبي عظيمـة
فرحمتك العظمى تجلت عن العد

فهب لي ذنوبي كلهـا وتولنـي
ومن بعفو منك يا منتهى القصد (41)

9 ـ وقال من قصيدة يمدح الشيخ محمد الحـراق التطواني :

اراك تهيم والها دائم الوجـد
وعينك تحو الحي دائمة الرصد

وجسمك اضحى للنحول محالفا
وجفنك امسى فى الذبول من لسهد

ووجهك وجه مستهام بهيجـه
تذكر من يخفيه خوف ذوي الكيد

كأن غراما زار قلبك واستـوى
بأفق الحشا والشوق قد لج فى الوقد

أمن عشق ليلى ذا الهيام فيا له
ويا حبذ اذ عشقها طالع السعد

وهل وعدت يوما بوصل فيرتجي
حليف السهاد أن توفي بالوعد (42)

10 ـ وله مجموعة قصائد في مدح المولى عبد السلام بن مشيش (43) ، والشيخ التجاني (44) ، وأبي العباس احمد بوعرقيـة (45) .

11 ـ ونظم المترجم بعض قصائد بالملحون ، منها قصيدته في مدح الشيخ ابي محمد عبد السلام ابن ريسون ، افتتحها بقولـه :

ربي حرمت كنز الفضل بن ريسون سلطاني

وهي طويلـة في خمسين بيتـا (46) .

12 ـ ومن هذا النمط ، قوله ـ يمدح الحاج عبد السلام الوزاني ـ نزيـل طنجـة :

دقـت اخيامـي اسدنـا
في حرمك يا عنيت وزان بحر الكرم

واهجرت في هـواك منامـي
بمداحك اتـاج الفخـام

واسرارك مدامـي أسدنـا
والقلب واللسان سعدني مع القلام

انشـدت انظامـي
واصنعت فيك حلا من طيب الكلام

وجـاء في خاتمتهـا قولـه :

خلي ولقرا انظامـي أسدنـا
وحفظو تنل سقوى من شراب اهل الكرام

ودع عنـك ملامـي
وسل لي من ربي عفوو عن الاثـام

عسى انفوز بامرامـي اسدنـا
تنجى في الدنيا ولاخرى من النقام

ونشفـى مـن اسقامـي
وتفرج كل ضيقا حرمت هذا الهمام

(41) انظـر الورقـة 3 ـ (أ) .
(42) الورقة 61 ـ (أ) ـ 64 ـ (أ) .
(43) انظر الورقة 30 ـ (أب) وما بعدها 3 (أب) 32 (أ) 34 (أ) .
(44) الورقـة : 52 ـ (أ) ، 54 (أ) .
(45) الورقـة 51 (أ) .
(46) الورقة 41 ـ 42 . وله قصائد اخرى في مدحه ، انظر الورقات 36 ، 38 ، 39 ، 40 ، 57 ، 60.

واسمي في المنام اسدنا
محمد المكني القرطاخ ساعي الذمام

بتطوان مقامي
بها يتصفى العسجد من السخام

وهي طويلة نحا فيها منحى الملحونة المشهورة:

(بسعد القلب الهاني اسدنا)

وجعلها ثمانية اقسام ، تتخلل كل قسم منها لازمة (حربة) :

(مدحك يسقي الظامي اسدنا) . . .
هذه مقتطفات من شعر المترجم ، لم اقصد بها الى الدرس والتحليل ، وانما اردت فقط ان اقدم الى القارىء نماذج منه ، وادعه لذوقه وفهمه .

ولنا وقفة مع رجزه المطول الذي ذيل به على الفية السيولي في علوم الحديث ، فالى لقاء آخر بحول الله .

تطوان : سعيد أعراب

---

(47) نظمها المترجم سنة (1334 هـ) ، انظر الديوان ـ الورقة 42 (ب) ، 47 (أ) ، وله فيه قصائد اخرى ، انظر الورقة 38 (أ) .

الأسدي

شاعر الوحدة الاسلامية في الأندلس

للأستاذ علي لغزيوي

يحفل التاريخ بالاحداث والعبر التي لا تنتهي بانتهاء الظروف التي افرزتها ، بل تظل متجددة قابلة للاستمرار عبر الاجيال اللاحقة ، بسبب تشابه الظروف والمناسبات في كثير من بقاع الارض ، ولا اريد ان اضرب الامثلة ، او اسوق النماذج العديدة لذلك ، ولكني أوثر أن امثل بأصوات الوحدة التي تعالت في مختلف الظروف والحقب ، تنادي بضرورة الوحدة ونبذ الخلاف ، وكان المجتمع الاسلامي خاصة ولا يزال ميدانا لهذه النداءات المتوالية بسبب ما أحاط به من ظروف لا يختلف ما مضى منها كثيرا عما يعرفه عالمنا اليوم .

ولكن هل يستفيد الانسان من الدروس والعبر التي يسجلها التاريخ ؟ وهل يستجيب للنداء النبيل الذي يرسله الاحرار من ذوي النيات الحسنة لجمع شتات ما تفرق ؟ وتصحيح خط السير ووضع العجلات في الطريق الرشيد للانسانية ؟ والتسامي فوق كل أنواع النزاع والاستغلال لتجنب الضعف الذي يهدد بالدمار ؟ والخلاص من الخطر الذي قد يدفع بنا الى هوة سحيقة .

قد تتعدد الاجوبة ، او تتنوع أساليب التسويغ والتهرب للتخلص من الجواب الصريح المباشر ، ولكن مما لا مراء فيه ان الانسانية لا تستفيد الا بالقدر اليسير من تجارب الاسلاف ؛ اذ لو كانت الاستجابة قوية ، لكان العالم اليوم غير ما هو عليه من فرقة وتطاحن وانقسام ، واراقة دماء بحق وبغير حق . فاذا قصرنا الامر على الامة الاسلامية باعتبارها حاملة مشعل النور لهداية العالم وقيادته ، استجابة وتحقيقا لاهداف الرسالة الاسلامية الخالدة ، لوجدنا الحالة لا تختلف كثيرا . فهل نحن في مستوى قيادة العالم ونشر الرسالة الربانية الخالدة ، والمحافظة عليها باعتبارها أمانة ومسؤولية كبرى ؟ وكيف يتحقق ذلك في وقت لا تزداد فيه الامة الاسلامية الا فرقة وتطاحنا واختلافا ؟ بالرغم من وعي كثير من أبنائها بالمآل الذي يمكن ان يؤول اليه المصير في خضم الصراع المفروض على المسلمين فرضا من طرف خصومهم المتربصين بهم .

لا اريد ان اذهب بعيدا فأجاري من يقول ان المسلمين ليسوا في مستوى القيادة ، لانهم لا يعدون ان يكونوا طوائف شتى اشبه بحال القبائل المختلفة التي تنتشر في المشرق والمغرب ، فذلك قد لا نقبله على هذه الدرجة من القسوة في التطرف ، ولكن الملاحظ مع ذلك ، ان متتبع اخبار العالم الاسلامي ، والمراقب لطبيعة العلاقات بين بعض (الدول) الاسلامية وبعض ، يجد نفسه أمام صورة مماثلة لعهد ملوك الطوائف في الاندلس ، وهو العصر الذي حمل في طياته بذرة الضعف والانقسام والانهيار .

واذا كان هذا الوضع – اذا نظرنا اليه من هذه الزاوية – مزريا يبعث على التشاؤم أحيانا ، ويزرع

في النفوس الصادقة المرارة والاسى ، فان اصوات الوعي تتعالى هنا وهناك ، تدق (ناقوس) الخطـر حينا ، وتسهم بكل انواع المعروف حينا آخر لتقريب وجهات النظر ، وتوحيد الرؤيـة ، او اعادتهـا الى وضعها الطبيعي ، وهي بذلك تبعث على الامل ، وتكاد تبدد الظلمة التي تحجب الرؤية السليمـة للواقـع والمستقبـل علـى السـواء .

تلك خواطر مستخلصة من قراءة الواقع العربي الاسلامي في عهدنا هذا ، وهي قراءة ذكرتني بواقع الاندلس في كثير من مراحل تاريخها ، وما سد فيها من صراع وانقسام في الداخل ، ومواجهات متوالية في الخارج . ولكن اصوات الوحدة التي تعكس الوعي العميق بأبعاد المعركة وخطورتها لم تغب حينـذاك ايضا ، وكانت عاملا من اهم عوامل اليقظة ، وجمـع الصفوف ، وتوحيد الكلمة ، ولو الى حين . والامثلة على ذلك كثيرة على امتداد تاريخ الاسلام في الفردوس المفقود ، ولكني أختار منها نموذجا واحدا لعله من اقوى واوضح اصوات الوحدة دلالة وعمقا ، ينتمـي الى وقت مبكر في تاريخ الاندلس ، افرزتـه ظروف وملابسات معينة ، تشبه الى حـد كبيـر ظروف وملابسات واقعنا الراهن ، ذلك هو صوت الشاعـر الاسدي الذي يمكن اعتباره بحق شاعـر الوحـدة الاسلامية في الاندلس ، ولكن دعوته لا تقتصـر على عصره وحده ، بل يمكن ان يغدو نموذجا حيا خالدا ، ورمزا غنيا يحمل الكثير من الدلالات ، مما يؤكد انه اذا كان عصرنا اليوم يعتبر عصر اليقظة والوعـي ، بسبب ما حققه تاريخ البشرية وفكرها من نمو وتطور، فان العهود الماضية بدورها لم تخل من علامات الوعي واليقظة التي لا تقل قيمة عن مظاهر اليقظة والوعي في عهدنا الراهن هذا ، ان لم تفقها أحيانا ، لتكتسب صفة الاستمرار والخلود . ولعل الاسدي واحـد من أوضـح تلـك العلامـات .

فمن هو الشاعر الاسدي ؟ وما هي مقومـات دعوته من خلال شعره ؟ هذا شاعر يكاد يكون مغمورا بسبب ضياع اخباره وآثاره او معظمها ، مما يجعلنا لا نعرف عنه الشيء الكثير ، وكل ما نعرفه عنه اعتمادا على المصادر القليلة التي احتفظت ببعض الاشارات انه : محمد بن سعيد بن مخارق الاسدي ، نسبة الى اسد بني خزيمة ، فهو عربي النسب ، عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، لان ما بقـي مـن شعره يرتبط بأحداث هذه الفترة ، وقـد عاصـر الصراع المرير الذي دار بين القوة العربية من جهة ، سواء على الصعيد الشعبي أم على الصعيد الرسمي ، وبين قوة المولدين الحاقدين على العرب ، والمتمردين على امراء قرطبة بزعامـة عمـر بن حفصـون من جهـة اخـرى .

وكانت المواجهة بين العرب والمولدين تتمثل في واجهات متعددة ، ابرزها : الاصطدامات الدموية والمعارك الحربية ، والمنافرات اللسانية بين شعراء كل فريق ، وقد كان الشاعر الاسدي يحامـي عـن العرب بلسانه ، ويقوم فيهم مقام عبد الرحمـان بن احمد المعروف بالعبلـي في المولديـن .

وبالرغم من قلة ما بايدينا من اخبـار وآثـار الاسدي ، فان ذلك القدر اليسير ، ولا سيما مـا احتفظ به ابن حيان الاندلسي في كتابه (المقتبس) (1)، يعكس وعيا عميقا بخطورة المعركة ، وفهما واسعـا لابعادها وانعكاساتها ؛ فقـد تأمـل واقع العـرب والمسلمين فرأى ان جرثومة العصبية القبليـة بين القيسية واليمنية ، بعد ان حملوها معهم من الشرق ولم يستطيعوا التخلص منها في البيئة الجديدة ، قد افنتهم او كادت ، وهم لم يكـادوا يتخلصـون من الصراع الذي كان محتدما في مرحلة سابقة لعصـر الاسدي ، في عهد الولاة بين الشاميين والبلديين ، تغذيه النزعة القبلية بين القيسية واليمنية ، وقد بلغ الامر بالمسلمين في تلك المرحلة ، وبسبب توالـي الجهاد الخارجي حيث كان العدو يتربص بهـم ، ان شعروا بالخطر الحقيقي الذي يهـدد مقدساتهـم ووجودهم ، وتمثل ذلك الاحساس المشبع بالمرارة والاسى ، في رسالة جماعية بعثوا بها مـن الاندلس الى والي افريقية من قبل الخليفة الاموي في دمشق، ومما جاء فيها : « أعنا بوالي يجمعنا ويأخذ بيعتنا له ولامير المؤمنين ، وحتى يصير الشام والبلدان على دعوة واحدة ، فقد افنانا القتل ، وخفنـا العـدو على ذراريـنـا » (2) .

---

(1) المقتبس لابن حيان ، القسم الثالث ، تحقيق الاب م. انطونيا ، طبعة باريس 1937 ، صفحات متفرقة ، وهو القسم المعتمد في هذه الدراسة.

(2) اخبار مجموعة في فتح الاندلس لمؤلف مجهول ، ص : 48 ، تحقيق ابراهيم الابياري 1401 هـ — 1981 م ، دار الكتاب اللبناني — بيروت .

وهي رسالة غنية عن كل تعليق ، تعيد الينا اليوم صورا متعددة من القتال الدائر بين الاخوة بعضهم وبعض .

وتأمل الشاعر الاسدي العلاقات بين العرب والمولدين الذين يصدرون عن حقد شعوبي على العرب ، فرأى ان فرقة العرب وتشتت صفوفهم سبيل الى ضعفهم ، ولا سيما امام ثورة ابن حفصون التي تعتبر من اخطر الثورات التي عرفتها الاندلس ، سواء في طول أمدها الذي استغرق حوالي نصف قرن من الزمن ، او في اتساع رقعتها ، او في ما نتج عنها من تهيىء الجو لانتشار ثورات اخرى ، واستنزاف قوة المسلمين . ولا شك ان المسلمين — وفي مقدمتهم الشعراء الذين واكبوا تلك الاحداث — حين رأوا حرب ابن حفصون جهادا ، كانوا على حق ، لان حركة ابن حفصون لم تكن حركة تمردية عادية ، ولا مجرد موقف شعوبي حاقد ، بل غدى زعيمها حركته بنزعة صليبية ، ذلك انه كان يتظاهر بالاسلام ويسر النصرانية ، ولكنه اقدم على اخطر تحد للمسلمين في الاندلس ، حين جهر بالنصرانية سنة 286 هـ .

وقد عاصر الاسدي كل تلك الاحداث ، وكان ضمير العصر الذي يتنبأ بكثير من نتائج الصراع ، ويدعو الى الحلول التي تجنب المسلمين التقهقر والسقوط .

تلك هي الظروف التي جعلت الاسدي ينشد الوحدة ويدعو اليها ، بعد ان ملكت عليه نفسه ، فاصبح يلهج بها ، وقد تمثل صوت الوحدة عنده في مبدايين متكاملين :

المبدا الاول : الوحدة العربية :

في اطار وحدة النسب ، لمواجهة المولدين وما في نفوسهم من حقد شعوبي ، وفي ذلك يقول الشاعر الاسدي مبرزا قيمة توحيد الصف ونبذ الخلاف (3) :

اذا ما استلامت اسد وقيس
رايت الشرك قد خضعوا وذلوا
ومن قحطان والحيين بكر
وتغلب اسد غاب ما تفل

واقتناعا منه باهمية الوحدة العربية ، راح يتغنى بها ويدعو الى تحقيقها باعتبارها اهم عناصر القوة ، ويظهر ذلك واضحا في أبيات له يوجه فيها الخطاب الى القبائل العربية في الاندلس ، يحرضها وينبهها من غفلتها ، بينما خصوم العرب واعداؤهم ساهرون متنبهون حذرون ، ويسعى الى ابراز فضائل الوحدة وايجابياتها من خلال ما يسوقه من حكم وضرب للامثال ، ويغنيها بالتشبيهات والصور ، ويؤكد دعوته بوسائل التاكيد البلاغية المناسبة ، كما يوظف الوصية المشهورة في تاريخ العرب عن اهمية الوحدة والتماسك ، ولكن في عبارات بسيطة واضحة تعكس صدق الانفعال ، وحرارة العاطفة ، فيقول موظفا وصية المهلب بن ابي صفرة :

يا ايها العرب النائي محلتهم
انتم نيام ومن يشناكم سهر
ما عيش عدنان دون الحي من يمن ؟
او عيش ذي يمن قد خانها مضر ؟
ان السهام اذا ما فرقت كسرت
وان تجمعن تبقى ليس تنكسر (4)

المبدا الثاني : الوحدة الاسلامية :

ذلك بان الوحدة بين العدنانية واليمنية لا يمكن ان تشكل مصدر قوة حقيقية في نظر الشاعر الاسدي الا باصطباغها بالصبغة الاسلامية ، لان الاطار الاسلامي هو الذي يحقق الوحدة الكبرى في اقوى درجاتها امام الخطر الصليبي الذي يهدد العرب والمسلمين ، ولان الوحدة في ذلك الاطار السامي هي الكفيلة بمحو الخلافات ، وتجاوز الاحقاد والانقسامات، والسمو فوق كل انواع التفرقة التي تغذي الصراع العربي — العربي بدافع من العصبية الحاقدة . ولا يمكن للمسلمين ان يكونوا في مستوى المرحلة الجديدة من تاريخهم حينذاك — وفي كل عصر — الا بنبذ تلك الحزازات التي تنهش القلوب ، وتريق الدماء هدرا . ومن ثم فهو يلح على تذكيرهم بانتساب الرسول صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين

---

(3) المقتبس لابن حيان ص : 64 .
(4) المصدر نفسه .

اليهم ، ويكون المهاجرين والانصار الذين مثلوا اروع نموذج للوحدة والتآخي ، وغيرهــم من الصحابـة والتابعين منهم ، فيقول في أبيات يلتزم فيها الوضوح في الفكرة والعبارة ، معتمدا على وسائل الاقنـاع المنـاسبـة :

أليس منكم نبي الله اكرم مـن
يرى الاله ومن جاءت به السور
وصاحباه ابو بكـر خليفتـه
وخدنه المرتضى من بعده عمر
ومعشر هاجروا في الله ربهـم
والتابعون وقد آووا وقد نصروا (5)

ولا شك انه في هذا النموذج ، يسعى الى احياء تلك الصورة المشرقة للوحدة الاسلامية كما عرفهـا المسلمون في صدر الاسلام وعصـوره الزاهيـة ، لتتمثلها اجيال المسلمين في الاندلس ، وهي صورة رائعة كانت سبيلا الى القوة والنصر ، كما انها تقدم دروسا خالدة في الوحدة والايثـار والتغلب على النزعات الفردية ، ومشاعر الانانية الضيقة . كما انه يحسن التوجيه اذ يستوحي القرآن الكريم ، فقـد نظر الى قوله تعالى : « والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم أولياء بعض » (6) . وكذلك الى قوله تعالى : «والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا» (7) .

وكيف لا تملأ عليه الوحدة نفسه وهـو يـرى اخوانه يتساقطون صرعى على ايـدي اعدائهـم ، بسبب تفرقهم الذي ادى الى ضعفهم ؟ فحين نظـم العبلي شاعر المولدين قصيدته اللامية التي مطلعها :

قد انقصفت قناتهم وذلـوا
وزعزع ركن عزهـم الاذل (8)

وفيها يقول عن العرب بنـوع من التشفـي والحقـد :

فما طلت دماؤهم لديهـم
وهاهم عندنا في البير طلـوا

رد عليه الاسدي بنقيضة ينص ابن حيـان على انها من مشهور شعره ، يعبر فيها عن اسفه وحزنـه لما أصاب قومه ، ويشاركهم ما يعانون مـن آلام ، ويجزع لجزعهم ، ولا يملك تحت تأثير الصدمة الا ان يسيل الدموع الغزيرة التي لا تكاد تنقطع ، وهو في الحقيقة لا يبكي إلا أشفاقا عليهم لتوزع قواهم . فاذا افاق من تأثير الصدمة ، واستعاد رشده وتوازنـه ، تحمل مسؤوليته باعتباره شاعرهم الذي يجـب الا يستسلم لليأس والحزن ، فأعلن انه ملتزم بالنفـح عنهم بالكلمة التي تصيب ما قد لا يصيبه السنان :

قد احتل الاحبة واستقلـوا
لطيتهم بليل واحزالـوا (9)
فظل الدمع من جزع عليهـم
اذ احتملوا يسح ويستهـل
ساصرف همتي عنهم واسلـو
بهجوي معشرا كفروا وضلوا (10)

وهو اذ يصف المولدين بالكفر والضلال ، يؤكد ان العرب كانوا يدركون حقيقة نواياهم ، وما كانـوا يطوون عليه كشحهم من احقاد النصرانية ، مما جعل العرب يعتبرون موقفهم دفاعا عن الدين .

ومع ان الشاعر يبدو حزينا ، ويعترف بتلقائية بان دمعه لا ينقطع جزعا على قومه ، فهو لا يتشاءم ، بل يعبر عن تفاؤله بالنصر لان موقفهم عادل يؤيدهم فيه الاله ، فيقول بضمير الجمع الذي يعتبر من الادوات التي يعتمد عليها في تأكيد الوحدة الاسلامية :

لواء النصر معقود علينـا
بتأييد الاله فما يحـل (11)

---

(5) نـفسـه .
(6) سورة الانفـال الآيـة : 72 .
(7) سورة الانفـال الآيـة : 74 .
(8) المقتبس ص : 64 والحلة السيراء لابن الابار : 1 / 153 ، تحقيق د. حسين مؤنس ، الطبعة الاولى 1963 ، لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهـرة .
(9) احزال (الشيء) : اجتمع ، وارتفـع ، لسان العـرب لابن منظـور ، مـادة : جـزل .
(10) المقتـبس ص : 64 .
(11) المصـدر نـفسه .

واذا قال العبلي المنافح عن المولدين يهدد العرب في أبيات أثارت ذعر العرب حتى انه لو احاطت بهم عساكر اهل الارض ما وجدوا مزيدا من ذلك على حد تعبير ابن حيان الذي اثبت الابيات المذكورة في تاريخه:

منازلهم منهم قفار بلاقع
تجاري السفافيها الرياح الزعازع

وفي القلعة الحمراء تدبير زيغهم
ومنها عليهم تستدير الوقائع

كما جدلت آباءهم في خلالها
اسنتنا والمرهفات القواطع (12)

تصدى له الاسدي المنافح عن العرب ، فرد عليه بنقيضة يهدد فيها المولدين بقرب نهايتهم وسوء مصيرهم ، بطريقة واثقة توحي بالاعتزاز بالنفس :

منازلنا معمورة لا بلاقع
وقلعتنا حصن من الضيم مانع

وفيها لنا عز وتدبير نصرة
ومنها عليكم تستتب الوقائع

الا فاذنوا منها قريبا بوقعة
تشيب لها ولدانكم والمراضع (13)

وهو يستحضر دائما المعاني القرآنية ، كما يستفيد من بنية الجملة في القرءان ، اذ استوحى البيت الاخير مبنى ومعنى الى حد كبير من قوله تعالى : « فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله » (14) . ومن قوله تعالى : « فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا » (15) .

ويبدو واضحا من سياق الاحداث ، ومن الاشارات التاريخية الصريحة عند ابن حيان وغيره ، ومن طبيعة هذه النماذج الشعرية ، ولا سيما ما تمثل منها في فن النقائض ، ان المولدين كانوا البادئين بالهجوم سواء في المعارك الحربية ام في المساجلات اللسانية . ومن ثم فان موقف العرب موقف عادل مشروع . لانه موقف دفاع بالدرجة الاولى ، وليس موقف هجوم واعتداء .

وهكذا نلاحظ ان العاطفة العربية القوية عند الشاعر الاسدي قد اصطبغت بالعاطفة الاسلامية الجياشة التي سمت بها فوق كل انواع التعصب والانانية ، فبدا من خلال شعره عربيا مسلما مخلصا في نصيحته ، متحرقا لتحقيق الوحدة ، مما يدل على وعيه العميق وادراكه البعيد لخطورة الموقف الذي لا يسمح بالانقسام والتخاذل ، واقتناعه بان الاطار الاسلامي كفيل بصهر كل الاجناس ، ومحو كل العصبيات ، لذلك نجده ينادي باعلى صوته ، انطلاقا من تقديره لمسؤوليته وادراكه لدوره في المعركة ، فيقول :

قل للقبائل من هود ومن ادد
تقبلوا النصح اذ قلناه او فذروا

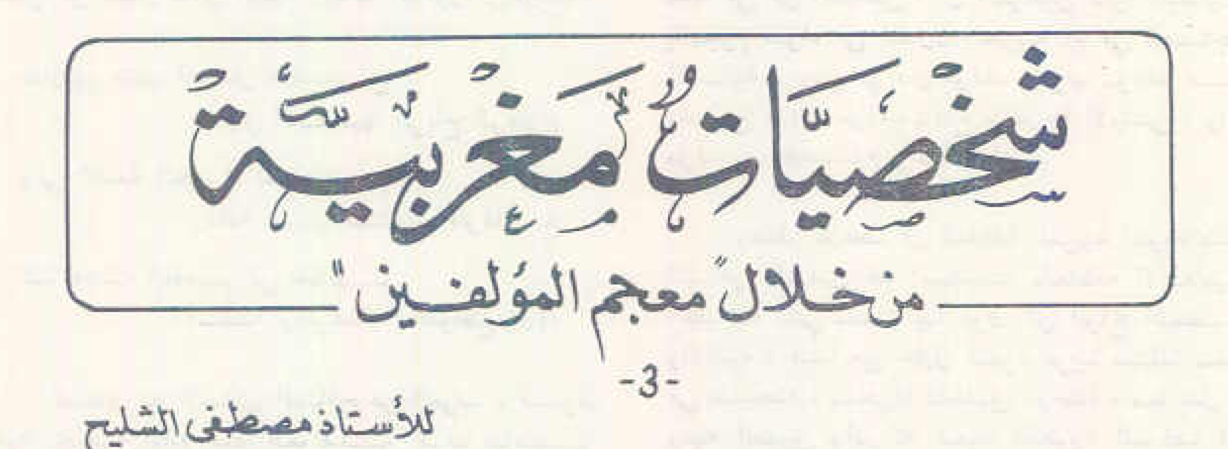
ما ان تركت لكم نصحا لمنتصح
والنصح عند ذوي الالباب مذخر (16)

ذلكم صوت ونموذج حي من نماذج كثيرة ما احوجنا الى استلهامها لتحقيق الهدف المنشود ، وتجاوز كل انواع الخلاف لتعيش الاجيال المسلمة المتطلعة الى الغد المشرق ، في شرق بلاد الاسلام وغربها ، في وئام وتلاحم ووحدة ، فلا يجد العدو اليها سبيلا .

وجدة : علي لغزيوي

---

(12) المصدر نفسه ص 63 .
(13) نفسه ، وانظر المغرب في حلى المغرب لابن سعيد : 2 / 125 ، تحقيق د. شوقي ضيف ، الطبعة الثانية 1964 ، دار المعارف — مصر .
(14) سورة البقرة الآية : 279 .
(15) سورة المزمل الآية : 17 .
(16) المقتبس ص : 64 .
وانظر ما كتبناه عن الشاعر الاسدي في الفصل الذي خصصناه لقضايا الصراع الاجتماعي والسياسي في الشعر الاندلسي ضمن رسالتنا : ادب السياسة والحرب في الاندلس من الفتح الاسلامي الى نهاية القرن الرابع الهجري ، نسخة مرقونة بمكتبة كلية الآداب — فاس .



-3-

للأستاذ مصطفى الشليح

49 ابو بكر السوسي (كان حيا - 1120 هـ)
(- 1708 م) .

أبو بكر بن محمد بن محمد المسكالـي السوسي ، لتركنتي ، المغربي ، المالكـي . صوفي . من آثاره : مسرة الاخوان في كرامات اوليـاء الرحمـن .

ط : البغدادي : هدية العارفين 1 : 242 . (3 : 70)

50 ابـو بكـر البنانـي (.... - 1284 هـ)
(.... - 1867 م)

أبو بكر بن محمد بن عبد الله البنانـي ، الرباطي ، الشاذلي ، صوفي . ولد ، وتوفـي برباط الفتح في 17 جمادى الثانيـة . مـن تصانيفه : مدارج السلوك الى مالك الملـوك ، الغيث المسجم في شرح الحكم العطائيـة ، بغية السـالك ، الفتوحات القدسية فـي شرح النقشبدية او الفتوحات الغيبية .

ط : - الكوهن طبقات الشاذلية 169 - 170
- سركيس : معجم المطبوعـات 591
- الزركلـي : الاعـلام 2 : 45
(3 : 73)

51 جعفـر الكتانـي : (1250 - 1323 هـ)
(1834 - 1905 م)

جعفر بن ادريس الكتانـي ، الحسنـي الادريسي ، الفاسي ، المالكي ، (ابو المواهب). عالم ، فقيه ، محدث ، نسابـة ، صوفـي . توفي بفاس فى منتصف شعبان عن نيف وسبعين سنة . من تصانيفه الكثيرة : الرياض الريحانية في الشعبة الكتانية ذات المحاسن الشافيـة الكافية ، حاشية على جامع الترمذي ، حقيقـة الحقائق في حول التشفيع المشفـع وخيـر الخلائق الشرب المختصر والسر المنتظر من معين بعض اهـل القـرن الثالـث عشر ، ورسالـة في احكـام الذمـة .

ط : - الفاسي رياض الجنة 1 : 173 - 177

- الكتاني : فهرس الفهارس 1 : 131 - 132 ، 219

- ابن سودة : دليل مـؤرخ المغـرب 123 - 124

- مجاهد : الاعلام الشرقية 2 : 92-94
- سركيس : معجم المطبوعات 1545
- الزركلي : الاعلام 2 : 115 - 116
(3 : 134)

52 **جعفـــر بـــن ســـودة (.... 1286 هـ)**
(.... 1859 م)

جعفر بن الطالـــب بن سودة المـري ، الخطيب (ابو الفضل) شاعر ، له ديوان

ط : ــ ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 437 .
(3 : 140)

53 **ابو حامــد الرباطي : (1252 ــ 1339 هـ)**
(1836 ــ 1921 م)

ابو حامـــد بن عبـــد الله بن محمد بن التهامي ، العلمي ، اليملحي ، الوزاني ، الرباطي، عالم مشارك في انواع من العلوم . ولد بالرباط وتوفي به في 5 شعبان . من تصانيفه : لوائح الانوار في الصلاة على النبي المختار في سبعة اجزاء ، بلوغ المنى والآمال فيمن لقيت مـــن المشايخ واهل الفضل والكمال ، بلوغ القصد والمرام في مناقب سيدي الحاج عبد السلام ، فيض النيل في الفروسية وركوب الخيـــل ، والنسمات المعطرة في ادوية الخيـــل وعلـــم البيطـــــرة .

ط : ــ الفاسي : رياض الجنة 2 : 177ــ119
(3 : 179 ــ 180)

54 **الحســـن المكناســـي (.... ــ 690 هـ)**
(.... ــ 1553 م)

الحسن بن احمد بن ابراهيم بن حرزوز المكناسي (ابو علي) ، له ثبت صغيـــر .

ط : ــ ابن سودة . دليل مؤرخ المغرب 348
ــ الكتاني : فهرس الفهارس 1 : 266
(3 : 196)

55 **الحســـن التـــدلاوي (.... ــ 1140 هـ)**
(.... ــ 1728 م)

الحسن بن رحـــال بن احمد بن علـــي التدلاوي ثم المعداني ، المغربي ، المالكـــي ، ويدعى بصاعقة العلوم (ابو علـــي) . فقيـــه مشارك في انواع من العلوم . تولى القضـــاء بالدار البيضاء . وتوفي بمكناس في 3 رجب . من تصانيفه : شرح على مختصر خليـــل فـــي فروع الفقه المالكي ، حاشية على شرح الشيخ ميارة في اربع مجلدات ضخام ، الارفـــاق في مسائل الاستحقاق ، وحاشية على شرح تحفة ابـــن عـــاصـــم .

ط : ــ الازهري : اليواقيـــت الثمينة 1 : 135 ــ 137

ــ ابن زيدان : اخبار مكناس 3 : 7 ــ 9
ــ البغدادي : هدية العارفين 1 : 298
ــ بروكلمـــان : 2 : 696 .
(3 : 224)

56 **الحسن المراكشي : (القرن السابع الهجري)**
(القـــرن الثالث عشر الميـــلادي)

الحسن بن علي بن عمر المراكشي ، فلكي. له جامع المبادىء والغايات في علم الميقات .
ط : ــ حاجي خليفة : كشف الظنون : 572 .
(3 : 227)

57 **الحسن العلمي (... ــ 1055 هـ) (... 1645م)**

الحسن بن محمد (فتحا) بن علـــي بن عيسى ابو عبد الرحمن الحسني ، العلمـــي ، (او علي) . مؤرخ . من مؤلفاته : فتح التأييد في مناقب الجد واخيـــه والوالـــد .

ط : ــ ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 275 .
(3 : 278)

58 **ابو الحســـن العكـــاري (... 1159 هـ)**
(... 1764 م)

ابو الحسن بن محمد فتحـــا العكاري ، الرباطي . مؤرخ . من تصانيفه : البدور الضاوية في ذكر الشيخ واصحابه وتلامذته وبناء الزاوية.
ط : ــ ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 216.
(3 : 288)

59 **الحســن اليوســي (1040 – 1102 هـ)**
(1631 – 1691 م)

الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف بن داود اليوسي المراكشي (نور الدين ، أبو علي) عالم ، أديب ، مشارك في انواع من العلوم . جال في بلاد المغرب حاضرة وبادية لطلب العلم ، وتوفي في 15 ذي الحجة ودفن في تزرنت بمزدغة . من تصانيفه الكثيــرة : نيل الاماني في شرح التهاني ، نفائس الدرر في حواشي شرح المختصر في المنطق ، قانـون الاحكام ، زهر الاكم في الامثـال والحكـم ، والقول الفصل في الفرق بين الخاصة والفصل .

خ : – فهرس المؤلفين بالظاهرية

ط : – الجبرتي : عجائب الآثـار 1 : 68

– الكتانــي : فهرس الفهـارس 2 : 464 – 470

– الازهـري : اليواقيــت الثمينة 1 : 133 – 135

– البغدادي : هدية العارفين 1 : 296
– ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 383
– زيدان : تاريخ آداب اللغة العربيـة 3 : 285

– سركيس : معجم المطبوعات 1959 – 1960

– البغدادي : ايضاح المكنون 1 : 275، 448 . 2 : 220 ، 250 .

– المكتبة البلدية : فهرس المنطق 31 ، فهرس الادب 87 ، 140
– فهرست الخديويـة 4 : 272
– فهـرس التيموريـة 3 : 319
– فهـرس الازهريـة 6 : 264
– فهرس دار الكتب المصرية 3 : 284 ، 427 . 6 : 187 .

(م) – المغرب الجديد س 1 ، ع 4 ، ص 17– 25 . ع 5 ، ص 24 ، 35 . ع 7 ، ص 17 – 29 .

(3 : 294 – 295)

60 **الحسين السملالــي (.... – 1309 هـ)**
(.... 1891 م)

الحسين بن عبد الرحمن السملالـــي ، الحسني ، (او علي) مؤرخ . من تصانيفــه : الفتوحات الوهبية في سيرة مولانــا الحسن السنية ومفاخر اختراعاته البهيـــة .

ط : – ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 202

(4 : 14)

61 **الحسيــن الحسنــي (.... – 1213 هـ)**
(.... – 1798 م)

الحسين بن محمد بن عبد الله العلوي ، الحسني (ابو علي) . مؤرخ ، من آثاره كتاب ترجم فيه لوالده السلطان محمد .

ط : – ابن سودة : دليــل مؤرخ المغـــرب 168 – 169 .

(4 : 53)

62 **حسيــن الدرعــي : (.... – 1143 هـ)**
(.... – 1730 م)

حسين بن محمد بن علي بن شرحبيــل الدرعي ، مؤرخ . من آثاره : انارة البصائر في ترجمة الشيخ ابن ناصر ، وشرح على قصيدة محمــد بــن ناصـــر .

ط : – ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 213
– فهرست الخديوية : 2 : 201 .

(4 : 55)

63 **حميد البناني (... – 1327 هـ) (... – 1909م)**

حميد بن محمد بن عبد السلام البناني ، الفاسي . عالم ، مؤرخ . من آثاره : ثبت ترجم فيــه لمشايخـــه .

ط : ـ الكتانـي : فهـرس الفهـارس 1 : 256 ـ 257 .
(4 : 74)

64 خليـل الخالـدي (.... ـ 1327 هـ) (.... ـ 1909 م)

خليل بن خالد الخالدي (أبو الضيـاء) اديب . من آثاره : مقامة في هديـة الفيـل لسلطـان المغـرب مولانا الحسن .

ط : ـ ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب 194 .
(4 : 118)

65 سعيـد العميـري (1103 ـ 1178 هـ) (1692 ـ 1764 م)

سعيد بن ابي القاسم العميري ، الجابري ، من قضاة المغرب . ولـد بفـاس القرويين ، وانتقل الى مكناسة الزيتون ، فتقدم فيها الى ان ولي قضاءها ، وتوفي بها . من مؤلفاتـه : الفهرست في اسماء شيوخه وبعض سيرته ، التنبيه والاعلام بفضل العلـم والاعلام ، الورد الندي في السيرة النبوية واخبار لفتوحـات الاسلامية وفتح المغرب والاندلس ، وله شعر ونثـر

ط : ـ الزركلـي : لاعـلام 153 .
(4 : 229)

66 سعيـد الصنهاجـي (950 ـ 1016 هـ) (1543 ـ 1607 م)

سعيد بن مسعود الصنهاجي ، المراكشي ، الماغوشي ، (ابو جمعة) ، اديب ، نحـوي صرفي ، فقيه ، توفي بمراكش بعـد سنـة 1916 م (؟) . من تصانيفه : اتحـاف ذوي الادب بمقاصد لامية العرب ، ايضاح المبهم من لامية العجم ، شرح التصريف ، شرح شذور الذهب ، نظم الفرائد العزر في سلك فصـول الـدرر اى درر السمـط .

ط : ـ البغدادي : هدية العارفين 1 : 272
ـ الازهري : اليواقيت الثمينـة 1 : 161 ـ 162 .
(4 : 232)

67 سليمـان الموحـدي (.... ـ 604 هـ) (.... ـ 1207)

سليمان بن عبد الله بن عبـد المؤمـن الكومي . احد أمراء وادباء وشعراء الدولـة الموحدية . من اثاره : ديوان شعر ، ومختصر الاغـانـي .

ط : ـ عبد الله كنون : مشاهيـر رجـال المغـرب ، رقـم 10

ـ ابن سودة : دليـل مؤرخ المغـرب 431 ـ 432

ـ الزركلي : الاعلام ، 3 : 190 .
(4 : 267)

68 سليمـان بن محمـد (.... ـ 1238 هـ) (.... ـ 1822 م)

سليمان بن محمد بن عبد الله العلـوي (ابو الربيع) سلطان المغرب الاقصى . توفي بمراكش في 13 ربيع الاول . لـه حـواش وتعاليق على الموطا ، وحاشيـة على الخرشي فـي مجلديـن .

ط : ـ الكتانـي : فهـرس الفهـارس 2 : 328 ـ 331

ـ بروكلمـان : 3 : 874 .
(4 : 275)

69 سليمـان الحـوات (1160 ـ 1231 هـ) (1747 ـ 1816 م)

سليمان بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي أبن موسى الحسني ، العلمي ، الموسوي ، الشفشاوني ، الفاسي ، المشهور بالحـوات

(ابو الربيع) ، فقيه ، اديب ، نسابة ، مؤرخ .
ولد بشفشاون بشعبان في حدود سنة 1160هـ، واستوطن فاسا ، وولي بها نقابة الاشراف الى ان توفي في 29 صفر . من تآليفه : البدور الضاوية في التعريف بالسادات اهل الزاوية الدلائية ، قرة العيون في الشرفاء القاطنين بالعيون ، يعني السادات الدباغيين ، السر الظاهر فيمن احرز بفاس الشرف الباهر من اعقاب الشيخ عبد القادر ، الروضة المقصودة في مآثر بني سودة ، وتغيير المنكر ، فيمن زعم حرمة السكر .

ط : ـ الازهري : اليواقيت الثمينة 1 : 158 ـ 159

ـ الكتاني : سلوة الانفاس 3 : 116-119

ـ فهرس دار الكتب المصرية 8 : 155

ـ بروكلمان 2 : 155 .

(275 : 4)

70 سليمان الناصري (كان حيا 1201 هـ)
(.... ـ 1780 م)

سليمان بن يوسف الناصري . نسابة . له اتحاف الخل المعاصر في الانساب .

ط : ـ ابن سودة دليل مؤرخ المغرب الاقصى 85 .

(279 : 4)

71 الشرقي الدلائي (1019 ـ 1079 هـ)
(1610 ـ 1668 م)

الشرقي بن ابي بكر الدلائي . عالم ، اديب ، شاعر ، مشارك في انواع من العلوم ، ولد بالدلاء ، وتوفي بالزاوية . من آثاره : شرح على الشفا ، حاشية على المطول ، وتقاييد ورسائل وقصائد كثيرة .

ط : ـ الازهري : اليواقيت الثمينة 1 : 167 ـ 168 .

(298 : 4)

من مخطوطات خزانة القرويين :

المنتقى من أدعية المستغيثين بالله

للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

من اشهر الكتب الموجودة في ذكر طبقات العلماء والادباء بالاندلس كتاب الصلة لخلف ابن بشكوال الذي وضعه مؤلفه ذيلا لكتاب تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي .

واصبح هذا الكتاب صورة من صور الاعتناء العلمي بالاندلس ، واضاف اليه عدد من العلماء والادباء اضافات متعددة ، وعقبوا عليه بعض التعقيبات نذكر من بينهم : ابن الابار وابن فرحون وابن الزبير وابن عبد الملك حسبما هو معروف ومتداول في تاريخ النشاط الفكري بالاندلس .

ومن هذا المنطلق اصبحت شهرة ابن بشكوال ذائعة ، وصار علما مشهورا لا تخلو كتب الادب والتاريخ من ذكره ، ومن تصوير مقدار علمه ، ودرجة كفايته ، وما بلغه من التقوى والعدالة في تصرفاته وسلوكه .

وكم يكن هذا المؤلف على خبرة بالجانب التاريخي فقط ، بل كان محدثا شهيرا ، وفقيها بارعا ، وصوفيا ورعا ، وحافظا محققا ، ومطلعا على كثير من معارف عصره . فقد ذكره ابن الابار فقال عنه : انه أسند الى شيوخه نيفا واربعمائة كتاب بين كبير وصغير (1) .

وكان زيادة على اعتنائه بالرواية ، حسن السلوك ، مهتما بالتاليف ، حتى انه ليقال عنه : انه الف اكثر من خمسين كتابا ، اشهرها كتاب الصلة المذكور ، وكتاب الغوامض والمبهمات ، ذكر فيه من جاء اسمه في الحديث مبهما فعينه (2) . وقد اشار الاستاذ محمد بن شنب في دائرة المعارف الاسلامية اليه وقال عنه : انه لا يعرف من بين مؤلفاته الخمسين الا التاليفين السابقين .

هذا ، واني لما تتبعت ترجمة ابن بشكوال في كثير من الكتب التي اشارت اليه ، وجدت عند ابن خلكان ذاكرا لكتاب سماه : كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات ، والمتضرعين اليه سبحانه بالرغبات والدعوات ، وما يسر الله الكريم الاجابات و لكرامات .

وهو نهج من التاليف كان يلجا اليه المسلمون كثيرا لينتقلوا من بعض المظاهر المادية المتعلقة بذكر الاسباب العادية ، الى مظاهر روحية تطمئن بها

(1) الجزء الاول من كتاب التكملة لابن الابار ، طبع مجريط عام 1886 م صفحة 4 5.
(2) الاعلام لخير الدين الزركلي رحمه الله ، الجزء الثاني صفحة 359 .

النفس ، ويركن العبد فيها الى ربه ، ويتضرع اليه في سرائه وضرائه ، ولا يبالي ان تكون الوسائل وفق ما عهده الناس في سلوكهم المعتاد ، أو كانت وفــق جذبات ربانية ، لا تعلــل الا بالطاعــة والاستسلام ، والالتجاء الى الله في كل حيــن . فان على العبــد الدعاء ، واما امر الاستجابة فموكول الى الله،فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من احد يدعو الا اتاه الله ما سال او كف عنه من السوء مثله ما لم يدع بائم او قطيعة رحم » . وجــاء في حديث آخر : « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيهــا اثم ولا قطيعة رحم الا اعطاه الله احــدى ثــلاث : اما أن يستجاب له ، واما ان يدخر له ، واما ان يكفر عنــه مــن السوء مثلهــا » .

ومسالة الدعاء مسالة ذوقيــة ، تتدفــق من نفس المتضرع دون أن تجد حاجزا بينهــا وبين من وجهت اليه ، وغالبا ما تفيض فيضا ينصب على مــا حوله فتنمو البركة ، وتزكو الخيرات ، وتسمو النفس عن مباذلها ، وتتوجه الى الله من غير ان تبحث عــن علة أو سبب لتحقيق رغباتها ، لا ان يكــون الامــر مرجعه الى هبة سماوية يمنحهــا الله لمــن يشاء مــن عبــاده .

وهذا هو السبب الذي دفع ابن بشكــوال الى تاليف هذا الكتاب الذي ضمنه كثيرا من الاحــوال الصوفية ، وجعله ديوانا لكثير الاحداث المفصحة عن قيمة الدعاء عند الاضطرار ، وعن الاستجابة التــي يمنحها الله لمن شاء من عباده المضطرين .

ولا يوجد لحد الآن على ما اعلم اصل لهذا الكتاب الذي أشار اليه ابن خلكان ، وانما يوجد مــن ملخص وجزء غير كامل احتفظت به خزانة القرويين ضمــن مجموع يحتوي على كتابين مسجل تحت عدد 1334 .

الكتاب الاول لمؤلف مجهول يتعلق بأسماء الله الحسنى وشرحها ، وهو كتاب دقيق العبارة ، عميق الاشارة ، يبدو انه من مؤلفات اواخر القرن الثالث الهجري او اوائل القرن الرابع حسب ما يستنتج من بعض اسانيده ، ومنه نقلنا الحديثين السابقيــن في فضائــل الدعــاء .

وأما الكتاب الثاني فهو هذا المنتقى المذكــور وقد حاول من اختصره ان يجعله قريبا من الاصل ، وان ينقل من أهم أبوابه ، وان يقتبس منــه نماذج مختلفة تبرز خصائصه وتفصح عن منهجية مؤلفــه ، بل كان ينتقي احيانا فقرات من الاصل تمثل اسلوب المؤلف وتبين درجة كفايته في صناعة البديع .

وبالفعل فقد نقل الديباجة الاصلية ونسبها الى قائلها فقال : (3) « يقول ابن بشكــوال في مقدمــة كتابه : « اللهم اجعلنا ممن استعان بك فاعنته ، ودعاك فأجبته ، وتضرع اليك فرحمته ، وتوكل عليك فكفيته، واستعصم بك فعصمته ، واستهــداك فهديتــه ، وانقطع اليك فآويته ، وأستنصرك فنصرته ، وتاب اليك فقبلت توبته ، واناب اليك فرحمت عبرتــه ، واجعلنا اللهم لنعمائك من الشاكرين ، وأدخلنا فــي رحمتك فانت ارحم الراحمين ، واغفر لنا فانت خير الغافرين ، وصلى الله على سيدنــا محمد خاتــم النبيئين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى جميع الانبياء والمرسلين ، وسلام عليه وعليهم أجمعين » .

ومن مدخل هذا الدعاء الذي جعلــه مدخــلا لكتابه ، يتبين الجانب التفاؤلي الذي يطبع عددا من اهل الرجاء الذين يرون ان رحمــة الله قريبة مــن المحسنيــــن .

ومن المعلوم أن الجانب التفاؤلي هبة مــن الله يودعها في قلوب أهل الجمال ، وشيمة من الشيــم الايجابية التي تجعل الانسان لا يقنط من الرحمــة ، ولا يتصور دوام بلاء ، ولا استمرار غم او هم أو شقاء، فيلتجىء كلما حز به امر الى الدعاء ، ويتطلع دائمــا الى انواع الفرج الذي يسره الله لمن التجا اليــه ، ليستمد من ذلك قوة تدفعه الى الاقتداء بالصالحين .

ولقد عمد المؤلف الى اختيار عدد من القصص والحكايات ، وكان موفقا في ذلك ، وحاول ان يستمد منها كثيرا من المواعظ والعبر ، وان يستنــد في كثير منها الى الاخبار المأثــورة ، والى الاحاديــث النبوية ، وان يركن أحيانــا الى بعــض اللقطــات التاريخية ، او الى بعض الرموز الصوفية ، التي قد

(3) المنتقــى المذكــور (ظهر الورقة الاولى) .

تصل أحيانا الى خوارق العادات ، فلا يقبلها لا قلب المؤمن الذي يضع ثقته الكبرى في الله .

لقد ذكر بسنده عن ابن ابي الدنيا عن طريق انس رضي الله عنه انه قال (4) : « كان رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار يكنى ابا معلق ، وكان تاجرا يتجر بماله ولغيره ، ويضرب في الآفاق ، وكان ناسكا ورعا ، فخرج مرة فلقية لص مقنع في السلاح فقال له : ضع ما معك ، فاني قاتلك، قال : ما تريد الى دمي ؟ شأنك بالمال . قال أما المال فلي ، ولست اريد الا دمك ، قال : اما اذا ابيت ، فذرني أصلي أربع ركعات . قال : صل ما بدا لك . فتوضأ ثم صلى اربع ركعات فكان من دعائه في آخر سجدة أن قال : يا ودود ، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما يريد ، أسالك بعزتك التي لا ترام، وبملكك الذي لا يضام ، وبنورك الذي ملأ اركان عرشك ، ان تكفيني شر هذا اللص ، يا مغيث اغثني ثلاث مرات . قال دعا بها ثلاث مرات فاذا هو بفارس قد اقبل بيده حربة وضعها بين اذني فرسه فلما بصر به اللص اقبل نحوه حتى طعنه فقتله ثم اقبل اليه ، قال : قم ، قال : من انت ؟ بأبي وامي قد اغاثني الله بك ! قال : انا ملك من اهل السماء الرابعة ، دعوت بدعائك الاول، فسمعت لابواب السماء قعقعة ، ثم دعوت بدعائك الثاني ، فسمعت لاهل السماء ضجة ، ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل : دعاء مكروب ، فسألت الله ان يوليني قتله ، ثم قال : أبشر واعلم انه من توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروبا او غير مكروب » .

وهكذا نلاحظ ان هذه القصة التي رواها في كتابه تهدف الى ابراز حقيقة الاعانة التي يمنحها الله لمن التجأ اليه بصدق ، وتقوي صورة الايمان في نفس المؤمن الذي لا يجد ملجأ يحميه من الكروب الا الله ، ولا يركن الى احد يقيه من السوء سوى الرب الكريم الحكيم .

وتعتبر مثل هذه الادعية تقوية للايمان ، وتربية للانسان ، وتذكيرا بالميزة التوكلية التي تجعل الفرد لا ينسى الله في أحرج المواقف ، فترتفع به الثقة الى درجة تجعله يتوقع الاستجابة كأنها امر مفروض ، سواء كانت وفق ما اعتادته الاسباب ، او كانت من خوارق العادات .

ويستغل المؤلف نقل بعض الحكايات السائرة التي استمدها من كتب التاريخ والتي كانت تصور جوانب من التحدي القائم على الحق ، فمن ذلك ما يروى عن الحجاج ابن يوسف الثقفي انه ارسل بعض اعوانه لالقاء القبض على الحسن البصري ، فاذا بالحسن رضي الله عنه قد التجأ الى دعاء رجا فيه من ربه ان يحفظه من الحجاج ، وان يحميه من طغيانه ، فستره الله ونجاه ، وحفظه ووقاه . وقد ذكرت بعض الكتب ان الحجاج أعاد الكرة ست مرات لالقاء القبض على الحسن البصري فلم يفلح ، بل قال ابن تيمية : انهم دخلوا عليه فلم يروه بسبب دعائه الذي كان يردده (5) .

ولم يشر ابن تيمية الى مصدر الخبر ، الا اننا نجد الاشارة اليه في كتاب بن بشكوال ، قال المؤلف (6) : « قال يونس بن عبد الله : وكان من دعاء الحسن البصري حين طلبه الحجاج فستره الله عنه ونجاه : « يا صاحبي عند كل شدة ، ويامنجيني عند كل كربة ، ويا وليي عند كل نعمة ، وياحاضري عند كل غربة،ويا مؤنسي عند كل وحشة ، ويا رازقي عند كل حاجة ، ويا الهي واله آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب صلى الله عليهم وعلى محمد وسلم اجعل لي من امري فرجا ومخرجا » .

ولا ريب أن هذا الالتجاء الى الله علامة من علامات التوحيد ، تنزه الانسان من التضرع لغير الله، وتعلمه ادب الطاعة ، وتبين له كيفية الرغبة في طلب النجاة من كل سوء ، وفي طلب السلامة من كل اذى .

وكان المؤلف في غالب الاحيان ينتقي الدعوات من اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويرويها بسند يزيل الالتباس . فمن ذلك مثلا ، ما روي عن جعفر الصادق انه قال (7) : حدثني ابي عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذ حزبه امر دعا بهذا الدعاء ، وكان يقول : دعاء الفرج :

« اللهم احرسني بعينك التي لا تنام ، واكنفني بركنك الذي لا يرام ، وارحمني بقدرتك علي ، وانت

---

(4) المنتقى : الورقة الاولى : الوجه الثاني .
(5) فتاوي ابن تيمية ، الجزء الحادي عشر صفحة 280 .
(6) المنتقى : الوجه الاول من الورقة الثامنة .
(7) المنتقى : الوجه الثاني من الورقة السابعة والعشرين .

ثقتي ورجائي ، فكم من نعمة أنعمت علي ، قل لك عنها شكري ، وكم من بلية ابتليتني قل لك بها صبري ، فيا من قل عند نعمته شكري ، فلم يحرمني ، ويا من قل عند بلائه صبري ، فلم يخذلني ، ويا من رآني على الخطايا ، فلم يفضحني ، أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم ، انك حميد مجيد .

اللهم أعني على ديني بدنياي ، وعلى آخرتي بالتقوى ، واحفظني فيما غبت عنه ، ولا تكلني الى نفسي فيما حضرته ، يا من لا تضره الذنوب ، ولا تنقصه المغفرة ، هب لي ما لا يضرك ، واغفر لي ما لا ينقصك ، يا الهي ! أسألك فرجا قريبا ، وصبرا جميلا ، وأسألك العافية من كل بلية ، وأسألك الشكر على العافية ، وأسألك دوام العافية ، وأسألك الغنى عن الناس ، ولا حول ولا قوة الا بالله » .

وهذا الدعاء المعروف بدعاء الفرج ، تتدرج فيه الابتهالات ، وتبدو فيه حقيقة الانسان الشاكر الذي يعرف قيمة ربه الذي لا يؤاخذه على المخالفة ، ولا يحول بينه وبين المغفرة ، فالله لا يخذل عبده ، ولا يفضحه ولا يحول بينه وبين طاعته ، ولذلك يضطر الانسان رغم ما تعتريه أحيانا من عوارض الاهمال والنسيان الى الرجوع الى ربه ، والى شكره على ما ينعم عليه من أسباب النعم التي لا تحصى .

ولقد تداولت الالسنة هذا الدعاء الذي يردد في كثير من المحافل ، والذي جعلته بعض الطرق الصوفية من أورادها الرئيسية . ولا يخفى على رواد المساجد بالمغرب ان الجزء الاخير منه كان يقرأ علانية اثر كل صلاة بصوت يبعث على الخشية ، ويدفع الى التأمل . ولعلهم يتعمدون الجهر به وبمثله ليحفظ عن ظهر قلب ، وليستعمله المحتاجون اليه كلما شعروا بضيق أو حرج .

هذا وان ابن بشكوال كان في كتابه يسعى الى بعث الروح الاسلامية في نفس المؤمن ، ويحرص على وضع الثقة في الانسان ليطمئن الى كتاب الله وسنة رسوله ، ولا أدل على ذلك من استغلال الآيات القرآنية لتهذيب الاخلاق واصلاحها . ويمكن أن يتضح ذلك فيما يأتي ، فقد روي بسنده عن عبد الله ابن جعفر بن محمد رضي الله عنهما أنه قال (8) :

« عجبت لمن بلي بأربع ، كيف يغفل عن أربع : عجبت لمن ابتلي بالغم كيف لا يقول : لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ، والله تعالى يقول : « فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين » (9) ، وعجبت لمن ابتلى بالخوف كيف لا يقول : (حسبنا الله ونعم الوكيل) ، والله تعالى يقول : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » (10) . وعجبت لمن مكر به كيف لا يقول : (وأفوض أمري الى الله ، والله بصير بالعباد) . والله تعالى يقول : « فوقاه الله سيئات ما مكروا » (11) الآية . وعجبت لمن رغب في شيء كيف لا يقول : (ما شاء الله لا قوة الا بالله) . والله عز وجل يقول : « ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله . . . » (12) .

ولم يقتصر المؤلف على وضع الابتهالات والدعوات أثناء الازمات ، بل ذكر طرقا غريبة تعد من الصدف النادرة التي سجلها المؤرخون ، منها ما حدث به الشعبي عن عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب وعبد الله بن عمر وعبد الملك بن مروان فقد قال(13) :

« لقد رأيت عجبا : كنا بفناء الكعبة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب وعبد الملك بن مروان ، فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم : ليقم كل منكم فليأخذ بالركن اليماني ثم يسأل الله حاجته ، فانه يعطى من حينه ، قم يا عبد الله بن الزبير ، فانك أول مولود ولد في الهجرة ، فقام فأخذ بالركن اليماني فقال : اللهم انك عظيم ترجى لكل عظيم ، أسألك بحرمة وجهك ، وحرمة عرشك وحرمة نبيك صلى الله عليه وسلم ، ألا تميتني من الدنيا حتى توليني الحجاز ، ويسلم علي بالخلافة ، وجاء حتى جلس ، فقالوا : قم يا مصعب بن الزبير ! فقام حتى أخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم انك رب كل شيء ، ونصير كل شيء ، أسألك بقدرتك على كل شيء ، ألا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق ، وتزوجني سكينة بنت الحسين ، وجاء حتى جلس وقال : قم يا عبد الملك بن مروان ،

---

(8) المنتقى : الوجه الاول من الورقة الثامنة .
(9) سورة الانبياء : 87 — 88 .
(10) سورة آل عمران : 173 — 174 .
(11) سورة غافر الآيتان : 44 — 45 .
(12) الكهف الآية : 39 .
(13) المنتقى : الوجه الثاني من الورقة الحادية عشرة .

فقام واخذ بالركن اليماني وقال : اللهم رب السموات السبع ، ورب الارضين ذات البيت ، بعد الفقر ، أسالك بما سالك به عبادك المطيعون لامرك ، واسالك بحرمة وجهك واسالك بحقك على جميع خلقك ، وبحق الطائفين حول بيتك ، الا تميتني من الدنيا حتى توليني شرقها وغربها ولا ينازعني احد الا اتيت براسه ، ثم جاء حتى جلس فقالوا : قم يا عبد الله بن عمر ، فقام حتى اخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم انك رحمن رحيم ، اسالك برحمتك التي سبقت غضبك ، واسالك بقدرتك على جميع خلقك ، الا تميتني من الدنيا حتى توجب الي الجنة . قال الشعبي : فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رايت كل واحد منهم اعطي ما سال ، وبشر عبد الله بن عمر رضي الله عنه بالجنة » .

ومن الاشياء التربوية الهادفة في كتاب ابن بشكوال انه لم يقتصر في كتابه على الادعية والابتهالات ، بل اضاف الى ذلك بعض الحكايات التي تشجع على الايمان بالله ، وتبعث الثقة في تحقيق ما وعد الله به ، او تحقيق ما اخبر الرسول به ، فمن ذلك مثلا ما يتعلق بمنافع الصدقات ، فقد نقل في كتابه ما ياتي : « قال احمد بن مطرف اخبرنا بعض شيوخنا من اهل العلم انه كان عند محمد بن وضاح رحمه الله ، فدخل عليه رجل فقال : خطرت الآن عجلة فأصابت الصبي ابنك ومشت عليه ، فلم يكترث لذلك ، وجعل يقبل على ما كان فيه من امساك كتابه، وامر القارىء أن يتمادى في قراءته ، فلم يلبث ان دخل عليه رجل آخر فقال : ابشر يا ابا عبد الله ! سلم الصبي والحمد لله ! انما اصابت العجلة ثوبه وجاوزته ولم تؤذه ، فقال : الحمد لله ، قد ايقنت بذلك ، لانني قد رايت اليوم الصبي قد ناول مسكينا كسرة ، فقلت : انه لا يصيبه بلاء في هذا النهار ، للحديث الذي اتى : ان الله يدفع عن العبد من السوء بالصدقة يتصدق بها (14) .

وهكذا نرى ان كتاب ابن بشكوال لم يكن خاصا بادعية المستغيثين ، ولكنه في الوقت ذاته كان كتاب توجيه وتوعية ، وكتاب رواية لاخبار كثير من الصحابة والتابعين ورجال العلم في الاندلس وغيرها ، ولعل ما ستدللنا به من هذه المنتقيات سيكون مقربا للحكم الذي حكمنا به على هذا الكتاب القيم الذي احتفظت به خزانة القرويين الى الآن : فهو تحفة رائعة تبلور جانبا من الترابط المتين الموجود بين الاتجاه الصوفي عند بعض علماء الاندلس في القرن السادس الهجري ، وبين الصفاء الديني الخالص الذي لا يعتد الا بما وافق الشرع في نصوصه واصوله ، وهو في الوقت ذاته ، يبعث النشاط النفسي عند المؤمن الذي يتوجه كلما حز به امر بالدعاء الى الله ، مطمئنا خاشعا ، راجيا من الله الاستجابة والقبول ، فاجعلنا اللهم ممن اذا دعوك استجبت لهم ، واذا رغبوا في رحمتك عجلت لهم اسبابها ، واذا التجاوا اليك كنت لهم كفيلا .

يا من يطعم الجائع ، ويشفي المريض ، ويهدي الضال ، ويعلم الجاهل ، ويغني الفقير ، لا تكلنا الى غيرك ولا تسد علينا ابواب فضلك ، فانت الرحيم الكريم ، وأنت العفو الحليم .

اللهم ألف بين قلوب المسلمين ، ووحد صفوفهم ، واجعلنا ممن يأتمرون بأمرك ، وينتهون بنهيك .

اللهم اجعل الحق امام اعيننا نورا نهتدي به ، والعدل امام نفوسنا نبراسا نتمسك به، والجمال امام ارواحنا عطرا فواحا ننتعش به ، فانت على كل شيء قدير .

اللهم ان هذه نفحة من نفحات كتاب ادعية المستغيثين تدفقت في نفوسنا فدفعتنا الى المساهمة بهذه الابتهالات التي نتمنى لها القبول والاستجابة عندك ، كما استجبت لكثير من المتضرعين الخاشعين .

وسنجعل ختام هذا المقال ما سجلت ، المنتقيات من كلام ابن بشكوال صاحب الكتاب ، فقد قال : « اللهم استجب لنا كما استجبت لهم برحمتك، وعجل علينا بفرج عاجل منك بجودك وكرمك ، وارتفاعك في علو سمائك ، يا أرحم الراحمين ، انك على كل شيء قدير ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين وعلى آله اجمعين (15) .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

(14) المنتقى : الوجه الاول من الورقة الثالثة عشرة .
ملحوظة : مقياس الكتاب 17 × 13 .
مسطرته 13 .
اوراقه الموجودة 31 .

(15) المنتقى : الوجه الثاني من الورقة الثامنة عشرة .

رسالة السماء
وحاجة البشر الى تعاليمها

للدكتور عبد الله العمراني

خلق الله الانسان في احسن تقويم ، وصور البشر فاحسن صورهم ، واسكنهم فسيح كونه ، مغدقا عليهم نعمه التي تجل عن الاحصاء (الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء ، وصوركم فاحسن صوركم ، ورزقكم من الطيبات) . كما غرس في نفوسهم حب التدين ، واشرب قلوبهم حب البحث عن الله خالق الناس ومدبر الكائنات ، مرخيا لهم – في الوقت ذاته – عنان الحرية والاختيار ، وفاتحا امامهم مجال العمل ليبلوهم أيهم احسن عملا ، وليشقوا في الحياة طريقهم ، فاما ان يكون سويا مستقيما ، واما أن يكون معوجا منحرفا ، على حد قول الشاعر :

امامك فانظر اي نهجيك تنهج
طريقان شتى : مستقيم واعوج

اجل ، خلق الله البشرية فالفت نفسها تعيش في فراغ روحي كبير ، تمعن تارة في جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، وتخبط تارة اخرى خبط العشواء ، وتتقلب – ثالثة – كالريشة في مهب الرياح ، لا تعرف للاستقرار والهدى ودين الحق اي معنى . وكانت احيانا تقف وتعجز عن المسير ، لانها لا تدري كيف تسير ، وحتى اذا سارت ، لم تلبث ان تزل منها القدم ، فيحيق بها الخسران المبين ! .

هنا برزت الحاجة ملحة الى الرسل الهداة المرشدين ، فشاءت العناية الربانية ان ترعى الخلق ، وتاخذ بيدهم ، فلا تتركهم هملا بلا راع مسؤول ، كما كرهت ان ترى المرء منهم يعيش سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة ، فارسل الله اليهم رسلا من بني جلدتهم ليخاطبوهم بلغتهم : (وما أرسلنا من رسل الا بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) . (ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة) .

دعا الرسل اقوامهم الى الهدى ودين الحق ، وقادوهم من سراديب الغموض ، والجهل ، والشرك ، والغي والضلال ، الى باحات الوضوح والحلم والتوحيد والرشد والسداد . ولكن البعض منهم – فقط – هم الذين استجابوا واطاعوا ؛ اما البعض الآخر فعصوا الله تبارك وتعالى ، وعصوا رسلهم ، وناصبوا الدعوة والدعاة العداء ، وجرؤوا احيانا فهدروا دماء انبيائهم ، واستحلوها بغير حق ، فحاق بهم غضب الله تعالى ومقته وسخطه : (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيئين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) .

وهكذا ، كلما اخذ بعض بني البشر حظهم الوافر من الهدى والرشاد ، صبا البعض منهم فمالت نفوسهم عن عقيدة التوحيد الخالص ، ومبادىء الدين القويمة ، الى متاهات الشرك والكفر والضلال ،

فاستوجب الحال ـ حينئذ ـ بعث رسول جديد في فترة من الرسل ، لياتي برسالة جديدة تلبي رغبات جامحة ، وتستجيب لحاجات ملحة ، وتروي نفوسا متعطشة ظماى ، وتشرح صدورا طال تأميلها ، وتشفي افئدة كاد يضر بها السقام ، وتكون في النهاية شجى في حلوق الحاقدين ، وداء عضالا ينتاب الجاحدين ، ويصيب قلوبهم لغلف في الصميم . (وقالت اليهود: عزير ابن الله ! وقالت النصارى : المسيح ابن الله ! ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله انى يوفكون ! اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون !) .

وبعث الله سيدنا محمد بن عبد الله ليعيد للتوحيد أصالته ونقاوته ، ولكنه لم يجد طريق الخير والحق مفروشة بالورود دائما ، لذا نجده ـ صلى الله عليه وسلم ـ عانى في بادىء الامر كثيرا من الوان العناد والمقاومة والشدائد ، ولاقى في دعوته الامرين، واوذي هو وصحبه في عقيدتهم وايمانهم ، وفي ابدانهم واموالهم ، الامر الذي دعاهم الى التفكير في الفرار من جحيم هذه الويلات ، فهاجر السابقون الاولون من المومنين ـ في دفعتين ـ الى الحبشة ، واحتموا بملك لم يكن يظلم احد في بلده . وهجر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مسقط راسه حين تآمر قومه على اغتياله . ولكن الله ـ عز علاه ـ نجاه من كيد الكائدين ، وحمى دعوته من خصومه الالداء المعتدين ، فلم تلبث ان عمت في حياته شبه الجزيرة العربية من ادناها الى اقصاها ... ثم سارت الدعوة الكريمة بعد مماته تطوي الارض طيا ، متجهة نحو الشمال والجنوب ، وصوب الشرق والغرب ، فادهشت العالم ـ قديمه وحديثه ـ بسرعة انتشارها ، وباقبال المومنين على اعتناقها ، اقبالا عز على التاريخ ان يعثر له على نظير .

كانت رسالة الاسلام رسالة امن وسلام واستسلام وتسليم ، اتخذت الاستهواء والاقناع وسيلة واسلوبا ، والاقتناع والاختيار الحر هدفا وغرضا ، وكان الخلق القويم ، والسلوك المثالي ، والاسوة الحسنة ، والعقل والمنطق ، كل اولئك كان يكون اس الدعوة المتين ، وقطب الحوار البناء الجاد الرصين ، ومحور التبليغ الفعال المبين . ولا حجة لخصوم الاسلام الذين يزعمون انه انتشر بحد السيف (كبرت كلمة تخرج من افواههم ، ان يقولون الا كذبا). (لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي) . (وجادلهم بالتي هي احسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم) .

جاءت رسالة الاسلام بالمبادىء الدينية القويمة، وكانت بما حوته في طياتها من عقائد ، وشرائع وتعاليم ، وتنظيمات دينية ودنيوية عديدة ، (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ... كانت استجابة طيبة لما بلغته البشرية في تطورها العقلي والروحي والمادي من الرشد والنضج والتفتح ، كما كان هذا التطور نفسه سببا كافيا وجيها لان تكون رسالة الاسلام آخر الرسائل السماوية ، واعمها واشملها ، ولان يكون رسول الاسلام خاتم الانبياء والمرسلين : (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) . (ما كان محمد ابا احد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيئين) .

ان تعميم الرسالة المحمدية قضاء وقدر الهي طبيعي معقول ، وامر رباني مقدس لم يسع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يمتثله ويطيعه ، ويسعى جاهدا لتنفيذه ، ولتبليغ الدعوة الاسلامية لا الى بلاد العرب وحدها ، بل الى مختلف انحاء العالم المعروف آنذاك . وهنا اود أن أثير الانتباه الى ان هذا حدث لاول مرة في تاريخ الاديان ، مما يدل دلالة قاطعة على ان رسالة محمد عليه الصلاة والسلام رسالة عامة شاملة ... بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانذر عشيرته الاقربين ، ثم شرع بعد ذلك في دعوة قومه سكان شبه الجزيرة العربية ، وغيرهم ، فكاتب معاصريه من الاباطرة والملوك والامراء ، وبعث بعثاته ، وارسل مندوبيه الى هنا وهناك من اقطار الدنيا .

لم يكتف الرسول الاعظم بمكاتبة ملوك الشرقين الادنى والاوسط ، بل كاتب حتى بعض اباطرة الشرق الاقصى ، ونعني امبراطور الصين تاى ـ تسونك Tai - tsung. الذي ينتمي الى الاسرة الصينية المالكة تانك Tang . اعتلى هذا الامبراطور عرش الصين سنة 627 م وهي السنة التي انتصر فيها امبراطور بيزنطة (هرقل) على كسرى فارس في معركة (نينوى) التي تنبأ القرءان الكريم بنتيجتها الحاسمة قبل وقوعها ببضع سنوت (ألم ، غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون

في بضع سنين) . وهذه السنة بالذات ، هي التي استقبل فيها امبراطور الصين هذا ، سفارة هرقل الذي كان ـ فيما يبدو ـ يبحث عن حليف جديد له فيما وراء أرض فارس المقهورة .

وفي السنة التالية (628 م) استقبل هذا العاهل الصيني مبعوثي رسول الله محمد بن عبد الله. وهنا افضل ان نصغى الى ما يقوله المؤرخ الانكليزي الشهير هربرت (1) جورج ويلز (ت. 1946) بهذا الصدد :

« الى هذا العاهل ايضا (في سنة 628م) قدم مبعوثو محمد الى (كانتون) على متن سفينة تجارية ابحرت بهم طوال الطريق (البحري) من شبه الجزيرة العربية ، وعبر الشواطيء الهندية ، وبخلاف هرقل ، وقباذ ، أستقبل تاى ـ تسونك المبعوثين بصدر رحب ، وعبر لهم عن اهتمامه بأفكارهم الدينية ، وساعدهم على بناء مسجد في (كانتون) ، مسجد ما زال قائما ، ويقال : انه اقدم (2) مسجد في العالم ».

تلك حقائق تاريخية ثابتة لا سبيل لانكارها . ولكنا مع ذلك نجد من المتنطعين من يحاول انكارها ، فيزعم ان مكاتبة النبي محمد لامبراطورى بيزنطة وفارس ـ اما مكاتبة امبراطور الصين فلم يكن له بها علم ـ هي « خاضعة لمبادىء التجريح التاريخي ، واهمها الشك والتردد في قبول كل ما فيه اثر للدعاية دينية او قومية ، ما لم يقم دليل صريح على ثبوته ».

ويسترسل الكاتب في دعم رأيه القائل هذا فيقول (3) : « ان النبي في السنة السادسة للهجرة ـ وهي السنة التي بعث فيها هذه الكتب ـ لم يكن من القوة الحربية بحيث يخضع قبائل العرب القريبة، فكيف يعقل ان يهتم باخضاع كبار الملوك يومئذ وهو لا حول حربيا له ولا طول » .

ولتهافت هذه الاقوال نربأ بأنفسنا ان نرد عليها، ولكنا مع ذلك نشير الى الحقائق التالية :

1 ـ من المسلم به ان من حفظ حجة على من لم يحفظ ، وان الهدم اسهل من البناء ، وان ثلة من المحدثين اتجهت ـ للاسف ـ صوب التخريب ، فسعت باسم المنهجية او البحث العلمي ، أو التجديد ، لتبث الشك ، وتثير التشكيك في معالم وحقائق التراث العربي : في المآثر والقيم الاسلامية ، وبحسب هؤلاء انهم يبنون ، بينما هم في الواقع (يخربون بيوتهم بايديهم دون أيدي المومنين) .

2 ـ ان رسالة الاسلام قامت على أساس من الدعوة ، وليست دعاية من الدعايات المفرضة التي يقصد بها في العادة ترويج « أيديولوجية » وضعية هدامة ، او نشر مذهب سياسي خداع ؛ وانما هي اداء امين ، وتبليغ لرسالة سماوية ، وتنفيذ لامر الهي مقدس (فاصدع بما تومر ، واعرض عن المشركين ، انا كفيناك المستهزئين) .

3 ـ ان من ينكر المكاتبات النبوية ، يمكن ان ينكر كل حقيقة ، وان يقذف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكذب والافتيات ، وهو ما نزهه عنه مواطنوه ـ اهل مكة ـ حتى قبل ان يبعثه الله نبيا ، اما بعد البعثة فكانت اول خطبة خطبها في قومه تنص على هذه الدرر الغالية .

« ان الرائد لا يكذب اهله . والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم . والله الذي لا اله الا هو اني لرسول الله اليكم خاصة ، والى الناس كافة » .

فكيف يمكن ان يرمى بالكذب والبهتان ، من يصدر عنه هذا الكلام الذي يشف عن منتهى الاخلاص والوفاء والصدق في القول والعمل ؟ يقول الكاتب الانجليزي طوماس كارلايل (1795 ـ 1881) في كتابه (4) (الابطال) الذي اعترف فيه للرسول الكريم بالعظمة والبطولة والنبوة ما يلي :

« لقد اصبح من اكبر العار على اي فرد متمدن من ابناء هذا العصر ، ان يصغى الى ما يظن من ان دين الاسلام كذب ، وان محمدا خداع مزور . وآن لنا ان نحارب مايشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة ، فان الرسالة التي اداها ذلك الرسول ، ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس امثالنا ، خلقهم الله الذي خلقنا . افكان احدكم يظن ان هذه الرسالة التي عاش بها ، ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والاحصاء ،

---

(1) H. G. Wells : A Short History of the word. P. 160 June 1938.

(2) يعني خارج شبه جزيرة العرب . اما داخلها فاقدم مسجد هو مسجد قباء الذي بناه في طريق هجرته الى المدينة المنورة في سبتمبر 622 م.

(3) انيس المقدسي : تطور الاساليب النثرية في الادب العربي ، ص : 33 ـ 34 .

(4) الابطال : ترجمة محمد السباعي . ص : 42 ـ 43 .

كذبة وخدعة ؟ اما انا فلا استطيع ، ان ارى هذا الراى ابدا . ولو ان الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ، ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول ، فما الناس الا بله ومجانين ، وما الحياة الا سخف وعبث واضلولة » .

وبعد أن ربى رسول الله محمد بن عبد الله امته خير تربية ، وأدبها احسن تأديب (كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله) ، شعر رسول الله بانه ادى الامانة ، وبلغ الرسالة المنوط به أداؤها ، وبدا يحس بقرب اجله فأضحى يتصرف وكأنه يودع المسلمين ، ويستعد للرحيل . فيبدو ذلك جليا في خطبة خطبها الناس وهو في مرض موته ، حيث ختمها بقوله : « ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عنده » . وعند سماع هذا الكلام، لم يملك ابو بكر الصديق نفسه فبكى وقال : « فديناك بأنفسنا وآبائنا » .

وقبيل هذا التاريخ حج رسول الله حجة الوداع، وخطب في الحجاج خطبته الرائعة الجامعة المانعة التي لم تكن تلخيصا وتذكيرا باهم مبادىء الدين الحنيف فحسب ، بل كانت دستورا للمسلمين خالدا، ينبغي عليهم الحفاظ عليه باستمرار ، ويجب عليهم العمل بمقتضاه ، وتنفيذ مواده نصا وروحا :

« أيها الناس : انما المؤمنون اخوة ، ولا يحل لامرىء مال أخيه الا عن طيب نفس منه ، الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ، فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فاني قد تركت فيكم ما ان اخذتم به ، لم تضلوا بعدي : كتاب الله . الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد (5) ... » .

فهل طبق المسلمون هذه المبادىء الاخلاقية السامية ؟ هل احترموا الحرمات ؟ هل تورعوا عن سفك الدماء بغير حق ؟ هل اتبعوا المحجة البيضاء واستمسكوا بالعروة الوثقى : كتاب الله وسنة رسوله ؟ هل تعاونوا فيما بينهم واتحدوا ليكون اتحادهم قوة يرهبون بها عدو الله وعدوهم ؟

في صيف 1939 نشرت مجلة (الرابطة العربية) القاهرية أول مقال لي عن (التعاون) ، وكان المقال يحث الافراد والجماعات والامم على التعاون والاتحاد من اجل كسب القضايا العربية الاسلامية في الوحدة والسيادة ، كما نوه ببعض بشائر التعاون بين بعض الشعوب العربية التي كان معظمها ما يزال يرزح تحت نير الاستعمار او الانتداب او الحماية ، او ما الى ذلك من المصطلحات السياسية .

ولاهمية المقال أعاد نشره أواسط اكتوبر من السنة ، استاذنا الجليل الشيخ محمد المكي الناصري في جريدة (الوحدة المغربية) التي كان يصدرها بتطوان ، وبذلك اتاح الفرصة — حفظه الله — لجمهور القراء المغاربة ، للاطلاع على أول مقال لعضو بعثة علمية بالقاهرة .

واليوم ، وبعد استعادة كل الشعوب العربية لسيادتها واستقلالها السياسي ، نرى — والاسف يملا جوانحنا ، والاسى يمزق افئدتنا — ان سمات التخاذل والتخالف والتخاصم والتقاتل احيانا ، هي السمات التي تسود الاوساط العربية — الاسلامية ، وهي الوصمات التي تصم جبين هذه الامة التي باتت تتشاحن وتتقاتل ويضرب بعضها رقاب بعض ، لا لسبب وجيه واضح ملموس ، الا حب الفتنة ، او حب الرياسة ، أو حب الخلاف .

الا ، ما احوجنا — اليوم وفي كل يوم — الى الرجوع الى المحجة البيضاء التي تركها فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رسول الرحمة والحكمة والعدل ، سيدنا محمد بن عبد الله عليه افضل الصلاة وازكى السلام ! الا ما احوجنا نحن — العرب المسلمين — الى انتهاج سياسة الاتحاد ، والتوادد ، والتفاهم ، والتعاون الاخوي على نطاق واسع ، وفي مختلف المستويات ، حتى نكون جديرين بنصائح رسول الله ودرره الغالية ، ورسالته الخالدة !

الا ما احوج البشرية — اليوم وفي كل يوم — الى الاستمساك برسالة السماء ، والاهتداء بهديها ، والى الامتثال بأوامر الرسل التي تدعو الى التعاون والتسامح والمحبة والاخوة والتفاهم ، وتنبذ كل ما يقود لى التنافر والتخاذل والتنابذ والتناحر والتقاتل! ان رسالة السماء اليوم هي الامل الوحيد الاخير الذي يجب أن يلجأ اليه زعماء هذا العالم الذي أصبح قاب قوسين او ادنى من حرب ذرية مدمرة . وأما اذا لم يفعلوا — لا قدر الله — فقل : على الانسانية والحضارة والارض السلام .

تطوان : د. عبد الله العمراني

(5) تراجع الخطبة ضمن خطب رسول الله في كتاب (جمهرة خطب العرب) للاستاذ زكي صفوت ، جزء : 1 ، ص : 51 — 60 .



ان الحضارة الانسانية في سباق بين التربية والدمار كما يقول الكاتب الشهير ويلز ، ومن ثم فان دور التربية هام في اخراج الانسان من حد الهمجية الى حد الانسانية كما اكد على ذلك الامام الغزالي في احياء علوم الدين : لولا العلم لصار الناس مثل البهائم ، ومن ثم يكون دور المربي هو نقل التجارب المختلفة الى المتعلم حية نابضة ملائمة لبيئته وتكوينه وتبعا لرغباته وميولاته . وعند ما يقول كنط : ان الانسان لا يصبح انسانا الا بالتربية ندرك مدى الخطورة التي تتحملها التربية في التاثير وفي الرفع من قيمة الانسان ومن شانه وجعله قادرا ومسؤولا وشاعرا بانسانيته وشخصيته وكرامته .

وتبعا لذلك يؤكد الماني في كتابه التربية والطبيعة ان في مقدور التربية كل شيء ، اعطوني دزينة من الاولاد في صحة جيدة واعدكم بان آخذ واحدا منهم فأروضه لكي يصبح طبيبا او عالما او فنانا وحتى متسولا او سارقا ، وذلك مهما كانت جنسيته او آباؤه او اجداده .

ان الدلائل متعددة والاستشهادات كثيرة ومتنوعة في أبعاد مفهوم التربية والمربي وصدى المجهودات التي يمكن للمربي ان يبذلها ويصل بها الى الاهداف والغايات ، لقد كان السفسطائيون يلحون على دور المربي الى درجة انه يقر بذلك : انا سفسطائي بمعنى اني اربي . غير ان أفلاطون قد ثار على تجارب هؤلاء واعتبرها تجارب ناقصة محدودة وناد ى باعلى صوته : ان تكوين شخص يتطلب خمسين سنة ، ويجدر بنا هنا ان نؤكد على أهمية التربية وعلى مفهوم العلماء والمربين لها لكي يتسنى لنا الاحاطة بدلالاتها ومعانيها وبأهدافها وكذا بالدور المنوط بالمربي .

ان التربية تتعلق بالذهن والقلب كما يقول ليتري في معجمه ، ويضيف قائلا : ان التعليم يلقن والتربية تكتسب . غير ان العلماء الذين اهتموا بهذا الميدان اهتماما علميا تجريبيا يلحون على ان التربية جزء لا يتجزأ من الوجود الانساني تماما كاللغة والفن والعلم ، ولذلك تحتم ان تكون هناك فلسفة للتربية كما يقول اوليفيه روبول في كتابه : فلسفة التربية ، ودور المربي هنا لا ينحصر في ناحية معينة ، ولكن يرتبط بالعاطفة والوجدان والعقل والتفكير ، وبالسعي الحثيث لابراز المقدرات والمهارات والميولات والاتجاهات ، ومن هنا يبدو الارتباط القوي بين المعلم كمدرس والمتعلم ارتباطا قويا متماسكا ، ونجد في رسالة افلاطون في تأديب الاحداث تصريحا لذلك : « يجب ان يكون المعلمون مرآة صافية لتلاميذهم بعيدين كل البعد عن الرذائل المذمومة ، ومن كان كذلك فليبعد وينحى عن التعليم . وقد اهتم العلماء المسلمون بهذا الدور للمعلم اهتماما كبيرا . ذلك ان تعريفهم للتعليم كان يرتكز على الآداب اولا كما يشير الى ذلك صاحب كشف الظنون ومفتاح السعادة ، ولتاج الدين السبكي في معيد النعم ومبيد النقم

تحليل شاف وشامل لدور المعيد في اتمام العملية التربوية والتعليمية ، واذا ألقينا نظرة على رسالة الغزالي « أيها الولد » نتأكد من ذلك ونزداد ايضاحا وشمولا ، ويؤكد أبو نصر الفارابي في رسالته (السياسة) على ان اولي الطبائع الرذيلة يجب ان لا يعلموا العلوم ، لانهم اذا علموها استعملوها في ما لا ينفع ، ولذلك فالمدرس يجب ان يحملهم اولا على تهذيب اخلاقهم وسلوكهم وطبائعهم ، ومن ذلك ايضا ما أشار اليه ابن خلدون في مقدمته في فصل خاص عن التعليم وفضائله ، ومن ذلك ايضا رسالة ابن الزرنوجي في احوال المعلمين وآداب المتعلمين ، كما ان المقري في ازهار الرياض اهتم بالتعليم في المغرب قديما ، وقارنه بالتعليم في العالم العربي ، وكل ذلك وغيره اشارات توضح الحالات والمواقف التي تواجه المدرس والمشاكل التي تعترض طريقه في التبليغ والاداء . ومهما يكن فالمدرس بالمعنى الشامل يتحتم ان يكون متفتحا مستفيدا من كل التجارب مرتبطا بالواقع ، متفهما ومستوعبا للتقدم والمدنية والحضارات الانسانية .

ونورد هنا مفهوما لاحد المربين العرب ، قسطنطين زريق فى التربية العربية يؤكد فيه ما يلي : لا اعني بالمعلم صاحب المهنة ، ولكن اعني به المعلمين الفنانين والادباء والقادة وكل من لهم تأثير على من يحيط بهم ويعيش معهم . وقد كان الكاتب الشهير والمربي الكبير جيلبرت هايت صاحب كتاب فن التعليم ، كان يقول دائما : المعلم طبيب ، معتبرا التعليم نوعا من التطبيب ، غير انه يجعل من المعلم معالجا مستمرا ، فالانسان لا يسلم بدنه لطبيب الا اذا لمس فيه تقديره للمسؤولية ، بينما الآباء يسلمون اطفالهم للمعلمين وهم لا يدرون عنهم شيئا ، ولذلك وجب أن يقدر المدرسون هذه المسؤولية الملقاة على عاتقهم تقديرا كاملا .

ومن هنا نجد اهتمام المدرسين والمربين بمناهج وطرق خاصة وجدوا فيها ضالتهم المنشودة ، فقد كان بستالوزي معجبا بمبادىء روسو وتعاليمه ، وقد ربى ابنه على ضوئها ، غير انه غير وعدل منها بعد ذلك لانه كان يحب تعليم الضعفاء والفقراء ، بينما كان روسو يهتم بأميل ويربيه تربية ارسقراطية ، وكانت الطبيبة الايطالية منتيسوري مهتمة الى حد بعيد بضعاف العقول وذوي العاهات ، ونها في ذلك طريقتها الخاصة ، بينما فكر ديكرولي في الفرق الحاصل بين اطفال البادية واطفال المدينة فوجده شاسعا ، ولذلك اقترب منهم وجعل مدرسته الديكرولية في منتصف الطريق مطلة على الاشجار والحيوانات حتى يتسنى للطفل ان يلمس عن قرب مختلف التجارب ، كما كانت فصوله عبارة عن معامل فيها المختبر والانابيب ، والمدرسون عنده يجب ان يكونوا مقتدرين واعين بمسؤولياتهم تمام الوعي كما ان مدرسة فروبل أو الروضة تعتمد على المفهوم الافلاطوني للترويض ، اذ العقل يروض كما تروض الاجسام ، ولذلك تستقبل اطفالها للتدريب والممارسة اليومية . ويمكن هنا ان نشير لى ان هربرت الالماني قد وجد في التداعي مجالا فسيحا لنقل المعارف والتجارب المختلفة ، ولذلك كان يمهد للدرس تمهيدا اضافيا يترك فيه المجال للتلاميذ ليستظهروا ويفكروا ، وقد لقيت هذه الطريقة صدى كبيرا وسادت مدة طويلة .

واشارتنا هنا الى هؤلاء المربين هو في الاصل اشارة الى المدرسين والمعلمين والى الدور المنوط بهم ، وقد صدق الشاعر العربي الذي يقول :

يا أيها المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
لا تنه عن خلق وتاتي مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم
فابدا بنفسك وانهها عن غيها
فاذا انتهت فانت حكيم
فهناك تسمع أن وعظت
ويقتدى بك وينفع التعليم

واذا كانت التربية الحديثة مرتبطة الارتباط التام بشتى العلوم فهي اساسا تبقى تربية لها اطارها ولها معناها وفحواها وابعادها ، ذلك ان المربين انطلاقا من مونتاني وروسو وهوبز ولوك الى جون ديوى وغيرهم قد سلكوا طرائق متعددة ، هدفهم تعليم النشء وافادتهم وتكوينهم لمواجهة معضلات الحياة وآفاقها . ولذلك يثبت المربون مرة اخرى ان الانسان يحتاج الى التربية لاهداف ثلاثة : لان التراث لا ينتقل من جيل الى جيل بالوراثة ، ولان الطفل مخلوق كثير الاتكال ، ولان البيئة نفسها كثيرة التعقيد .

اذن يكون المدرس هنا مطالبا بنقل التراث ، وهو في نقله له مطالب بفهمه واستيعابه وادراك

ابعاده ومراميه ، وهو مطالب بأن يبعد المتعلم عن كل اتكالية وكل خمول وجمود ، مبعدا الطفـــل في ذات الوقت عن كل تعقيد . وهذا يفرض ان يكون المدرس مسايرا لحاضره بوعي وتبصر ، ومطلعا على مناهجه وبرامجـــــه ومــــــواده .

ومن هنا فقد اكد جون ديون على ثقل هـــذه المسؤولية ، ولذلك اعتبـــر المدرسة المـــؤسسة الوحيدة التي يمكنها ا نتغير العالم ، وهو شيء تعجز عنه سائر المؤسسات الاجتماعية .

ويعطينا الاستاذ ساطع الحصري في آراء فـــن التربية والتعليم نموذجا آخر لدور المدرسة ، ذلك ان نابليون عندما سطا على المانيـــا قـــوى جيشه ، وعساكره ، واسطوله ، ولكنه اهمـــل المــــدرسة ؛ فاستغل العالم الالماني والمربي الكبير فيخته هـــذا ليوقظ الشعب الالماني ، فكان بحـــق مهيئا لهـــذه النهضة الحضارية التي عرفتها المانيا ، لذلـــك يقول بسمـــارك انهـــا نهضـــة فيخيـــة .

ونستدل هنا ايضا بموقف محمد علي في مصر الذي اهتم بالجيش اهتماما كبيرا مهملا دور المدرسة والمربين ، ذلك انه استدعى تقنيين ومهرة من تركيا وغيرها ليشيدوا الاسوار والقصور ، وبمجرد مـــا انتهى عصره وجد الناس حضارة غيـــر حضارتهـــم وتراثـــا غيـــر تراثهـــم .

اذن تكون التربية بهذا المعنى نقل التـــراث واخراج الجيل من سباته وغفلته والمساهمـــة في توعيته وتكوينه حتى يكون مسـايرا للركب الحضاري والتقدم الانساني في جميع المجالات ، لذلك يطـــرح أوليفيه ربول في كتابه فلسفة التربية هذه الظاهرة الخطيرة قائلا : ان اضرابات 68 في فرنسا لم تكـــن ضد المعلمين والمناهج والطرق بقدر ما كانت ضـــد المجتمع بصفة عامة ، وعند ما انتدبت اليونيسكـــو ادجارفور لوصف وتحديد الحالة التي يعيشها العالم في مجال التعليم اثبت شيئا اساسيا وهو ان التعليم يجب أن لا يقتصر على المدرسة وحدها بل يجب ان تشترك في ذلك هيئات ومؤسسات اخرى ، وبذلـــك يصبح تعلما وليس تعليما يستهدف بث الوعي ونشر المعرفة في اطار ما أطلق عليه التربية الدائمة .

وهذا ما يفسره لنا جون ديوى في كتابه تربية وديمقراطية : تعني التربيـــة ان لا يوقـــف الانسان تربيته على الاطلاق ، وهذا ما يفسر لنا ثورة الكثيـــر من المربين على التربية التي تلقوها ، الم يثر ديكارت بما يؤكد على ذلك في كتابه مقالة — على التربية التي تلقاها معتبرا اياها غير مجدية وغير مسايرة للواقـــع وللركب الحضاري والحياة الجديدة ؟

ان الكثير من الموقف والكثير من النمـــاذج تثبت الواقع التربوي وتنقل الينا ايضا رؤى المربين وآراءهم ووجهات نظرهم في ضرورة تجديد المسار التربـــوي وانعـــاشه .

ومن هنا فان مدرس اليوم مطالب بالفعـــل بأن تتوفر فيه مواصفات كثيرة ، وقد حـــاول بعـــض الاساتذة في مدينة الرباط ان يجرى استفتاء في هذا الموضوع في اقسام السلك الثاني ، فكانت الصفات كلها تؤكد على شخصية المدرس واخلاقه العالية وطرقه المجدية ومعاشرته الحسنة ، كما اجرى احد المربين الامريكيين استفتاء بين عشرة آلاف تلميذ من الاقسام النهائية فكانت صفـــات كلها تـدل على المـــدرس الحقيقي ، أن يكون مرحا بشوشا حنونا عطوفا ، ان يكون كاحد منا ، ان لا يكون له اقارب بيننا ، ان يكون عادلا في وضع الدرجات ، حلو العشرة ، الى غير ذلك .

ويطرح انجيلا مديس في كتابه التربية الحديثة اشكالية اخرى ذلك ان سنة 58 بفرنسا تستقـــل المدارس خمس سكان فرنسا مما نتج عنه تعييـــن مجموعة كثيرة من المدرسين والذين ليست لهم تجربة ولا كفاءة مما نتج عنه ضعـــف التدريس وانحطـــاط مستـــــــــواه .

من هنا ينعكس الدور الاساسي الذي يجب ان تضطلع به دور المعلمين ومدارسهم مـــن تحديـــد الصفات الاساسية التي يتحتم ان تـــلازم المدرس الحقيقي . انها أزمة قد عرفها التعليم كما اكـــد على ذلك الدكتور عبد الله عبد الدائم في كتابه : أزمـــة التربية العربية ودور التخطيط التربوي .

وان الامر من جهة اخرى قد غدا اكثر الحاحا وطلبا ، وهو غير خفي ولا غامض ، خصوصـــا وان المربين قد ندوا به منذ القديم ، انها تربية من المهد الى اللحد ، ولنا في أحاديث رسول الله (ص) درر غالية في هذا المجال ، من ذلك قوله (ص) : يظـــل المرء عالما ما طلب العلم ، فان ظن انه علم فقد جهل ،

وقوله عليه الصلاة والسلام : منهومان لا يشبعـــان : طالب علم وطالب مال . وتخطر بالبال هنا قولة الامام علي بن ابي طالب : علموا بنيكم اخلاقا غير اخلاقكم ، لانهم خلقوا لزمان غير زمانكم . وهي قولة رائدة في مجال التربية الدائمة والتي نادى بها الامام علي منذ قرون ، واكد عليها الدين الاسلامي في تربيته الشاملة والهادفة الى تكوين الفرد واستقامته ونضجه وصلاحه.

ويمكن هنا ان نستفيد من قولة جبران خليـــل جبران والتي ساقها في كتابه (النبي) : « ان اولادكم ليسوا اولادكم ، ومع انهم يعيشون معكم فهم ليسوا ملكا لكم ، انتم تستطيعون ان تمنحوهم محبتكم ، ولكن لن تستطيعوا ان تغرسوا فيهم افكاركم ، لان لهـــم افكـــارا خاصـــة بهـــم ...

من هذا المنطلق ينبغي ان يكون المربي على علم تام بالظروف والاحوال وكل المعطيات التي تحيـــط بالمتعلم ، وان يكون في مستوى التوجيـــه والارشاد والتبليغ ، ومن هذا المنطلق يجب ان يعبـــد كـــل الصعاب ، وان يكون نعم المرشد والموجه والمربي .

واذا كانت نفس النشىء صفحة بيضاء كما يقول جون لوك ، فان المربي صاحبها يكتب عليها ما شاء ، لتخرجها سالمة نظيفة ، وان المدرس من جهة اخرى هو الذي يحول فصله من خريف الى ربيع يشع فيه النضارة والصفاء واللمعان ، وكم تعجبني هذه القولة لاحد الزملاء الاساتذة في مقال له تحت عنوان الاستاذ المبدع والدرس المتجدد المنشور بمجلة الرسالة التربوية العدد السابع ـ 1977 : ان الاستاذ عون تنفيذ ، اننا يمكن ان نجد المعلومات في كل الكتب ، ولكننا لـــن نجد الاستاذ المقتدر الذي نريد الا نادرا ، ذلك ان هذا الاستاذ له سماته وصفاته وحديثه وحركاتـــه وتطلعه ومستواه ، وهي صفات خاصة به لا يمكن ان نستعيرهـــا من غيـــره .

لقد حاول المؤتمر الثالث لوزراء التعليم العرب ان يدق ناقوس الخطر ، منبهـــا بالـــدور المنـــوط بالمدرسين ، والشعور التام بالمسؤولية الجسيمـــة الملقاة على عاتقهم ، كما ان الجامعة العربية نفسها في ندوتها عن التعليم المنشورة بمجلة شؤون عربية تحث على ذلك ، وتقترح اعادة النظر في شخصيـــة المدرس نفسه وفي تكوينه ، وذلك بتغيير البرامـــج والطرق والمناهج وجعلها ملائمة للعصـــر والبيئـــة والمناخ ، ذلك ان تعليمنا العربي بصفة عامة تعليـــم يستمد اصوله وقواعده ومناهجه من نظريات غربيـــة مختلفة ، وهي نظريات لا تسير ولا تتفق مع تطلعات الانسان العربي وواقعه وطموحاتـــه .

لذلك كله فان المدرس يجب ان يكون ملما بهذه المواصفات باعتباره القائد الاول وباعتباره معـــدا للاجيال متعهدا لها مشرفا عليها . وحتى يكـــون في مستوى ذلك فان تكوينه التكوين الفكري والتربـــوي والثقافي والتعليمي امر حتمي ، اننا نريد مدرسا في هذا المستوى ، اذن لتكن مدارسنا مدارس تربيـــة بمعناها الواسع والشامل للتربية كما سبقت الاشارة الى ذلك ، ولتكن اطرنا اطرا مستوعبة لهذه القضايا كلها ، حتى لا تكثر عندنا افواج المثقفين العاطلين كما اشار الى ذلك الدكتور المهدي المنجرة في حديثـــه عـــن التعليـــم والتربيـــة .

اننا نريد الاعداد لمواجهة الحيـــاة وصعابهـــا ومشاكلها ومعضلاتها ، ولذلك يجب ان نعي ذلـــك جيدا لكي لا نقع في اخطاء الآخرين الذين لهثوا وراء العلم والتصنيع ونسوا الاخلاق والمثل والفضائل ، فكانوا ناجحين في العلم فاشلين في السلم والاخـــاء والسلـــــــوك .

يجب اذن ان يهتم المدرس بهذه الملمات التي اصبحت التربية الحديثة تلح عليها وتنادي بها ، فهل حققنا ذلك ؟ سؤال يحتاج بالضبـــط الى تحليـــل مسهب ومطول ، ذلك ان حديثنا عن التربيـــة وعـــن المدرس باعتباره العمود الفقري فيها يقتضي منـــا الاحاطة بشتى المجالات التي ترتبط اساسا بالتربية كالقضايا الاجتماعية ودور وسائل الاعلام ومـــا الى ذلك . لا شك ان العمل التربوي هو عمل جماعـــي تشترك فيه مؤسسات وهيئات ومجالات مختلفة .

وبكل تأكيد فان المجهودات المبذولة في هـــذا المضمار مجهودات طيبة ، ومع ذلـــك فان ضرورة تعميق الرؤيا وتجديد المناهج والاساليب امر ضروري وحاجتنا الى ممارسة سليمة امر لازم وحتمي خصوصا في مجال تلتقي فيه عقول بعقول واحاسيس باحاسيس اخـــرى .

وتأسيســا على ذلك كله لا يمكن ان نغفل هنا حب المربي لميدانه وعمله ورغبته في تأكيـــد مسيرتـــه

التربوية والتعليمية وتأكيد مردوده وعطاءاته ، هذا الحب وهذه الرغبة لهما الاهمية القصوى ، وهو حب ينطلق أساسا من تقدير المسؤولية التي تستهدف بكل موضوعية وتقدير اسعاد النشء وافادتهم وتزويدهم بالخبرات والمهارات والفعاليات لمواجهة مشاكل الحياة ومعضلاتها .

نستطيع ان نخلص في نهاية لأمر بعد هذا التحليل الى ان مستقبل الانسان يكمن في تربيته وفي تكوينه ، وان هذه التربية هي التي تضمن سلوكه وتوجيهه وتشحذ هممه وعزائمه ، وقد صدق الامام الغزالي عند ما قال انها تخرجه من حد الهمجية الى حد الانسانية ، وفي اطار هذه الزوبعة من التيارات الجارفة والافكار العلمانية المادية والعواصف الهوجاء التي تعصف بمقوماتنا واصالتنا ، في هذا الاطار ما احوجنا الى التشبث بقيمنا ومثلنا واصالتنا ، وما احوجنا الى التأكيد على تراثنا وثقافتنا الاسلامية التي تضمن سر نجاحنا وتحفظنا من التيه والزيغ والضلال .

ان الانسان في نهاية الامر لن يستطيع تحقيق اهدافه وغاياته الا في ظل تربية هادفة وخالصة من الشوائب والرذائل ، بل الاكثر من ذلك انه لا يصبح انسانا الا بالتربية كما أكد على ذلك كنسط .

بمناسبة الذكرى الواحدة والثلاثين (20 غشت) ثورة الملك والشعب :

تحية للشهداء والمقاومين

للشاعر الأستاذ عبد الكريم التواتي

وصلتنا هذه القصيدة وعددنا الخاص بذكرى ثورة الملك والشعب قد صدر . ولاهمية القصيدة ننشرها دون تقيد بالمناسبة لانها من الشعر الوطني الجيد الممتاز .

هذه الذكرى ، فارقصي يا مشاعر ... وتغني بخالدات المآثر
وعلى مسمع الزمان أعيدي ... ملحمات ، بها الزمان يفاخر
ملحمات من المقاومة الكبـ ... ـرى ، وامجادا اكبرتها الخواطر
وقفي لحظة نحيي باكبـ ... ـار بطولات ، ما لها من نظائر
بدمانا الحمراء سطرها التـ ... ـاريخ نورا على جبين المقادر
بدمانا : دماء شعب تفديـ ... ـه بنوه : اعارب وبرابر
انه شعب « ثاني اثنين » احفـ ... ـاد الالى قاوموا الدخيل الغادر
انه شعب امة تتحدى ... بثبات اليقين ادهى المخاطر
فهي قدت من المضاء فعاشت ... تتصدى للنائبات الكواسر
دابها الباس والنضال ، وافيـ ... ـاء المعالي مقامها والمنابر
لا ترى الموت في المحامد عارا ... انما العار أن تهان المشاعر
انما العار ان تداس الكرامـ ... ـات وتغتال بالدنايا الضمائر

فوق هامات الاطلس الحر شادت   اطما تحمي عفة ومآزر
بطولاتها ، وايمان صدق   وصمود قد حطمت كل جائر
وباخلاص حملتها رسالا   ت جهاد مقدس القصد طاهر
لم يهن عزمها وعيد ، ولا سجـ   ـن ، ولا موت ، لا بروق المظاهر
تتهادى اعطافها في لظى الحـ   ـرب اختيالا : رجالها والحرائر
ليس تخشى سوى الاله وما تـ   ـرجو سواه ، بداءة واواخر
واذا استشهدت ، فما غير وجه اللـ   ـه تبغي ، وللاله تهاجر
وقعت صفقة مع الله انعم   بها تجرا : مواردا ومصادر

* * *

ايه أبناء « تاشفين » ويا عتـ   ـرة « ادريس » ، يا بناة المفاخر
يا اساة الهلكى ، مغيثي الايامى   يا مجيري الضعفى ، هداة البصائر
بكم المغرب المفدى يباهي   وبكم يزدهي : قرى وحواضر
انتم في السلام انسام ازهـ   ـار رياض معطرات نواضر
وبساح الوغى ـ مدى الدهر ـ كـ   ـرار صناديد للاعادي مخاطر
وسل المعتدين عما اسيمو   ه ، وذاقوه من شديد المرائر
ابدا تنشدون أسمى المقامـ   ـات وتعلون شامخات المنائر
تنشرون الهدى وبالعدل تبنـ   ـون ـ قواما ـ عرى الاخا والاواصر
شيم المغرب الابي ، وأقـ   ـدار بنيه ، ودينه ، والشعائر

* * *

ايه يا « غشت » هلل بنيك الـ   ـغر اشبال الاطلس المتكابر
فتية آمنوا بربهم حقـ   ـا ، فزيدوا هدى وصدق سرائر
ربط الله باليقين حناياهـ   ـم ، وزكى يقينهم بالبصائر
واستقاموا على الطريقة يرجـ   ـون جميل القضاء ، ولطف المقادر
فجزاهم رب كريم جنانا   تردهي انعما ، وحور الحرائر
وسقاهم طهر الشراب وآتـ   ـاهم خلودا وراحة في الضمائر

* * *

ايه « عشرين غشت » : يا ذكرى البطـ   ـولات الغوالي ، ويا سجل المفاخر
حي بالله « الخامس » البر من أقـ   ـسم ايمانا ان ستفدى العشائر
ويصان الحمى عزيزا ، ويعلو   علم المغرب المحرر ظافر
وقضى الله صدقه ، فتنادى الشـ   ـعب : لبيك نحن طوع الاوامر
نحن درع الحمى ، حماة مغانيـ   ـه ، سيوف متقفات بواتر
بدمانا ، اوطاننا نفتديها   ونفديها بالحشا والمحاجر
وبنونا ، بناتنا ، للحمى حصـ   ـن ، وللعرش جنة وستائر
قسما ان يبوا المغرب الاقـ   ـصى المقامات الخالدات البواهر
ويعاد الالى بهم تزدهي الاوطـ   ـان ، والشعب في فداهم يخاطر
ولمغاني افياؤها ـ بأياديـ   ـهم ـ رياض منعمات زواهر
ولقد حقق الاله الاماني   واستجاب الدعاء ، وعاد « الجواهر »
فاذا المغرب المكبل الحر   واذا الشعب زغردات مزاهر

واذا العـــرش آيــة حقــق اللـــ ـــه بهـــا المبتغـــى وخير المصائـــر
شهـــد اللـــه والملائـــك والنـــ ـــون بما اتلـــوا ، قديمـــا وحاضـــر

* * *

يا مثنـــى ـ واللـــه ربـــك اولـــ ـــاك سعـــودا ـ فانـــت بالله ظافـــر
القضـــاء اللطيف ابـــد لمـــا تـــ ـــرجو ، وشعب موحد الصف قاهـــر
ابـــدا مـــن وراء خطـــوك يمضـــي مشمخـــرا ، مشمـــرا ، ومثابـــر
يتغنـــى ـ نشوان ـ عـــاش المثنـــى عاش يفـــدى بكـــل فـــداء ثائـــر
وسمـــا سعـــده ، وعاش بنوه الشـــ ـــم اقمـــارا في سمـــاء البشائـــر

* * *

ايه « عشرين غشت » وشحت فخـــرا شهـــداء الحمـــى ، وسام المفـــاخـــر
وصـــدور حليتهـــا بالريـــاحيـــ ـــن فتاهـــت بهـــا الحلـــى والاساور
انت للشعب عيـــده ، ولعـــرش الـــ ـــحسن الثانـــي تاجـــه والمنائـــر

فـــاس : عبد الكريم التواتي



للشاعر الأستاذ محمد الحلوي

توجت المشاريع العمرانية والثقافية بمارتيل في تطوان بتدشين المسجد الاعظم الذي كانت نفوس المؤمنين متطلعة اليه ، وفي حفل أقيم بهذه المناسبة الدينية ألقيت هذه القصيدة تحية للمسجد الذي (أذن الله ان يرفع ويذكر فيه اسمه) .

قم باسم ربك بانيا ومشيدا ... وارفع على تقواه هذا المسجدا

واسمع نداء الله فوق مناره ... لحنا سماويا وطيرا منشدا

ينساب في أعماق كل موحد ... فيضا ونورا للحياة مجددا

لا صوت اكبر منه او اعلى ولا ... تفنى جلالته على طول المدى

خير البقاع مساجد معمورة ... تلقى بها الارواح افضل منتدى

تسمو بها نحو الفضيلة والتقى ... وتنيلها العيش الهني الارغدا

يهوى سكينتها المنيب وينجلي ... عن نفسه ـ وقد استجار بها ـ الصدا

ينسى بها دنياه وهو مكبر ... ويرى حقيقة نفسه متجردا !

جافت جنوب الصالحين مضاجعا ... وقضوا لياليهم قياما سجدا

وسعوا اليها في الظلام يحثهم ... شوق يهز قلوبهم والمقعدا

يتلون آي الله في محرابها ... والفجر يوشك نوره ان يولدا

حتى اذا ارتفع النداء وكبروا ... وتوجهوا لله ربا مفردا

ابصرت اروع ما يرى في لحظة ... ووقفت اجلالا تحيي المشهدا

ورايتهم صفا وقلبا واحدا ... ولسان حب للسلام مرددا

في المسجد ، الاسلام ربى جيله … وبه احتمى ممن تمرد واعتدى
ومساجد الاسلام خير مدارس … قد اشرقت منها مصابيح الهدى
ومن المساجد شع نور محمد … وبنى فكان بناؤه المتعبدا
اعظم بيان في قباء وبوركت … يده التي حملت ثراه الاسعدا
والبيت يعرف انه الباني الذي … اعلى به الحجر الكريم الاسودا
كم راية عقدت بها لكتيبة … ومجاهد منها غزي وتجندا
ومطلق دنياه لم ير انسه … الا بها فأحبها وتزهدا

* * *

حييت ـ مسجدنا ـ وبورك من رعـ … ـى حرماته ودعا به وتهجدا
رفعت قواعده سواعد لم تزل … تحيي قديما او تشيد مجددا
كم يحزن الشيطان ان تبنى بيو … ت للعبادة لا تسر من الحدا !
كم تائه ضل الطريق ولم يجد … في دربه نورا وصوتا مرشدا !
سمع الاذان فايقظت احساسه … كلماته فأعادها وتشهدا !
وغذاء روحك ليس في سوق ولا … ملهى رخيص لا يرد معربدا
والفقر اخطر ما يكون اذا فشا … في الروح وافتقدت غيورا منجدا
واذا تخلى المصلحون وافسحوا … للشر عشش بينهم واستأسدا !
وانهار ما بنت البناة بمعول … ما كان ـ لولا الغافلون ـ ليوجدا
رجعى الى اخلاقنا ، رجعى الى … دين الفضيلة والمروءة والندى
لا خير في رجل تراه مصليا … وعلى المساجد في الدجى مترددا
ان لم يك الاسلام خالط قلبه … وصفا ضميرا واستقام على الهدى
ما ضاع مال انفقته امة … في مسجد او مصنع يغني اليدا
باباهما لم يفتحا في امة … الا واصبح كل سجن موصدا
يا من يتوق الى الجنان وحورها … شيد بمالك معملا او معبدا
وفر رصيدك في خزائن مصرف … ارقامه لن تنقضي او تنفدا
واغنم حياتك قبل موت داهم … واعمل من الحسنات ما تلقى غدا
من لي بيوم لا ارى فيه فقيـ … ـرا او يتيما ضائعا متشردا !
وارى البكاء على المنابر قد غدا … دارا مؤسسة ووقفا مرصدا!
ما للمساجد في الحياة رسالة … ان لم تعلمنا التكافل والفدا !

انا لفي زمن نحس بائنا ... غرباء فيه نتيه في سبل الردى

في زورق عصفت به هوج الريا ... ح فما استقر به المسير ولا اهتدى

يجري به الربان في دوامة ... رعناء يذهب جهده فيها سدى

وبسر اعمى والمشاعل حوله ... ما قاد مركبه المهيض ولا اقتدى !

وجراحنا اعيا الاساة علاجها ... ما زال في أعماقها وخز المدى

بحت حناجر كل داع مصلح ... وتوالت النذر التي أن تعددا

ونجاتنا عود الى الدين الذي ... سدنا به يوم اتبعنا أحمدا

وتحية لابي البلاد مزيجة ... بالحب ما هتف الحمام وغردا

في رحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

للشاعر الأستاذ محمد بن محمد العلمي

اما وضعت بروض المصطفى قدمي ، خلعت نفسي من الدنيا .. من الحلم

كثافتي انفصلت عني ، وقد شملت قلبي اللطافة .. كل الامن في الحرم

نسيت اهلي واولادي وامتعتي ، كانما بعثت ذاتي من العدم

محراب خير الورى فيه لقد وجدت روحي هدايتها موصولة الرحم

فكل شي هنا قد صرت أملكه ، والنور يكشف عني حالك الظلم

في هذه الارض عرس للسماء ، ومن عشق الرسول انا اشدو بملء فمي

من بعد شوقي لقد طاب الوصال ، وقد كتبت ما جاش في عمق الحشا بدمي

وها هنا روعة التاريخ ماثلة في اكرم الخلق ، تهدي اجمع الامم

وها هنا جوهر التوحيد بلغه عن ربه ، من حبانا ارفع الشيم

محمد صفوة الاكوان قاطبة ، من دينه الحق يحيي اقوام النظم

يدعو الى الله في طهر وفي ثقة ؛ نعم « الامين » عظيم الجاه والقيم !

في المسجد النبوي القلب متجه لله ، والسر فيه غير منكتم

الست بين يدي خير الورى شرفا ؟ الست في روضة مسكية النسم ؟

وجدت نفسي امام الفضل اجمعه ، أبثه ندمي ، أشكو له المي !

والناس صف امام المصطفى وقفوا ما بين مبتهل منهم ومستلم ،

يرجون غوث الشفيع المرتضى ، وهمو دمع ، ولوعة قلب بالذنوب رمي

هنا السماحة في اجلى جواهرها ، تمحو الخطايا ، وتنجينا من الضرم

سجدت لله في هذا المقام ، وقد نلت المنى في رحاب الجود والكرم

عطر الرسالة من عطـر الرسل هنــــا
فاحت نسائمه في السهـل والعلـــــم

هنا تذكرت امجـــاد الرسول ، بـــلا
حصر ، فتلك دروس الحاذق الفهـــم

هنا الصحابة من حول النبـي لقـــد
تجمعوا كـي ينالوا انجـع الحكـــم

هنا ابو بكـر الصديـق مع عمـــر ،
كانا بعثمــان في عـز وفي شمـــم

ومـن علـي نرى الاشراف كلهمـــو
حصنا حصينا لنا من اجمـع النقـــم

هنا بـلال ينادي للصـلاة ، وقـــد
تنزل الذكـر يبرينـا من السقـــم

ومن هنا امتد فضـل الله يغمرنـــا ،
وقد سرى في قلوب النـاس كلهـــم

نور السماء لاهـل الارض مكتمـــل :
سبحـان من علـم الانسان بالقلـــم !

ودعوة الحق شمس اشرقت ابـــدا ،
والنبع يروي فـؤادا للانـام ظمـــي

هنا تفتح ابـواب السمـاء لمـــن
يتلو لكتاب ، ففيه خيـر معتصـــم

آيات ربي حيـاة للقلـوب ، ومـــن
مواكب النور هبـت نفحـة النعـــم

في روضـة المصطفى التاريخ مبتسم ،
والعهد باق وطيـد غيـر منفصـــم

الرباط : محمد بن محمد العلمي



مع الخالدين

للشاعر الأستاذ عبد الواحد اخريف

قف وجدد لخالد الذكر عهـدا ... وانظم الدمع كالفرائد عقدا

واسكب الحزن في النفوس فقد جا ... د الاسى كالكريم ثم استبدا !

تتوالى النواجع الكثر في الدهـ ... ـر صدورا يشتاق من بعد وردا

فكان الحياة لم تعرف النعـ ... ـمى ولم تنسج المسرة بردا

كل يوم تضيف للنفس آلا ... ما محال يعدها القلب عدا

كم مشينا مواكبا تنقل الخطـ ... ـو ثقيلا والارض تفتح لحدا

ودفنا احبة ليس في القبـ ... ـر ولكن في القلب بطفح ودا

وذرفنا للراحلين دموعا ... هي في الخطب والمكاره أجدى

ونظمنا مراثيا جلل الشجـ ... ـو رؤاها ، وبالمشاعر تندى

كل من في الدنيا يصير الى المو ... ت ولكن هناك من يتحدى

لا الليالي تذيب ذكر المعالي ... لا ولا الدهر قادر ان يصدا

وعلى صفحة الوجود من الاعـ ... ـلام حشد ينساب عطرا وندا

ملأوا مسمع الزمان وغنى ... فمه لحنهم ثناء وحمدا

لم يموتوا ، وهل يموت الذي رصـ ... ـع هذا الوجود علما ومجدا ؟ !

ان « داوود » بينهم في شموخ ... يتجلى فردا ويلمع وقدا

همة نالت الثريا وقدر ... ليس يدري الى المكارم حدا

هل الى افقه الفسيح سبيل ... يسلك الشعر نهجه مستعدا ؟

وهو دنيا من المزايا عليها ... طلع الفخر زاهيا ومندى !

عالم في حماه تشعر ان الـ　　　ـعلم نور يهدي العقول فتهدى

كلما زرته وجدت مكبا　　　جاثلا في سطوره ومجدا

حوله من مراجع الدرس آلا　　　ف عليها فكر الخليقة شدا!

وهو من بينها كعابد ليل　　　ذاب شوقا الى الوصال ووجدا!

كاتب يرسل العبارة ارسا　　　لا مصيبا مقاطع الحق قصدا!

رائد للصحافة البكر ينشيـ　　　ـها « سلاما » و « يخبر » القوم جدا!

لم يكن كاذبا كما يفعل الغيـ　　　ـر عسى ان يروج زور تعدى

وابى له الصراحة زاد　　　كان للظالمين خصما الدا!

غمرات الجهاد قد عرفته　　　صامدا باسلا وسيفا اشدا

كم سقى السم ناقما « لدخيل »　　　واباد الدهاء فيه واردى

كلما خطط العدو طريقا　　　فضح الشيخ خطه وتصدى

صفحات « السلام » كنز ثمين　　　للذي رام ان يؤرخ عهدا!

بواته زعامة ليس بنسا　　　ها سوى منكر تميز حقدا!

اقراوها تروا على وجهها نو　　　را وفي صدرها اماني تفدى

بكرت تطلب الحقوق لشعب　　　كان في وطأة الشدائد عبدا

فتحت اعينا وربت نفوسا　　　ما لها عن اعادة الحق معدى

فسلام على « السلام » وحيا الله　　　ـه « داوودها » الابر المفدى

واذا كان للشعوب رجال　　　كان « داوود » فخرهم مستجدا!

شهدته مجالس الدرس استا　　　ذا يروي من المعارف حشدا!

بحديث كأنه البلسم الشا　　　في ونطق ينساب في النفس شهدا!

ووثوق بالفهم يدرك اسرا　　　را وان كانت المدارك بعدا

وحواليه نخبة من شداة الـ　　　ـعلم لا يسألون الا امدا!

بسخاء كأنه الفيض يجري　　　وعطاء كالمزن سح واسدى

كل آماله ظهور نبوغ　　　في بنيه الطلاب يشرق وعدا!

كم له احرق البخور واثنى　　　ليس يالو فيه عناء وجهدا!

وهو من يعرف النبوغ وما تجـ　　　ـنيه منه الشعوب غورا ونجدا!

كم زهور على يديه نمت في الـ　　　ـحقل طابت شذى ولونا وسعدا!

اصبحت عدة البلاد تشد الز　　　حف فيها الى التقدم شدا!

هل رأيت التعليم يشكو ضياعا　　　وهزالا ، يكاد ان يتردى

وهو من وضعه اسير هموم　　　باحث عن علاجه ليس يهدا!

واذا بالمناهـج الثـرة الغـر اء تزجى وبالبشائر تحدى
غيرت شكله بناء وأسا وغدت روحه سلاما وبردا
لم يكن مبدعا لها غير « داوو د » بفكر سما وعزم تحدى
صور من كفاحه ناطقات ختم الجد نشرها حين أدى :
حق « تطوان » في صحائف تملى وعليها « التاريخ » يسطع رادا
ما وفى للام التي احتضنته احد مثله الى حين اودى

* * *

يا مثال البرور والصبر والعفـ ـة عشت الحياة جهدا وزهدا
لم تكن تنهب الخطا لحطام زائل قد سبى الضعاف وهدا
وغنى النفس ذخرك الخالد البا قي مدى الدهر لا يحالف حدا
فسلام على ضريحك يختا ل حفيا وينثر الحب وردا
ان روحا كستك ترفل في ظـ ـل نعيم حباك مجدا وخلدا

تطوان : عبد الواحد اخريف









عرض : الأستاذ أحمد متفكر

تعززت الخزانة المغربية خصوصا ، والعربية عموما بالطبعة الثالثة من كتاب المغرب للاستاذ الباحث الصديق بلعربي شفاه الله وأمد في عمره .

والاستاذ بلعربي غني عن التعريف لدى الاوساط الثقافية :

فهو العالم الفذ الذي زين علمه العمل به ، وجمله حب نشره بين الناس ، يشيد بفضل العلم واهله ، ويغرس في رواد الخزانة اليوسفيه (1) حب التعلم ، واقتفاء اثر السلف الصالح من العلماء العاملين ، كما وضع نفسه وطاقاته ومعارفه رهن اشارة ابناء مراكش — وغير ابناء مراكش — الذين احبوه وتفانوا في حبه وتقديره .

وهو الوطني الغيور على وطنه ، المدافع عن حرية بلده في احلك الظروف واصعبها ، فاوذي في سبيل هذه الحرية ، ولقى العنت والتعذيب والتنكيل والسجن — من طرف الاستعمار — لا يبغي بذلك الا وجه الله تعالى .

انه الانسان الذي تجمعت فيه صفات وسجايا حميدة قلما نجدها في عصرنا هذا الذي طغت فيه الماديات على الروحيات ... فاخلاقه تتنامى الى المثل الاعلى : عفة اللسان ، وصفاء السريرة ، مع طهارة تنبع في قلب كبير وعفة تقبض اليد ، وتعقل اللسان ... وعلى كل فسيرة هذا الرجل ناصعة واضحة ، يلتزم الجادة ولا ينحرف عنها .

بعد التعرف على بعض صفات المؤلف ندخل توا الى ما نحن بصدده وهو التعريف بكتابه الجديد :

تتصدر الكتاب كلمة الاستاذ الفاضل الدكتور محمد حجي (2) التي يقول فيها :

(كان صدور هذا الكتاب — على صغر حجمه — في وسط المعركة المستعرة آنذاك بين الوطنية المغربية المتجسمة في محمد الخامس — رحمه الله — وبين الحماية الفرنسية العاتية ، ضربا من التحدي ، واسهاما في التعبير عن الذات ، والاعتزاز بالوطن ، لذلك ما كاد يظهر في السوق حتى تخطفته ايدي المواطنين فنفذ ولم تمض على ظهوره بضعة اشهر ...

ثم يقول : (اتذكر بكل اعتزاز وامتنان ما استفدته من الكتاب الصغير حجما ، العظيم فائدة ،

(1) لم تعرف الخزانة اليوسفية في تاريخها محافظا مثل الاستاذ الصديق بلعربي — الجندي المجهول — الذي اعطى من صحته ووقته وعلمه وماله ما لم يعطه اي محافظ آخر .

(2) يرجع فضل اخراج هذا الكتاب الى الدكتور حجي الذي سهر على ايجاده ، فله جزيل الشكر .

طالبا ومدرسا ومؤلفا ، واذكر انني في اول لقاء لـي بشيخ الادباء والمؤرخين السفير خير الدين الزركلي ـ رحمه الله ـ بمنزله بالرباط وهو يومئذ ينقح كتابه (الاعلام) ويضيف اليه ما كان ينقصـه من تراجـم المغاربة ، حدثني عن الاستاذ الصديق بلعربـي ، واثنى الثناء العاطر على (كتاب المغرب) وادرجـه فعلا في جملة مصادر موسوعته في الطبعات التالية).

تقديـم المؤلـف :

يقول : (صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب سنة 1952 فكان الاقبال عليها عظيما ونفذت نسخها بمجـرد عرضهـا) .

ثم يستعرض المراحل التي مر منها الكتـاب منذ صدوره سنة 1952 ، والاقبال الذي لقيه مـن طرف القراء حتى نفذت نسخه في مدة قصيـرة ، وكان في نية المؤلف أن يعيد طبعه مرة اخرى بناء على الرسائل التي توصل بها ، لكن الظـروف السياسـة الاليمة التي كان يجتازها المغرب انذاك حالت دون تحقيق هذه الرغبة ... (لكن عودة جلالة الملـك وبزوغ فجر الحرية والاستقلال شجعنا على استئناف العمل فنقحنا الطبعة الاولى ، وتداركنا ما بها من نقص وتوسعنا بعض الشيء في تاريخ المـدن ، وابرزنـا الخطوط الاولى للنظام السياسي الجديد بالمغرب مع الالمام بالمعاهدات الدولية والوثائق السياسية ، كما تتبعنا المراحل لتطور القضية المغربية في الميدان الدولي ، وختمنا الكتاب بايراد بعـض المعلومـات المختلفة التي يجب أن لا تخفى على القارىء المغربي).

بعد هذا التقديم يدخل الى صلب الموضـوع ليعرف القارىء المغربي على بلاده بطريقة علميـة ، وباسلوب مبسط ومحبوك ومشوق ... فيعالـج الموضوعـات التاليـة :

● الوضـع الجغرافـي :

وتحت هذا العنوان تندرج عناويـن فرعيـة مثـل :

الموقع والمساحة ـ الجبـال ـ الهضـاب والنجود ـ السهول ـ الميـاه ـ السكـان ـ اليهود ـ المدن ـ الفلاحة ـ الرعي ـ الصناعة ـ السدود ـ المواصلات .

● الماضـي التاريخـي :

ويعالج فيه الجانب التاريخي المغربي واهـم الدول التي توالت عليه من مغـرب ما قبـل الاسلام الى الدولة العلويـة ، وقد عالجـه كالتـالـي :

- المغـرب قبـل الاسلام .
- الاسلام والعروبة في المغرب .
- الدولـة الادريسيـة .
- الدولـة المرابطيـة .
- الدولـة الموحديـة .
- الدولـة المرينيـة .
- الدولـة الوطاسيـة .
- الدولـة السعديـة .
- الدولـة العلويـة .
- المغـرب في عهد الحماية .

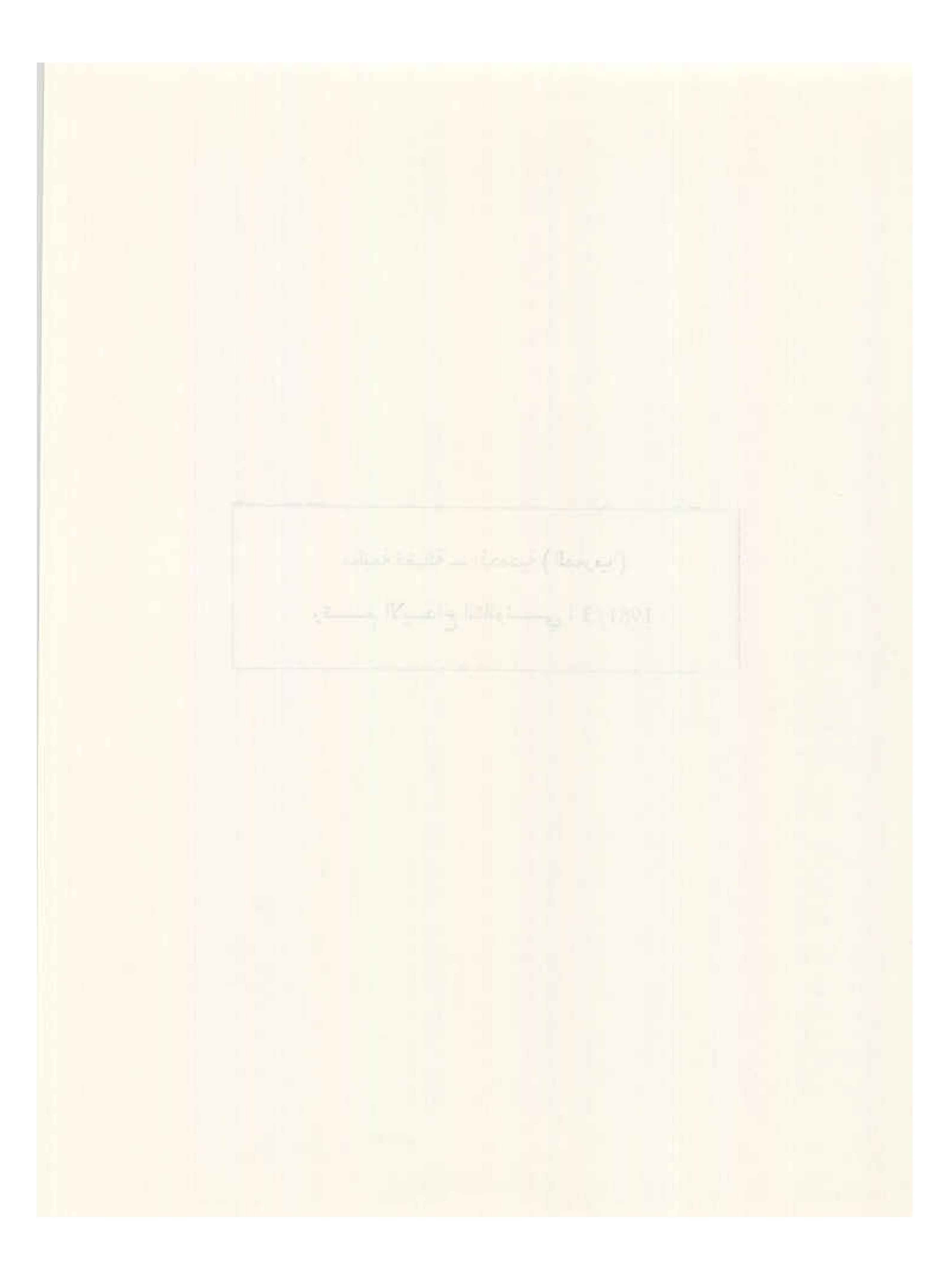
● علائق المغرب مع الدول الاوربية :

وهنا سيقف القارىء على الفترة التي بـدات تسعى فيها الدول الاوربية لربـط علاقـات بالمغرب ، وابرام معاهدات واتفاقيات معـه ، مع بيان اهم هذه الـدول ، واهـم هـذه المعـلومـات .

● الشعب المغربي يطالب بالاستقلال :

وهنا يحدثنا بلسان المجرب والرجل المحنك بكل الحركات الوطنية التي قامـت في وجـه المستعمر ، مطالبة باستقلال البلاد الاستقلال التام ، فيحدثنا عن وثيقة الاستقـلال وعـن الموقعين على هذه الوثيقة التاريخية ، كمـا يطلع القارىء على التصريحات التي كانت بين المغرب وفرنسا من جهه ، واسبانيا من جهـة اخـرى .

بعد هذا العرض التاريخي المركز ينتقل بنا الى فصل جديد يعرفنا فيه باسماء المدن والقرى والمراكز والمداشر مع ما يتصل بكل واحدة منها من معلومات جغرافية وتاريخية ، ووصف موقعها وابعادها ونشاطها وكل ما لا غنـى للقـارىء عن معرفتـه . والاسماء مرتبـة على حروف المعجـم .



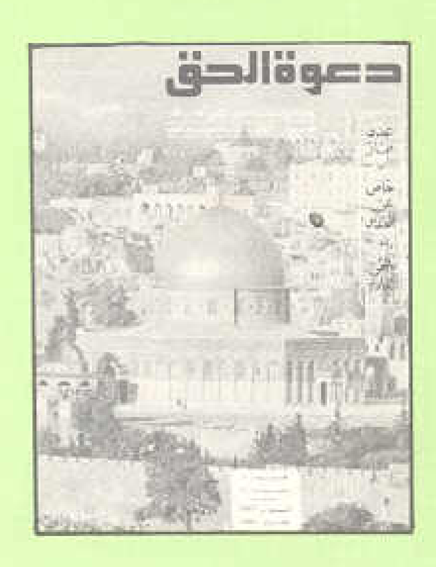
مطبعة فضالة ــ المحمدية (المغرب)

رقـــم الايــداع القانونـــي : 1981/3











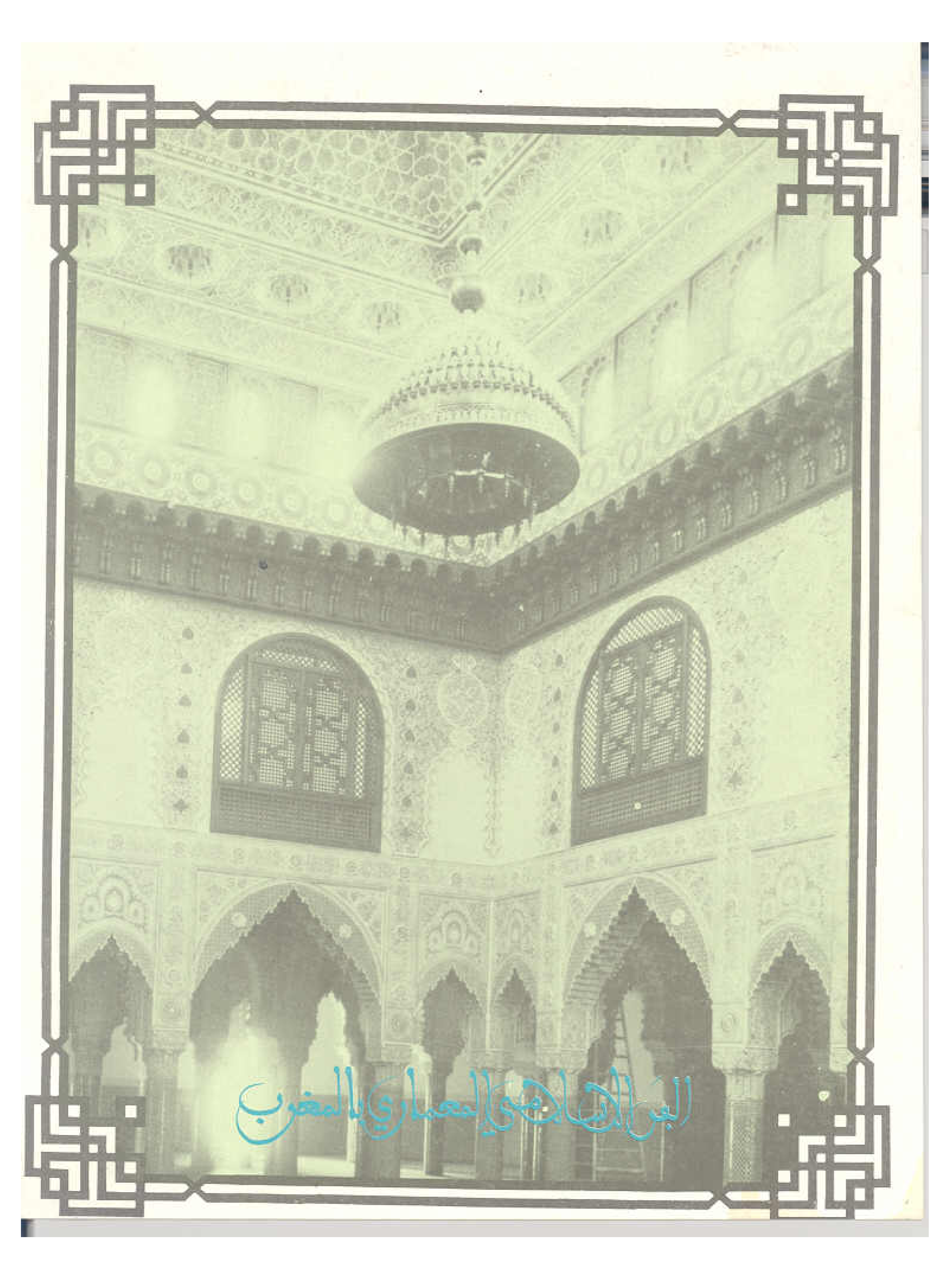








صدر العدد الأول في يوليوز سنة 1957


الفن الإسلامي المعماري بالمغرب